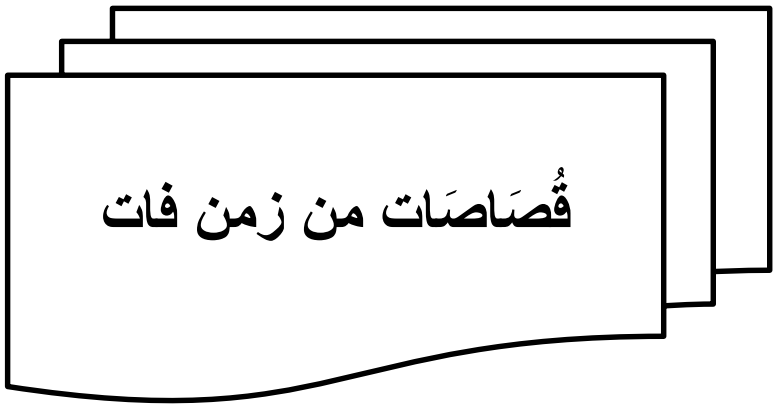


قُصَاصَات من زمن فات

إعداد

عمرو منير محمد

- رواية: **قصاصات من زمن فات**
- المؤلف: **د. عمرو منير محمد**
- الناشر: المؤلف

- طباعة / دار مشكاة للطبع والنشر والتوزيع
- ت : ٠١١١٤٣٩٨٩٩٤ - ٠١٠٠٢٢٦٩٥٤٧

- الطبعة الأولى: 2026

- رقم الإيداع: ٥٨٤٧ / ٢٠٢٦
- الترقيم الدولي: I.S.B.N: ٩٧٨-٦٣٣-٨٤٤٨-١٥-٨

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة، للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقميًا، أو إتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف.

الإهداء إلى:

روح أبي رحمه اللهُ

وإلى

ذلك الزمن الذي مازلتُ أشم عَبَقَهُ
بين أوراقِ الجرائدِ

"الجرائد عنوان الحضارة ودليل المدنية، فإذا رسخت قدم جماعة في المدنية كثرت جرائدهم وتعددت مواضيعها."

جرجي زيدان

منشئ مجلة "الهلال" في القاهرة

******

"الجرائد نفير السلام وصوت الأمة وسيف الحق القاطع ومُجيرة المظلومين وشكيمة الظالم، فهي تهزُّ عروش القياصرة وتدكُّ معالم الظالمين."

تولستوي الفيلسوف الروسي

أتعرف ما معنى الكلمة...؟

مفتاح الجنة في كلمة

دخول النار على كلمة

وقضاء الله هو الكلمة

الكلمة لو تعرف حرمة

زاد مذخور

الكلمة نور

وبعض الكلمات قبور...

عبد الرحمن الشرقاوي

من مسرحيته "الحسين ثائرًا

شكرٌ وتقديرٌ

إلى أ/ فتحي حمودة ،الذي قام بتفريغ محتوى المقالات،

وإلى الأخ و الصديق الشاعر/ محمد فاروق، الذي قام بالتدقيق اللغوي والتنسيق

ولولاهما ما ظهر هذا الكتابُ إلى النُّور.

مقدمةٌ ضروريةٌ

تصدَّرتِ الصحافةُ الورقيةُ المشهدَ الفكريَّ والثقافيَّ في مصرَ والعالَم لحوالي قرنٍ ونصفٍ ، فكانت الجريدةُ الورقيةُ المطبوعةُ بمثابةِ وسيلةِ المعرفةِ الرئيسيةِ للجماهير، وكم ساهمتِ الصحافةُ في تشكيلِ الرأيِ العامِّ بدولِ العالَم كافَّة؛ فنجد أن صُحُفًا صنعت أبطالًا وجعلتهم يتصدَّرون الأُمم، بينما نفسُ الصُّحف أسقطت حكوماتٍ وعرَّت أنظمةً، وكشفت ممارساتٍ خاطئةً ووقائعَ فسادٍ، وكلُّ ذلك بسبب قدرةِ الصحافةِ الورقيةِ على الانتشارِ الواسع، والذي ساعدت فيه الثوراتُ الصناعيةُ وما نتج عنها من تطوُّر إمكانياتِ المطابع، ممَّا جعل الجرائدَ متاحةً لأكبرِ عددٍ من الجماهير...

مؤخرًا، ومع ظهورِ الصحافةِ الإلكترونية، بدأت الجرائدُ المطبوعةُ تنحسرُ بالتدريج، للدرجةِ التي جعلت بعضَ المؤسساتِ الصحفيةِ العريقةِ تتخلَّى عن طباعةِ الورق وتكتفي بالنشرِ الإلكترونيِّ الأقلِّ تكلفةً والأوسعِ انتشارًا، حتى أصبحت قراءة الجريدةِ الورقيةِ المطبوعةِ عادةً يتمسَّك بها شريحةٌ معيَّنةٌ ضيِّقةٌ من الجمهور، ممَّن ينتمون إلى عصرٍ سابقٍ لم تستطع التكيُّف مع التطوُّر الجديد، ولا تزال تتمسَّك بالورقِ المطبوع كوسيطٍ للمعرفة. وهؤلاء يتناقصون مع الوقت، حتى أكاد أتخيَّل أنهم يتعرَّضون للانقراضِ البطيءِ، وصولًا إلى لحظةٍ لن يكون فيها للجريدةِ الورقيةِ محلٌّ من الإعراب وسطَ الأشخاصِ العاديين، وستُغلَق مطابعُ الصُّحف، وسيقتصرُ عملُها على طباعةِ الكتبِ والمطبوعاتِ اللازمةِ للمؤسساتِ العامةِ والخاصةِ...

في خِضَمِّ هذا التحوُّل من عصرِ الجريدةِ الورقيةِ إلى الجريدةِ الإلكترونية، عثرتُ على عددٍ كبيرٍ من القصاصاتِ الورقيةِ التي قام باختيارِها الوالدُ، رحمهُ الله، وقد جمعها على مدارِ فترةٍ طويلةٍ من الزمن. وتلك العادةُ الحسنةُ كان يتميَّز بها الوالدُ وجيلُه من القرَّاءِ المنتظمين للصحفِ المصرية، والتي كانت في عقودٍ سابقةٍ زاخرةً بصنوفٍ متنوِّعةِ الألوان

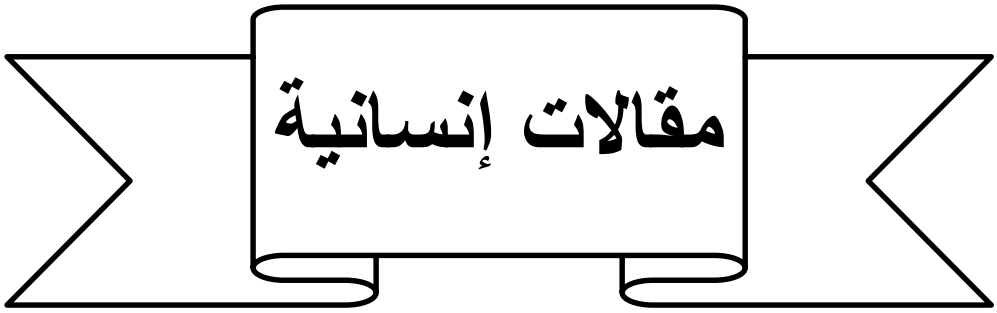
من الثقافة، عكست طبيعةَ هذا العصر الذي مثَّلت فيه الجريدةُ الورقيةُ المطبوعةُ الوسيلةَ الوحيدةَ لعرضِ أفكارِ النُّخَبِ الثقافيةِ والأدبيةِ والسياسية، والتي تختلف عن عصرِنا الحالي الذي تضاءَل فيه دورُها الحيويُّ لصالحِ منصاتِ التواصلِ الاجتماعي، والصحافةِ الرقمية، والبودكاست الفكريِّ والثقافيِّ...

هذا الكتابُ هو عبارةٌ عن تفريغٍ لقصاصاتٍ ورقيةٍ ورثتُها عن الوالد، رحمهُ الله، (د. منير محمد، استشاري الأنفِ والأذنِ والحنجرة بمحافظة الأقصر)، وقد قام هو بجمعِها لنخبةٍ من مثقفي مصر طوالَ حياتِه. ووجدتُ أن تجميعَها ونشرَ محتواها في كتابٍ قد يكون مرآةً كاشفةً لطبيعةِ هذا العصر الذي كان يعجُّ بالحراكِ الفكريِّ والثقافيِّ ،وللمصادفة بينما أجمعُ محتوى تلك القصاصاتِ الورقية، ظهرت لي قصاصاتٌ أخرى جمعها أستاذي الجليل أ.د. إسماعيل موسى عبد اللطيف (أستاذُ طبِّ العيونِ بكليةِ طبِّ سوهاج)، وأهداني إيَّاها عندما علم بفكرةِ إعدادِ هذا الكتاب، ووجد أنه من المفيد أن يضمَّ محتوى قصاصاتِه هو أيضًا، فهي قصاصاتٌ تتميَّز بلونٍ مختلفٍ من الاهتماماتِ الفكرية، والتي أضافت للكتاب رافدًا آخرَ جعل محتواه متنوِّعَ الاتجاهاتِ والأطياف.

الكتابُ يضمُّ مقالاتٍ متنوِّعةً في الأدبِ والثقافةِ العامةِ والسياسةِ والعقيدةِ الإسلامية، بالإضافةِ إلى المقالاتِ الإنسانيةِ التي تتناول رؤيةً عميقةً للحياة، ومقالاتٍ فلسفيةً، وغيرها الكثير من صنوفِ الثقافةِ والفكرِ. أتمنَّى أن يكون محتوى الكتاب بمثابةِ شاهدٍ على عصرِ صحافةٍ ورقيةٍ نشطةٍ وفعَّالةٍ، ضمَّت في وقتِها كوكبةً من أقطابِ الثقافةِ والأدبِ والفكرِ السياسيِّ.

د. عمرو منير محمد

سوهاج ٢٠٢٦


مقالات إنسانية

(خطواتٌ حائرةٌ)

كلما تقدّم بنا العمر، زادت حيرتنا، نتقدّم خطوة، ونتراجع أخرى، نتّجه يمينًا، ثم نتّجه يسارًا، وأحيانًا لا نعرف أين نتّجه، فالطرق متشابهة، والتحديات لا تنتهي، ولا مفرّ من السير، فالتوقف غير متاح، وكلها خُطًى كُتبت علينا، ومن كُتبت عليه خطًى مشاها.

الأيام تمر، شروق يعقبه غروب، الظروف تتغير، والوجوه أيضًا تتغير، ونحن نبحث عن طريق، ونعيش اللحظة، لحظات تسعدنا، ولحظات تشقينا، حياتنا مجرد حكاية، فيها ما نتذكره، وكذلك ما ننساه، قلوب تحب، ونفوس تكره، أبواب مفتوحة، وأخرى مغلقة، ومن تجاربنا نتعلم.

الأسئلة محيّرة، والإجابات أكثر حيرة، وكل إجابة تثير سؤالًا، حتى المقدمات لا تؤدي إلى نتائج، لا شيء يبدو كما هو، وقد يحدث ما لا نتوقع، وعلينا أن نتقبّل، فالمفاجآت لا تنتهي، واليوم ليس كالأمس، والغد حتمًا مختلف، وحتى نفهم يلزمنا تركيز، وهذا هو التحدي.

الأيام الصعبة لا تدوم، والسهلة كذلك، ولكل مسار بديل، وللبديل أكثر من بديل، المهم أن نتعلم من الربح، كما نتعلم من الخسارة، وما تراه مشكلة، ربما يكون الحل، وقد تكون المشكلة في الداخل، ونحن نبحث في الخارج، وهذه هي الحقيقة، ومن لا يفهم يندم.

أحيانًا نتطلع إلى الوراء، لنجد أننا كسبنا أشياء، وخسرنا أشياء، وفقدنا أحباء، سعدنا وتألمنا، لكن لا شيء يدوم، حتى وجودنا لا يدوم، يكفي أن نتعلم من الماضي، ونفهم الحاضر، ونستعد للمستقبل، ولا نتعلق بالأوهام حتى تنتهي حيرتنا.

عبدالعزيز محمود

(فيلسوف محلل)

إذا كنت لا تعرف ما هو "الأنومي"، فأنت لا تعرف حقيقة ما جرى لك في هذا الزمن، ومن ثم لا تعرف أنك مواطن بدرجة "مأزوم"، وحل مشكلتك ليس بيدك!

(١)

"الأنومي" باختصار هو مصطلح شائع في كتابات أساتذة علم الاجتماع، يستخدمونه في وصف الانفلات الذي ينتاب قيم المجتمع، بحيث تصبح عاجزة عن القيام بوظيفتها الإيجابية. والكلمة لها أصل في اللغة اليونانية القديمة، ومعناها اللاقانون (نوموس تعني القانون)، ولكن عالم الاجتماع والفيلسوف الفرنسي إميل دوركهايم أشاعها في كتاباته للتعبير عن الحالة التي يتراجع فيها الدور الإيجابي للقيم، بحيث تكرّس التراجع والتخلف بدلًا من أن تكون رافعة للنهوض والتقدم. ومنذ ذلك الحين (أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين) دخل المصطلح إلى موسوعة العلوم الاجتماعية، وأصبح يُستخدم في وصف أزمة القيم أينما حلّت.

أما مناسبة استدعاء المصطلح في الوقت الراهن فترجع إلى عاملين، أحدهما شخصي والآخر موضوعي. السبب الشخصي أنني كنت بصدد إعداد بحث طلبته مني إحدى الهيئات الدولية عن القيم في العالم العربي. وحين قطعت شوطًا في مطالعة المراجع المصرية بوجه أخص، وجدت أن أساتذة علم الاجتماع بلا استثناء تقريبًا يتحدثون عن أن مصر تعاني أزمة في منظومة القيم الاجتماعية السائدة، وأنهم يشيرون إلى الحالة المصرية باعتبارها نموذجًا "للأنومي"، التي في ظلها جرى تفكيك القيم الإيجابية وتراجعها بشدة، لحساب عديد من القيم السلبية التي أصبحت كالسوس ينخر في جسد المجتمع. وقد راعتني بعض الشهادات والأحكام التي أطلقها أولئك الخبراء إلى الحد الذي اقتضى ضرورة الانضمام إلى حملة دق الأجراس التي تستهدف التنبيه إلى خطورة الظاهرة، والتحذير من

مغبة التهوين من الأمر أو الانصراف عنه. أما السبب الموضوعي فيتلخص في أنني لاحظت أن أجواء الانتخابات التشريعية الراهنة دفعت بعض حملة المباخر في مصر إلى المبالغة في تزيين الواقع والإشادة بالإنجازات التي تمت في مختلف المجالات، مستخدمين في ذلك سيلًا من الأرقام التي يتعذر على المواطن العادي أن يتحقق من صحتها. وإذ لا أشك في أن ثمة إنجازات تحققت خلال العقود الثلاثة الأخيرة، إلا أن حفاوتنا بها لا تتحقق إلا بعد الإجابة عن أسئلة، منها على سبيل المثال: من الذي استفاد منها؟ وكيف تُرجمت إلى واقع في حياة المواطن العادي؟ وما هي القيم الاجتماعية التي أفرزتها؟

(٢)

في ١٨ أغسطس من العام الماضي (٢٠٠٩) كتبت مقالات تحت عنوان "محاكمة مثيرة لقيم المصريين"، استعرضتُ فيها ما توصلت إليه دراسة تحليلية لمنظومات القيم السائدة خلال نصف القرن الأخير. وكانت الدراسة قد صدرت عن مركز الدراسات المستقبلية بمجلس الوزراء المصري، وقام بتحريرها الدكتور محمد إبراهيم منصور والباحثة سعاد سليمان. وحين تتبعتُ متغيرات القيم في مصر منذ قامت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ إلى أن دخل المجتمع المصري في التسعينيات، وجدت أن من سماتها عدة معالم، أعيد التذكير بها، تمثلت فيما يلي:

- **انتفاء قيمة الخير والحب؛ إذ أصبح الخير والسعي إليه والعمل على تحقيقه، سواء للذات أو للآخرين، من الأمور النادرة، وكأنه أصبح معقودًا على الذات فقط.**

- **تراجع قيمة الإحساس بالأمان والطمأنينة؛ إذ في عهد الرئيس عبدالناصر كان ميل المصري للطمأنينة قويًا لاعتماده على شخصه وعلى الدولة التي وفرت له كل شيء. وفي عهد السادات بدأ القلق والاكتئاب يتسربان إليه، واستمر ذلك خلال الثمانينيات والتسعينيات وحتى اليوم، إلى أن لوحظ أن المصري أصبح مسكونًا بالانفعالات المختفية تحت بعض الصمت والسكينة، وهو ما يُعبَّر عنه بالمجاملة حينًا وبالنفاق حينًا آخر.**

وانتهى الأمر به إلى أن هرب إلى الغيبيات التي وفرت للبعض طمأنينة مزيفة، وامتزجت عند المصري روح الفكاهة بالاكتئاب، حتى أصبحت تعبيرًا عن المرارة والسخرية وليس عن المرح.

• انتفاء قيمة العدالة؛ إذ غابت العدالة الوظيفية بسبب المحسوبية، والعدالة السياسية جراء تزوير الانتخابات، والعدالة الاقتصادية بسبب الرشوة والفساد، والعدالة الاجتماعية بسبب تصعيد المنافقين والمؤيدين وكُتّاب السلطة. ومن ثم باتت قيم النفاق والوصولية والنفعية والتواكل والصعود على أكتاف الآخرين هي الصفات الغالبة.

• تراجع القدوة؛ إذ أصبح الناس ينتقدون النموذج الذي يقتدون به، خصوصًا في ظل انتشار أخبار فساد أصحاب المناصب العليا والزعماء السياسيين والروحيين.

• تراجعت قيم العلم وازداد احتقار اللغة، كما تراجع التفكير العلمي، ومعهما تراجعت قيمة العمل الذي أصبح مقصورًا إما على أصحاب الواسطة أو خريجي الجامعات الأجنبية. وإزاء انتشار الفساد، تراجعت قيمة الأمانة، وشاع التسيب واللامبالاة.

• تراجعت قيمة الأسرة التي أصبحت تواجه خطر التفكك في ظل غياب التراحم، وزيادة مؤشرات الفردية والأنانية، واستغراق في المظهرية والتطلعات الخصوصية.

• تراجع قيمة الانتماء للوطن؛ إذ أصبح المواطن المصري جزيرة منعزلة، مستقلة عن الوطن، يشعر بوحدة غريبة وانكفاء على الذات، وذلك نتيجة لإقصائه عن المشاركة، إضافة إلى أنه لم يعد يشعر بأن الدولة تحتضنه وترعاه.

(٣)

هذا التشوه في منظومات القيم هو بالضبط بعض أعراض "الأنومي"، وهي الحالة التي تعبّر عن هشاشة المجتمع وتراجع قيمة الإيجابية، بما

يؤدي إلى تعثّر مسيرته وتدهور أوضاعه العامة. وقد وجدت أن ثمة اتفاقًا بين الباحثين على أن ذلك التدهور محصلة للتقلبات والهزات الثقافية التي تعرّض لها المجتمع المصري خلال نصف القرن الأخير، وهو ما أطلق عليه البعض وصف "الحراك الاجتماعي"، الذي فسّر به الدكتور جلال أمين ما جرى للمصريين، وتحدث عنه كتاب مركز الدراسات المستقبلية. واستفاض في شرح تأثيراته الدكتور علي ليلة، أستاذ علم الاجتماع في جامعة عين شمس، في كتاباته عن تحولات الثقافة ومنظومات القيم في مصر. وفي تعليقه على ذلك الحراك في بحث أخير له حول الموضوع، أورد شهادة خطيرة وموجعة، ذكر فيها أنه:

"على مدى نصف قرن جرت مياه كثيرة في نهر المجتمع، فعلى الصعيد الواقعي حدثت تحولات من المدهش أن يجود بها خيال. فقد بدأ المجتمع منذ صباح يوليو ١٩٥٢ من مجتمع تقوده أيديولوجيا ليبرالية مشوهة، إلى جانب منظومات قيمية مجاورة لم تندمج معها إن لم تعادها، فإذا بنا نعود بعد نصف قرن إلى مجتمع تقوده أيديولوجيا ليبرالية فاسدة، إلى جانب منظومات قيمية تجاوزها قد تختلف أو تتناقض معها. كما أننا تحركنا من مجتمع بدأ بطبقة عليا تسلك سلوكًا أنانيًا في غالبه وتتعارض مع البرجوازية العالمية، إلى مجتمع تسيطر عليه الطبقة العليا ذاتها بعواطفها الأنانية ونزعاتها الفردية. مجتمع بدأ بالثورة على الفساد وتغيير القيم الفاسدة، فإذا بنا ننتهي إلى مجتمع منتج للفساد، متخلٍ عن القيم، تعوق حالته عملية الإصلاح والتغيير".

في الشق الثاني من شهادته ذكر الدكتور علي ليلة أن الفضاء الثقافي المصري اخترقته ثلاث منظومات للقيم سوف تأتي على الأخضر واليابس إذا استمر الحال على ما هو عليه – على حد تعبيره – وهي كالتالي:

١- القيم الانتهازية التي حلّت محل القيم النضالية لدى شرائح عديدة من أبناء الطبقة الوسطى، وقد استذابت تلك القيم الانتهازية على خلفية تفضيل أهل الثقة والولاء على أهل الخبرة. وحين تقلدت نماذج الطبقة الوسطى المناصب العليا لإحساس النظام بالأمان

تجاههم، فإن ذلك دفع كثيرين من نظرائهم إلى أن يسعوا أو يطلبوا أن يكونوا بدورهم أهل ثقة. يضاف إلى ذلك أن مناخ الدولة الاشتراكية ساعد على نمو هذه البذور الانتهازية، حيث عوّدت الدولة بعطائها السخي دون مقابل أبناء الطبقة الوسطى على ثقافة الأخذ دون العطاء، الأمر الذي تطور إلى تفضيل الصالح الخاص على الصالح العام، ثم إلى استغلال الصالح العام لتمكين الصالح الخاص. وحين غرقت سفينة الاشتراكية سارع هؤلاء إلى السفينة الليبرالية. فأبناء الطبقة المتوسطة هم الذين ساعدوا في صياغة أيديولوجيا الانفتاح وترسانتها القانونية، وهم الذين تحالفوا مع الطبقة العليا الوطنية والعالمية، متناسين أنهم كانوا عماد الاشتراكية وأنهم شاركوا في تصفية تلك الطبقة. وهذه القيمة الانتهازية ازدهرت واتسعت مساحتها حتى باتت تشكّل إحدى منظومات الفساد والانهيار الثقافي والقيمي في المجتمع.

٢- إن المنظومة القيمية الثانية تتمثل في اتساع مساحة الثقافة الاستهلاكية بصورة تدريجية، سواء مع ارتفاع معدلات الهجرة من الريف إلى الحضر، أو جراء هجرة أعداد كبيرة من أبناء الطبقة المتوسطة إلى دول الخليج، أو نتيجة اختراق ثقافة العولمة لمجتمعاتنا، وهي الثقافة التي استهدفت المرأة والشباب بالأساس، واستخدمت الإعلام والإعلان وتكنولوجيا المعلومات لتصبح ترسانة جديدة من أجل القهر والتركيع الثقافي للشعوب.

٣- ثقافة الانحراف هي المنظومة الثقافية الثالثة التي بدأت توجد بمساحة واسعة في فضائنا الثقافي؛ إذ حين يغيب المشروع الاجتماعي أو القومي الذي يستنفر الطموحات ويلهمها، وحين تلعب الظروف الاقتصادية والسياسية القائمة أدوارها في تهميش فئات اجتماعية عديدة، فإن الهروب من ذلك الواقع يصبح أمرًا مفهومًا. واللجوء إلى المخدرات يمثل شكلًا من أشكال الهروب، كما أن الانحياز إلى التطرف من جانب ذوي المرجعيات الدينية يعد هروبًا من نوع آخر. ولأن التطرف يكون عادة وليد حالة الحصار، فإن الخروج من الحصار لا بد له من عنف، وذلك منزلق

آخر له شروره الكثيرة. وفضلًا عما سبق، فإن ثقافة الجنس خارج الشرعية تُعد حرامًا آخر متعدد الأوجه، تتراوح بين الاغتصاب والتحرش والتزاوج العرفي، وقد تصل إلى زنى المحارم.

(٤)

الدراسة التي أعدها مركز الدراسات المستقبلية في عام ٢٠٠٩، وتكونت أساسًا لرسم معالم الرؤية المستقبلية لمصر في سنة ٢٠٣٠، تحولت إلى منشور سري لم يُسمح به لأحد. وحين أشرت إليها في أحاديثي مع بعض من أعرف من الوزراء، فإنهم أبدوا دهشتهم حين سمعوا بأمرها، الأمر الذي يعني أن الموضوع في نهاية المطاف لم يُؤخذ على محمل الجد، وأن الدراسة عرفت طريقها إلى عالم النسيان بمجرد الانتهاء منها. ومن ثم بقي الحال كما هو عليه في ظاهره، إلا أن الحقيقة غير ذلك بلا شك؛ فحين تقف على منحدر بالحدة التي تبيّنت، فإنك لن تلبث في مكانك، ولكنك ستتدحرج حثيثًا نحو القاع.

إن الانهيارات التي أصابت قيم العدل والأمان والعلم والانتماء والأسرة، فضلًا عن قيم العمل والأخلاق الخاصة، من شأنها أن تؤثر في تماسك المجتمع وقوته. وحينما ينفرط عقد المجتمع وتسري فيه عوامل التفكيك والتشرذم، فلا ينقذه من كل ذلك سوى مشروع واضح المعالم يحدد ركائز الاستمرار ويوجه السير، وهو أهم ما تفتقده مصر في الوقت الراهن.

لقد قرأنا عن نظرية "الأوز الطائر" التي امتدت بها تجربة التنمية في دول جنوب شرق آسيا، والتي تصوّر عملية النمو بطيران أسراب الأوز؛ هي المقدمة، تأتي اليابان باعتبارها القائدة، يليها السرب الأول الذي ضم كوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة، ثم السرب الثاني الذي يشمل ماليزيا وتايلاند وإندونيسيا، أما السرب الثالث فيضم كمبوديا وفيتنام.

سمعنا أيضًا عن سياسة "النظر شرقًا" التي اتبعتها ماليزيا في الثمانينيات، في اقتدائها باليابان وكوريا الجنوبية، وكيف أن تلك الرؤى حين خرجت إلى حيز التنفيذ بإصرار وجدية شكّلت رافعة لتتقدم شعوب

تلك الدول التي سُمّيت بالنمور الآسيوية. لكننا لم نسمع حتى الآن في مصر نداءً يرد إلينا الروح ويحيي فينا الأمل في المستقبل، في حين أن كل ما نسمعه لا يخرج عن كونه ضجيجًا بلا طحن، وهرج هواة أو حواة لا يغني ولا يسد من جوع.

فهمي هويدي

(أشياء لا تُعوض)

هناك ثلاثة أشياء لا تُفرِّط فيها أمام قسوة الحياة: صديق من الزمن الجميل، ومال قليل يسترك في وقت الحاجة، وما بقي لك من راحة البال وصحة البدن. في زمن أصبحت فيه الصداقة حلمًا بعيد المنال، لا بد أن تحافظ على ما بقي لك من أصدقاء الزمن الجميل؛ لأنهم ثروة لا تُعوض.

أصبح من الصعب الآن أن تكسب صديقًا جديدًا وسط هذا الزحام؛ ما أكثر الناس، ولكن لا ترى منهم أحدًا. وأكبر الخسائر في الحياة خسارة الأصدقاء.

أما المال فليس بحجمه وأرصدته، ولكن بقدر ما يكفي مطالبنا، وأحلام المال قد تكون أرضًا شاسعة تمتد بطول النظر، وقد تكون حديقة صغيرة تجمع القليل من الأزهار والأشجار. والزهور لا تتساوى؛ هناك زهور تمنحنا العطر، وأشجار تمنحنا الثمار، والمال يزيد بالقناعة والترفع.
فإذا تغيرت الأشياء والفصول والمواسم، حاول أن تحافظ على ما بقي لديك؛ لأن أسوأ الأشياء حاجة بلا مال، وعمر بلا صحة. أما راحة البال فهي كنز يمنحنا القدرة أن نقاوم العواصف ونرتاح قليلًا على شاطئ الزمن.

إذا جاء الطوفان فلن تجد أبدًا من يمنحك راحة البال؛ لأنها ليست مشاعًا. إن الإنسان وحده هو الأقدر على أن يريح نفسه من أشياء كثيرة يفرضها الآخرون عليك.

إن العمر بلا صحة صفقة خاسرة، والحاجة بلا مال هوان للنفس ودمار للكبرياء. أما الأصدقاء فهم زاد من لا زاد عنده، وعون لمن لا عون له.

سوف تجد حولك كل هذه الأشياء؛ ستجد صديقًا تخلى، وتجد مالًا ضل الطريق، وتجد من يبخل عليك بساعة من الزمن تنام فيها دون أن

تطاردك أحلام مزعجة. لو بقي لك صديق واحد فهو يكفي، ولو بقي لك من المال ما يسترك فهو يكفي. أما الصحة فهي نعمة الله، وراحة البال.

في هذا الزمان تصبح الخيارات صعبة، خاصة أنه لا أحد فينا يملك الحق في أن يختار. أنت لا تختار المال؛ لأنه رزق من الله، ولا تختار راحة البال؛ لأنها هبة من السماء. أما الصحة فهي الشيء الوحيد الذي تملك أن تحافظ عليه، ولا تُسرف فيه.

فاروق جويدة

(قوة الحبِّ)

يقف الحب وراء كل الأعمال العظيمة في العالم، كما تختبئ الكراهية وراء معظم المآسي البشرية، والحب فكرة مركبة ومعقدة، بمعنى أن له أكثر من وجه وأكثر من زاوية، وانحصار الإنسان في زاوية واحدة يعني انطفاء بقية الزوايا وخمودها، ويعني ضياع المعنى الكلي الشامل.

ويدخل معنى الحب في تركيب نسيج الكون، كما يدخل في نسيج العلاقات الإنسانية، وأفضل ما قيل عن دور الحب إنه مثل دور الشمس، أي مصدر للطاقة والنماء وسبب للفعل والحركة.

وكثيرًا ما يتساءل الإنسان عن ماهية الحب: وهل نحن في حاجة إليه؟ وما مدى هذه الحاجة؟

والحق أن الحب في معناه العميق يعني احتواء روح لروح أخرى، وقد تكون هذه الروح الأخرى إنسانًا أو حيوانًا أو جمادًا أو حلمًا أو فكرة نبيلة.

والحب يعني انتفاء الوحدة والعزلة والاغتراب، ويعني أن يزرع الإنسان شجرة يعرف أنه لن يأكل من ثمرها، ويعني أن يحس الإنسان بالألم لأن هناك بؤسًا ليس من صنعه، وعليه أن يقومه ويصححه برغم أنه ليس من صنعه. ويتصور كثير من الناس أن الحب لا يحتاج إلى موهبة، وأن أي إنسان قادر عليه، وهذه الفكرة ليست صحيحة؛ إن الكراهية أبسط من الحب وأيسر وأسهل، وتستطيع أي نفس إنسانية تخلو من الحب أن تكره وتحقد.

أما الحب فيحتاج إلى موهبة، كما يحتاج إلى عمل وجهد.

وحين تتراجع فكرة الحب في مجتمع ما، حين تتراجع الفكرة بمعناها الأشمل، تصعب الحياة في هذا المجتمع وتقسو، ويتحول الوجود الإنساني

إلى ما يشبه حياة الغابة، حيث يأكل القوي الضعيف، ويمضي الصراع من أجل البقاء.

ومصدر الحب في الكون كله هو الله، بل إن الحب في ذاته سر من أسرار الحق، وهو سر لا يُفَضّ أختامه، ويمنح نفسه لمخلوق إلا إذا ارتفع المخلوق وخلف وراءه سطح الغرائز وصعد إلى قمة الجبل.

أحمد بهجت

(ورحلت أُمي)

كلما زادتها السنين انحناءً أو ضعفًا، وكلما زادها الزمن بخطوطه وثِقله عليها، زاد ارتباطك بها وتكثّف حنانك عليها، وكأنك تريد أن تقول لها وأنت تحت قدميها: أرجوكِ اقبلي قطرة من حنانك الذي أسبغتِه على طفولتي، وعطفك المجرّد على ضعفي وهواني وأنا صغير أحبو، وأتطلع للحياة التي بدونك ما كانت ولا كنت.

إن رحيل الأُم مهما طال الزمن هو فقدان لوجود قدسيّ في أيامك. إن رحيلها، مهما داهمته الأيام وتراكمت عليه خطوات الزمن، هو فاجعة كبرى، وكأن حنان الدنيا قد رحل معها في قبرها، وفقدت الدنيا معنى كبيرًا للحب الذي يعطي بلا مقابل، والرحمة المُهداة التي تأتيك دون أن تطلبها.

يزيد الألم ويطعن في قلبك الموجوع كلما تألمت هي من وقع مرض يصيبها، أو هزال وضعف يأتيها، وأنت لا حول لك ولا قوة. ويزيد الحزن في المستشفى الاستثماري المستغل، وهو يستنزفك مهما كنت ومهما كان موقعك. ويزيد همك عندما تجد المعاملة لمن تحب وتعشق تُعامل كرقم، كزبون، وليس كقيمة قصوى يجب ألا تمتد إلى جسدها الطاهر المريض إلا يد حانية، مؤدبة، مهذبة، ومدركة لكل تلك القيمة التي تتعامل معها.

ويزداد الهم عندما تجد أطباء، كلٌّ يعمل في جزيرة منعزلة؛ طبيب العظام لا يدرك أن الجسد وحدة متكاملة، وأن التدخل قد يصيب قلبًا ضعيفًا لا يحتمل مسكنات تقتل، ولا تدخلات قد تميت. وطبيب الأشعة والمقطعيّات وأشعة الإشعاعات لا يريد أن يضع تشخيصًا دقيقًا، وهو تائه غير محدد، ولا هو قادر على ذلك. وكل التحاليل لا تعطيك استنتاجًا واضحًا. الفريق الطبي مشتّت، المهم: تدفع كام؟ والمستشفى تخرج منك بإيه؟

وليس هذا مهمًا أمام آلام تعانيها الأُم، ولكن الأهم هو أنك تواجه طبًا معتلاً، وفريقًا مهتزًا، غير واعٍ ولا مُدرك.

ورحلت أُمي... ورحلت معها كل معاني الحنان الكبير، والحضن الآمن، ومصدر العطاء الوحيد في هذه الدنيا بلا مقابل.

د. محمد حسن الحفناوي

(لا تندم)

بعض الناس يندم لأنه عاش حياته أمينًا مترفعًا، فلم يعرف المال الحرام، ولم يسلك طريق الدجل، ولم يتاجر بالدين أو يدعِ الفضيلة. أحيانًا تراه يجلس مع نفسه وقد ضاقت حوله كل السبل، ويتساءل عن رفاق شاركوه العمر، وكل واحد منهم نهب شيئًا، وأصبح أبناؤه في أعلى المناصب، ولديه القصور والسيارات والخدم، بينما هو يعيش حياته مستورًا. الأبناء تعلموا، وكل واحد منهم شق طريقه في الحياة بجهده وعرقه، منهم من سافر إلى دولة شقيقة، ومن بقي ينتظر فرصة لا تجيء. إنه يسأل نفسه أحيانًا: لو كنت فعلت ما فعل زملاء المشوار، لو جمعت مالًا من هنا أو هناك، ولا يهم إذا كان حلالًا أم حرامًا، لأن اللصوص أصبحوا سادة القوم، ومن معه المال يملك كل شيء. وتدور دوامة الندم ما بين الأسف على عمر ضاع في الحلال وأبناء ينتظرون الرحمة عند الحاجة.

لا ينبغي أبدًا أن نندم على فرصة ضاعت منا لأننا شرفاء، لأن للشرف ثمنًا أكبر من كل الأشياء الأخرى. حين ينظر الإنسان في المرآة بعد أن رحل العمر، يكتشف أن صور الضحايا الذين ظلمهم تحيط به من كل جانب كالأشباح، وأن المال الحرام الذي جمعه سوف يبقى لعنة تطارده حيا أو ميتًا، وأن هناك شيئًا يسمى الحساب، سواء جاء في الدنيا أو تأخر إلى الآخرة. وللأسف، أن هذا الكلام لم يعد مجديًا هذه الأيام لأن صوت الباطل أعلى، ولأن البطولة الآن ليست أن تكون أمينًا، بل أن تكون لصًا، ولأن الشرف كلمة غابت عن قوانين الحياة أمام حشود النصب والتحايل. هذه الأمراض التي طفحت على وجه الحياة لا تعتني أبدًا بأن يصبح اللصوص سادة، حتى لو أصبحوا فوق الجميع.

لا تندم لأنك عشت حياتك إنسانًا أمينًا، لأن للأمانة رائحة تفوح دائمًا وتملأ الكون بالجمال والرحمة. ولا تحزن لأنك ترفعت عن أشياء كثيرة هرول إليها الآخرون بالدجل والباطل. مهما ساءت الأحوال وتغيرت

الظروف، سوف يبقى اللصوص لصوصًا، حتى لو سكنوا القصور، وسوف يبقى الشرفاء شرفاء، حتى لو جمعتهم القبور.

فاروق جويدة

(ست الحبايب)

عشت سنوات أحب أغنية ست الحبايب للراحل العظيم محمد عبدالوهاب، مع كلمات الرائع حسين السيد والمبدعة فايزة أحمد.

كنت أعيش أجمل اللحظات مع هذه الأغنية التي تسربت إلى كل بيت وأصبحت أنشودة نرددها للأمهات. كانت الأسرة تجتمع حولها في عيد الأم، ولم أكن يومها أعرف أن هذه الأغنية تحرك جراحًا كثيرة لهؤلاء الذين رحلت أمهاتهم. ومنذ رحلت أمي، أصبحت هذه الأغنية عبئًا ثقيلاً على قلبي، وأفضل دائمًا أن أهرب منها.

إن الإنسان يجرب في حياته كل ألوان الحب، ولكنك لن تجد إنسانًا يحبك أكثر من نفسه إلا أمك. إنها تعطي بسخاء دون انتظار المقابل، إنها تراك أعظم الناس في هذه الأرض مهما كنت بسيطًا، وحين تكبر أمام عينيها ويخبو ضوء العينين، تحجب ما بقي من ضياء عيونها لعله يرشدك ويعينك في رحلة الحياة.

إنها تدخر كل شيء لك، ما بقي لها من العمر وما بقي لها من الصحة. إنها تعتقد أنها خلقت من أجلك أنت، وحين تكبر أمامها، فهي لا تراك أبدًا إلا ذلك الطفل الذي احتضنته ومنحته العمر والشباب والحياة.

جرب في حياتك العشرات من قصص الحب، وسوف تواجهك مزادات وصفقات في علاقات كثيرة، ولكن هناك صدر واحد سوف يحتويك كل العمر، في صحتك ومرضك وغناك وفقرك، وفي عذابك وفرحك. إنها أمك، أنت قطعة منها تشكلت من دمها، وسرت في عروقها، وعشت معها روحًا تنطلق في سماء روح وجسد يتشكل منها يومًا بعد يوم.

وإذا كانت قد احتوتك روحًا وصاغتك جسدًا، فهي بعد ذلك منحتك أول درس في الحب، وأجمل درس في الحنان، وأصدق دروس الحياة في العطاء.

سوف تجد قلوبًا كثيرة أحبتك وشاركتك رحلتك في الحياة، ولكن حب الأم شيء لا يتكرر أبدًا. إنها نسخة وحيدة في هذا الكون، وحين خلق الله الرحمة، جعلها سلطانة على كل القلوب، وحين غرس الحب في الأرض، توجها ملكة على كل المحبين.

حتى وهي في رحاب خالقها سبحانه، تبقى دائمًا ست الحبايب. كل سنة وكل الأمهات بخير.

(هكذا علمتني الحياة)

حين تجلس وحيدًا تسترجع ذكريات أيامك العابرة، لا تتوقف كثيرًا أمام لحظات الحزن والألم. لا تتوقف عند قلب خدع، أو صديق خان، أو لحظة عذاب مرت عليك. لا تتوقف أمام صفقة خاسرة أو فرصة ضاعت منك. حاول أن تسترجع لحظة حب صادقة، حتى وإن كانت نهايتها المستحيل. حاول أن تسترجع لهفة أمل بريء، حتى وإن ضاع. حاول أن تذكر ملامح امرأة سافرت يومًا في وجدانك، ولم تندم حين منحتها الحب والمشاعر.

حاول أن تذكر معارك ربما خسرتها، ولكنك كسبت نفسك، لأن أكبر الخسائر أن يفقد الإنسان نفسه. تذكر أشخاصًا مدّوا لك أيديهم والرياح تعصف بك، والموج يبعدك عن الشاطئ. لا تتذكر ظلمة ليل حاصرك، ولكن تذكر بريق نهار هداك.

كن كالأشجار، تعطي ثمارها لكل من جلس حولها أو تسلل فوق أغصانها، فهي لا يهمها من أخذ، ولكن يسعدها ما أعطت. كن كالنسمة حين تصافح الوجوه، فهي لا تترك إنسانًا لتذهب إلى إنسان آخر، إنها تسعد الجميع. حاول أن تكون عطرًا لا يكتفي بوجه من حمله، ولكنه يفوح في كل الأماكن.

لا تسترجع صور الوجوه الكريهة التي حقدت عليك بلا سبب، وحاربتك بلا جريمة، وألقت الحجارة على رأسك وأنت تنشر الزهور على كل البشر. انظر إلى النهر الجميل وأنت تغني سعيدًا على الشاطئ، سوف تشاهد جثث هؤلاء الذين عذبوك يومًا. وسوف ترى خلف القضبان وجوهًا احترفت الموت وعشقت الطغيان. ويكفي أنك لم تهادن الشر، ولم تحترف القبح، ولم تغنِّ لغير الفضيلة.أنت وحدك عالم فسيح، فلا تترك أحدًا يحاصرك في ركن صغير وتسجن نفسك فيه بإرادتك. لا تتذكر هؤلاء الذين تركوا لك جراحًا، إن الأيام قادرة على أن تلمّ الجراح، وسوف يبقى العذاب الحقيقي للأيدي التي جرحت، وليس للجرح الذي نزف. لا تغضب من إنسان أساء فهمك، أو غدر بك بلا سبب، أو أهانك لسبب لا تعرفه،

لأن الحشائش دائمًا تكره الأشجار، وتتصور أن الشموخ حق للجميع، رغم أن الكبرياء لا يُباع ولا يُشترى. والصغير يبقى صغيرًا ما دام قد سجن نفسه في سجن الصغائر، والكبير يكبر كلما كبرت فيه حدائق الشموخ والكبرياء.

لا تحزن على حبيب مضى، أو صديق ابتعد، أو رفيق رحلة خان، فهؤلاء جميعًا لا يستحقون منك لحظة ألم، فلا تعطِ الشيء لمن لا يستحقه. هكذا علمتني الحياة.

فاروق جويدة

(لماذا تغيرنا)

قالت: لماذا تغيرت صورة الحب عند الناس؟.. تراه لحظة عابرة عند البعض، وتراه مجرد نزوة عند البعض الآخر، وقد تراه مجرد مصالح متبادلة. أما المشاعر والأحاسيس فقد غابت تمامًا عن قلوب المحبين. أين ما كنا نسمعه عن الشوق والحنين والذكريات؟.. وأين ما أحببنا في أغاني أُم كلثوم وعبدالوهاب وعبدالحليم؟.. أين شاطئ النيل قبل أن تُشوَّه ملامحه بالكتل الخرسانية وزحام التوك توك واغتيال الأشجار وهدم القصور والفيلات العريقة؟.. ما الذي تغير فينا؟.. هل البشر أم الأماكن أم الظروف التي فرضت على الناس هذه الأساليب المشوهة في السلوك والأخلاق؟.. هل شاهدت مشاهد الحب على الشاشة في مسلسلات رمضان؟.. أين هذا من أفلام فاتن حمامة وسعاد حسني وماجدة وسميرة أحمد؟.. هناك خلل ما أصاب الشخصية المصرية وغير ملامحها.

قلت: في الأرض المالحة تموت الزهور وتسقط الأشجار، وحين تفسد التربة يصبح من المستحيل أن تحتضن الأرض الأشجار، وهذا ما حدث في حياتنا. لقد فسدت التربة أمام ثقافة الجهل والتدين الكاذب وسطوة المال الذي أصبح سلطانًا على الجميع. إن الابن يقتل أباه الآن، والأم تذبح زوجها، كل هذا من أجل مبلغ من المال أو قطعة أرض أو جدار.

حين فسدت التربة سافرت الرحمة، وبقي الملح يطارد الأغصان والثمار ويسقط الأشجار. (حين تغيب الرحمة لا مكان للحب في أي أرض أو زمان). إن الأم هي أول مدرسة للحب، وهي امرأة معذبة ومقهورة ما بين مجتمع ظالم وظروف صعبة ومتاعب لا تقدر عليها، فمتى تحب؟..

والرجل المهان في كرامته ورغيف عيشه.. إنه مهان في العمل، وفي الشارع، وأمام أبنائه في البيت، أمام الحاجة.. كيف يحب وهو لا يتلقى كل يوم إلا الإساءات؟.. إن مدرسة الحب الأولى، وهي المرأة، قد تغيرت في

كل شيء، والرجل العاشق يشعر بالعجز أمام ظروف صعبة واحتياجات لا يستطيع أن يلبيها أو يوفرها.

في هذا الجو خرج الأبناء تطاردهم إعلانات التلفزيون ومسلسلاته وبرامجه، فتتحرك فيهم الرغبات والنوازع، فلا هم قادرون على تحقيق أحلامهم ولا هم قادرون على الصبر، وما بين العجز والصبر تمضي رحلة الحياة، فيصبح الحب ضيفًا غريبًا بين الناس.

فاروق جويدة

• لا تبالغ في الحب حتى لا تندم إذا كان نصيبك جفاء الآخرين. وليس معنى ذلك أن تبخل بالمشاعر، ولكن أن تحسب حساب الأيام حين تتغير، وتجد حديقتك التي رعيتها بالود وقد صارت أطلالًا موحشة. إن الحب مثل كل الأشياء: إذا زادت الأمطار أصبحت سيولًا، وإذا ارتفعت الأمواج صارت طوفانًا، وإذا أسرفت في حبك مع من لا يستحق خسرت الحب والإنسان معًا.

• لا تبالغ في ثقتك بالآخرين، وليس معنى ذلك أن تترك أبوابًا للشك والظنون، ولكن أن تترك لنفسك مخرجًا إذا شعرت أن الأشياء حولك تضيق، وأن من كان حبيبًا صار غريبًا، ومن كان صديقًا لم يعد كما كان. هنا قد تحتاج نقطة ضوء تضيء لك الطريق، وقد تحتاج شيئًا يؤنسك وأنت غارق في ليل من الوحشة. هنا يمكن أن تجد لنفسك ملاذًا يحميك من سخط الآخرين.

• لا تبالغ في إحساسك بالأمان؛ لأنه لا يوجد شيء آمن دائمًا. العمر رحلة، والأقدار مشيئة، والمال لعبة، والحب قد يكون صفقة خاسرة. إن إحساسك بالأمن يجعلك أحيانًا تضعف، وربما في لحظة ضعف تستسلم، ولا تعرف من أين جاءك السهم القاتل. إن الإحساس بالأمن يجعلنا لا نرى تفاصيل الأشياء حولنا، والكون حولك كبير واسع، ولا تعرف أي الدروب ستحملك، ومن أي الأماكن سوف تصيبك السهام.

• أقرب الأشياء إليك نفسك، فلا تقامر عليها؛ فإنه لا يوجد في الكون، كل الكون، إنسان يقدرك أكثر من تقديرك لنفسك. أنت الوحيد الذي يدرك قيمتها، حتى لو هانت على الناس جميعًا فلن تهون عليك. لا تتردد في أن تحب نفسك وترفعها أمام الآخرين؛ لأن الذين يحتقرون أنفسهم داستهم الأقدام واستباحتهم الأيام دون ذنب أو جريمة.

• أحب دائمًا مقولة سيدنا علي كرم الله وجهه:

"أحبب حبيبك هونًا ما، عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما، عسى أن يكون حبيبك يومًا ما".

فاروق جويدة

(عندما تبلغ الستين)

عندما تبلغ الستين يجب أن تتغير، واحذر أن تعيش بمفردك بمعزل عن الناس، وأعد توجيه نفسك واهتم بممارسة الرياضة والتزاور، وافتح باب منزلك للجيران والأصدقاء والأحباء.

لم يبق لك من نفسك إلا سنين أقل كثيرًا مما مضى، فلا تحمل هموم الدنيا، وابتعد عن تتبع الأخبار المزعجة، فلم يعد العالم من مسؤوليتك ولا اهتمامك. اطلب من أبنائك ألا يزعجوك بالأخبار السيئة. استمد الطاقة الإيجابية من المواقف التي تسعدك، وتجنب الدخول في جدال مع أحد، فكل بعقله راضٍ ومقتنع.

ساعد الآخرين وتصدق على المحتاجين، فكلنا يا عزيزي راحلون. اترك وهم أنك ذو خبرة وأنك مسؤول عن تصحيح أخطاء الآخرين. وتذكر أن المتبقي لك في الحياة لا يكفي لتقاسمه غيرك. راحة بالك اليوم أهم بكثير من تصحيح أخطاء الآخرين. ركز فقط على الجانب المشرق للناس، وقلل من انتقادهم وأكثر من الثناء عليهم. لا تدخل في منافسة مع أحد.

تذكر أنك متقاعد، والتقاعد هو أن تتفرغ لحياتك أنت، وعليك أن تدرك أنك لست في مجال التحدي أو الانتصار للنفس. فلا تقطع علاقاتك بالآخرين حتى لا تنتهي حياتك وحدك، واجعل غايتك أن تكون سعيدًا بصحبة أصدقائك وعائلتك وأبنائك وأحفادك، فهم وحدهم الذين يعطونك الطاقة الإيجابية ويبعدونك عن الوحدة.

وتقرب إلى الله بأعمالك الصالحة، وبقراءة القرآن الكريم، وإقامة الصلاة، فهذه هي التي تفوز بها وتصحبك في نهاية العمر. الحياة قصيرة، والأصدقاء والزملاء والأقارب يتساقطون دون أي إنذار، أعمارهم تنتهي فجأة بلا مقدمات، وأخيرًا نقول: "نزلناها ثم ارتحلنا، وهكذا الدنيا نزول وارتحال".

نصر زغلول

(الملائكة لا تسكن الأرض)

لو كنت تبحث عن الاقتراب من الكمال يا صديقي، فأبشرك بفشل عظيم، لأنه لله الخالق وحده. ولكن حاول أن تكون في زمرة الأسوياء الذين تظهر تعاليم كل الديانات السماوية في أخلاقهم وتصرفاتهم.

والكتمان يا صديقي، والستر من أفضل الخصال التي يتحلى بها البشر، ويزيدان من احترامك لنفسك واحترام الآخرين لك.

وتظهر أخلاقك الحقيقية في وقت الخلافات، التي قد تؤدي إلى القطيعة وغالباً ما تكون أسبابها واهية ولا تستحق. أنسِ كل ما تعرفه عنه وادفنه في سابع أرض، ولا تكن فاجراً في خصومتك. فالخصومة ليست دائمة، والصداقة كذلك. فالأذى النفسي أشد ألماً من الجسدي، وخيانة الأمانة أفظع.

فالألم الأكبر يأتي غالباً من صديق سابق، كنت كتاباً مفتوحاً أمامه، يعرف نقاط ضعفك أكثر ممن نصب نفسه عدواً لك. فلا تحتفظ أبداً بأسرار غيرك، امحها فوراً من ذاكرتك حتى لا تستطيع استدعاءها في لحظات ضعفك الإنساني.

حاول أن تسامح مهما يكن الذنب كبيراً من وجهة نظرك، ولا تهتم بالتفاصيل الصغيرة رغم إغراءاتها.

كن صديقاً مهذباً، جابراً للخواطر، وآمناً بأنك لن تستطيع أن ترضي كل من حولك، لأنك ببساطة لست ملاكاً ولن تكون، لأن الملائكة لا تسكن الأرض.

عطية أبو زيد

(عبادة جبر الخواطر)

استوقفتني جملة في غاية الروعة والجمال كتبها سفيان الثوري، وهو فقيه كوفي وأحد أعلام الزهد وإمام من أئمة الحديث النبوي، يقول فيها: "ما رأيت عبادة أجّل وأعظم من جبر الخواطر".

فما أن قرأت هذا القول حتى تذكرت تلك الحكاية شديدة الروعة والتي تفيض بالمشاعر الإنسانية الراقية. الحكاية تقول إن شخصاً مرموقاً ركب الطائرة في رحلة عمل، وكانت تجلس بجانبه امرأة مُسنة لا تعرف شيئاً عن حياة الترف والرفاهية. وبعد إقلاع الطائرة، قامت المضيفة بتقديم وجبات الطعام، ومع كل وجبة كانت تُقدّم قطعة حلوى بيضاء اللون. ظنت المرأة المُسنة أنها قطعة جبنة بسبب هذا اللون الأبيض، ففتحتها وبدأت تأكلها مع قطعة خبز.

لكن عندما اكتشفت أنها حلوى شعرت بإحراج شديد، ونظرت إلى الرجل الذي يجلس بجانبها، فتظاهر بأنه لم يشاهد ما فعلته. وبعد لحظات قليلة، قام بفتح قطعة الحلوى في وجبته التي قدمتها له المضيفة وفعل نفس الشيء الذي قامت به المرأة المُسنة، فضحكت المرأة.

فقال لها: "سيدتي، لماذا لم تخبريني أنها حلوى وليست جبنة؟"

فأجابت: "وأنا كذلك كنت أظنها جبنة مثلك"، واستمرت في الضحك وهي تشعر بالارتياح!

بالتأكيد كان يعرف أنها ليست جبنة، ويعرف أنها رحلة وتنتهي، ويعرف أنها مجرد امرأة بسيطة. لكنه كان يعرف قيمة جبر الخواطر، ويعرف أن إماطة الأذى عن مشاعر وقلوب الناس لا يقل درجة عن إماطة الأذى عن طريقهم.

وبينما نستقبل عاماً جديداً، ليتنا نتعلم كيف ننأى بأنفسنا عن كسر القلوب. اجبروا الخواطر، وراعوا المشاعر، وانتقوا كلماتكم، وتلطفوا

بأفعالكم، ولا تؤلموا أحداً، وتذكروا أن من سار بين الناس جابراً للخواطر أدركه الله في جوف المخاطر.

أشرف مفيد

(البداية الصحيحة)

عندما يثور السؤال: هل في العمر بقية لتصحيح أخطاء الماضي وتحقيق أحلام المستقبل؟ فإن الإجابة هي: "ولم لا، وقد خلق الله الإنسان، وخلق له المستقبل ليظل دائماً متفائلاً برحمته تعالى، وواثقاً من حسن تدبيره وإدارته مجريات حياته كلها". وهناك سؤال آخر: لماذا نحن دائماً لا نبدأ من حيث انتهى الآخرون؟ ولماذا يصر كل منا على خوض التجربة بنفسه متجاهلاً كل وسائل النصح والإرشاد التي يوجهها إليه من مر بالتجربة من قبل؟ ولماذا نكبد أنفسنا عناء تجربة نتيجتها محسومة،

بل نحرص على أن نرتحل حتى وإن علمنا أن الرحلة شاقة والطريق طويل، ربما ينفد منا فيه ما ادخرناه من جهد وطاقة، آخذاً معه عدداً لا بأس به من سنوات العمر ليتركنا في النهاية أمام مفترق يصعب فيه الاختيار، ويستحيل فيه الرجوع؟ إنني أرى صوراً ومواقف تبدو وكأنها أصبحت نمط حياة، أراها يومياً في رفض الأبناء نصائح آبائهم والاستفادة من تجاربهم في الحياة، وفي زوج عنيد يرفض نصيحة زوجته المحبة التي ترى العالم من حوله بعين مختلفة تستشفها من فرط حبها لأسرته وحرصها على إسعادهم. وطالما كانت فطرتها صحيحة ونظرتها صائبة، فإن الزوجة المتجبرة القاسية القلب تقدم زوجها وأولادها قرباناً لتحقيق رغباتها ونزواتها، ضاربة بذلك عرض الحائط بقدسية الحياة الزوجية، ومستهينة بكل ما أعطاها الله من نعم ربما حُرمت منها من هي أفضل وأتقى منها، ولكنه اختبار من الله، وهي متجاهلة في ذلك تجارب من كن مثلها ولاقين أشد أنواع العقاب. أما على الصعيد العام، فدائماً ما نجد بعض من يتولون إدارة أو رئاسة أحد الأماكن الصغيرة أو الكبيرة، والذين تغلبت عليهم أنفسهم فصورت لهم أنهم الأحسن والأفضل، ودفعهم التعالي والكِبر إلى إنكار كل إنجاز وتهميش أي نجاح لم يكن لهم دور فيه، لتنتهي بهم الحال إلى إلقاء جهود كل من سبقوهم إلى سلة المهملات، لتذهب أدراج الرياح آخذة في طريقها كل ما استنفذته من إمكانيات وموارد مادية أو بشرية، بدلاً من أن يسترشدوا بها لتحقيق

مزيد من النجاح، وتلافي مزيد من الأخطاء، مما يوفر الوقت والجهد، وما أحوجنا لذلك.

وينازعني السؤال: لماذا نحن هكذا؟ وإلى متى سنظل نكرر أخطاء الماضي؟ بل أننا نجملها ونزينها لتبدو في أبهى صورها، وكأننا نخشى مواجهتها لكي لا تذكرنا بالفشل والإخفاق. وما العيب أن نعترف أننا يوماً قد ضللنا الطريق وعلينا استعادته؟ فليصالح كل منا نفسه، معترفاً بأخطائه، وليخرجها من بروازها الأنيق ليهوى بها إلى مكان سحيق لا عودة منه. ولنفتح قلوبنا وعقولنا لاستيعاب الحاضر برونقه وجماله وحتى مشكلاته وعثراته، فهو يوم جديد منحنا الله تعالى إياه مع فرصة أخرى للحياة. فلنستجب ولنبدأ، ولكنها ليست كأي بداية، فلنبدأ من حيث انتهى الآخرون.

ماجدة سالم

(قوانين الحياة)

هناك ١٢ قانونا في علم النفس إذا بدأت في تطبيقها ستغير حياتك. وهي "قانون الراحة النفسية"، فالتجاهل يعيد كل شخص إلى حجمه الطبيعي، و"قانون الاستغناء"، فليس كل ما تستغنى عنه خسارة، وبعض الأمور يعد الاستغناء عنها بداية أفضل، و"قانون تطوير الذات" أي أوجد لك مكانا في القمة، ففي القاع ازدحام شديد، و"قانون إثبات الذات"، فقم بين حين وآخر بتحديث قوانينك وأسلوبك حتى تصبح واضحا ومميزا للجميع، و"قانون التمييز" بمعنى أن تبدع بأسلوب وأنت في قمة الاسترخاء، ويقلدك الجميع، و"قانون التحدي"، بأن توجد لك مكانا بين الكبار، ويعترف به، و"قانون إدارة الوقت"، فكن كالسفينة التي تمشي بين الأمواج بالعلم والمعرفة، و"قانون الأهداف"، فحياة من غير هدف، مثل جسد من غير روح، و"قانون الوعي"، فإن بلم تدرك أخطاءك، فلن تتعلم الصواب، و"قانون التعلم"، بمعنى إن لم تتألم لن تتعلم، و"قانون التغيير"، فإن لم تتغير، فأنت تخسر حياتك.

محمد مدحت لطفي أرناؤوط

(كسر الخواطر!)

عندما تأتيك رسالة متأخرة، فهي أفضل بكثير من ألا تأتي، لكن التوقيت قد يكون أهم من الرسالة نفسها.

إذا تأخرت، فقد تفقد كثيراً من قيمتها، خاصة إذا كانت تتعلق بجوانب إنسانية، وإذا جاءت مبكراً، فيمكن أن تعظم من المشكلة التي تخصها.

والتفاعل مع الرسالة يتوقف على مرونة مستقبلها، فهناك من يعدل أوضاعه بسرعة غير عادية، وهناك أيضاً من لا يستطيع التعديل سريعاً، وأنا منهم.

كلنا يريد العيش في سلام وهدوء، وأن ننعم بالدفء الاجتماعي والحب.

يمكن أن نتناسى رغم كونها عملة مرهقة وتحتاج إلى نفوس قوية، وربما تخونك قوتك في منتصف الطريق، ولكن إصرارك سيجعل النجاح حليفك بالتأكيد.

ـ التمس الأعذار للآخرين.

ـ احترم مشاعرهم لآخر نفس.

ـ الخبرات المشتركة بينك وبين الآخر إذا لم تكن يغلفها الدفء، فالمشاكل قادمة لا محالة، حتى لو كانت من الحبيب.

ـ خذ وقتك، نقِّ روحك، حلِّق في عالمك غير المحدود، كن مصدراً للدفء الإنساني حتى تستطيع العودة أو التحرك إلى الأمام بسلام وسكينة.

وإذا لم تأتك الرسالة، اترك كل شيء للصدفة الصافية. وإياكم وكسر الخواطر!

عطية أبو زيد

(مرض "التشهير")

اعلم جيداً أن "النفس البشرية" أرهقت الأنبياء وأجهدت عقول الحكماء، ولكن ما لا أعلمه ولا أجد له تفسيراً هو أن يستفحل خطر تلك النفس البشرية على هذا النحو الذي نراه بيننا، حيث نسمع يومياً وبشكل لافت للنظر قصصاً وحكايات وهمية لا وجود لها على أرض الواقع، لأنها في حقيقة الأمر من صنع خيال نفوس مريضة يعز عليها أن ترى أحداً ينعم ويهنأ بما يمتلكه بين يديه.

تلك القصص الوهمية التي يتم اختلاقها من أجل إفساد فرحة البعض بأي شيء جميل، تذكرني بقصة قديمة كنت قرأتها من حكايات الشعوب، تقول إن شاباً أحب فتاة كانت في منتهى الجمال، وبعد أن قرر خطبتها أراد أن يسأل عن أخلاقها، ففوجئ بمن التقاهم، وسألهم عنها، يقولون له إنها فتاة "سيئة السمعة" ولا تصلح لأن تكون زوجة له، خاصة أنه شاب وسيم وثري.

شعر بالصدمة وعاد إلى بيته وهو "مكسور الخاطر"، وبينما هو في طريقه إلى البيت، وجد رجلاً مُسناً يقترب منه ويسأله عن سبب هذا الحزن الذي يملؤه، والذي جعله يسير وهو شاحب الوجه. فحكى له حكايته مع هذه الفتاة وكيف أن الحزن يملأ قلبه لأنه كان قد أحبها حباً كبيراً.

فقال له الرجل العجوز: "لا تحزن يا ولدي، وسوف أزوجك ابنتي، فهي أجمل منها وأفضل منها في الأخلاق"، واشترط عليه أن يسأل عنها أولاً. وبالفعل ذهب الشاب وسأل عنها، فقالوا له إنها "فاجرة وسيرتها على كل لسان".

فعاد إلى الرجل وأخبره بما سمعه عن ابنته، فما كان منه إلا أن اصطحبه معه إلى بيته، وما إن دخل الشاب البيت حتى وجد زوجة الرجل بمفردها، وكانت المفاجأة أنها "عاقر" ولم تنجب أبداً، فشعر بالخجل وهو يسمع

الرجل يقول له: "يا بني، لا تصدق أقوال الناس، فإنهم مصابون بمرض التشهير بالآخرين".

أشرف مفيد

("فن المسافة!")

إذا كان الإنسان يعرف بأصدقائه، فإنه أيضا يُعرف بأعدائه. لذا علينا أن نترفع عن التوافه.. فهناك معارك الطريقة الوحيدة لكسبها هي عدم خوضها أصلا. هكذا قال لي ذات يوم مدرس اللغة العربية في المرحلة الثانوية. وقتها تعلمنا منه أن البعض لا يستحقون شرف أن تعاديهم من فرط تفاهتهم، فإن غلبتهم فلن تشعر بحلاوة النصر، وإن غلبوك فستكون الهزيمة مضاعفة.

وبينما كنت أتحدث منذ بضعة أيام عن أستاذي الذي علمني هذه الحكمة تذكرت حكاية قديمة تقول إن أسدا قابله خنزير وطلب منه أن يقاتله. فحاول الأسد أن يكظم غيظه وقال له: "أنت خنزير ولست ندا لي، ولو فعلت الذي تدعوني إليه وقتلتك فسيكون ذلك فضيحة كبيرة ويقولون إن الأسد قتل خنزيرا، وليس هذا موضع فخر.. أما إذا نالني منك أي شيء فالفضيحة سوف تكون (بجلاجل)".

فقال له الخنزير: "سأذهب إلى السباع وأخبرهم بأنك جبان وهربت من قتالي".

فقال له الأسد: "هذا الكذب أيسر على نفسي من تلطيخ شاربي بدمائك القذرة!"

هكذا حالنا نحن البشر أيضا، هناك معارك يبقى النصر فيها باهتا مهما يكن ساحقا نظرا لتفاهة الخصم. لذا ليتنا نتعامل مع من حولنا كما ينصح خبراء القيادة بأن نترك مسافة أمان بيننا وبين الآخرين.. فالمسافة هي الأمان الذي يمنع الحوادث.

وحينما نتقن فن المسافات سوف تتغير أشياء كثيرة. فالمسافة هي التي حمت الأرض من الاحتراق بالشمس؛ لأنها لو اقتربت أكثر لاحترقت، ولو

ابتعدت أكثر لتجمدت. إن هندسة المسافة الدقيقة هي التي أنتجت كونا رائعا.. فكن مهندس مسافة وحسب خطواتك بدقة!

أشرف مفيد

(صديق واحد لا يكفي)

ضاقت بنا مساحات الأصدقاء، وأصبح من الصعب في زماننا البخيل أن تجد صديقًا يضاف إلى السلسلة الذهبية لصداقاتك القديمة. وما بقي من القديم الآن أعداد قليلة جدًا، ربما تكون محظوظًا لو كانت بأصابع اليد الواحدة.

أصعب الأشياء أن تجد صديقًا، ولهذا حاول أن تحافظ على ما بقي بين يديك من صداقات الزمن الجميل. والصديق ليس إنسانًا عادياً، إنه كاتم أسرارك، والسند الذي تلجأ إليه في وقت الحاجة، والإنسان الذي لا يبيعك بأموال الدنيا. ومن الصعب أن تقول عن كل إنسان عرفته أو عبر في حياتك يومًا إنه صديق؛ فهناك سلسلة طويلة من المعارف، وهناك سلسلة أكبر من الزملاء، وهناك الأقارب والجيران وهم بالعشرات وربما بالمئات، ولكن هناك صديق واحد، وإن كنت محظوظًا فهم خمسة، وأفقر الناس من لا صديق له.

لذلك أنصح بالحفاظ على هذه السلسلة الذهبية التي تسمى الصداقة. والشيء الغريب في هذه السلسلة أنها قد تصاب بالعطب، وتجد فيها صداقات مزورة، وفي كثير من الأحيان يمكن أن تخدعك صداقة عابرة، وتتصور أنها من الذهب الحقيقي، وسرعان ما تتضح حقيقتها وتجدها ذهبًا كاذبًا.

وأجمل الصداقات تلك التي تبتعد عن لغة المصالح. ومن الأفضل ألا تكون بين الأصدقاء معاملات مالية أو مشروعات مشتركة، حاول دائمًا أن تبتعد عن كل ما يشوه صورة الصداقة ويدخل بها في نطاق المعاملات، لأن المعاملات تفسد كل الأشياء. لا تشتري سيارة صديقك، لأنها لو تعطلت فسوف تكون هناك أزمة، ولا تناسب صديقك لأن الأبناء لو انفصلوا ضاعت الصداقة، ولا تقترض من صديقك، لأنك لو تأخرت عليه في السداد ربما خسرته.

وقبل هذا كله، لا تحمل صديقك ما لا طاقة له به، لأننا أحيانًا لا نقدر ظروف الآخرين ونحملهم ما لا يحتملون. إن الصداقة شجرة جميلة من الأشجار النادرة، تعطي الثمار والظلال والونس، وكلما اهتم بها الإنسان كبرت أمام عينيه، وإذا بخل عليها تحولت إلى أشباح وذكريات لشيء جميل عبر في حياتنا ومضى. والصداقة ليست بالأعداد، لأن صديقًا واحدًا يكفي.

فاروق جويدة

(القواعد الست لراحة البال)

في أيامنا الحلوة هذه، يموج العالم بموجة عاتية من الكتب والمقالات والنظريات التي تحاول وضع استراتيجيات لتحقيق السعادة، واستقرار الروح، وراحة البال. وتحتوي تلك الكتب على سيل من النصائح والإرشادات والخطوات، وقد يمكن التفكير هنا في قواعد ستٍّ من هذه القواعد.

القاعدة الأولى (اشترِ دماغك):

بمعنى أن المحيطين بك على قدر عقولهم. إنك لو اعتقدت أن الذين حولك يتحدثون بما يفهمون، ويفهمون كل ما يقولون، فأنت إذن مخطئ كبير. إن حقيقة الأمر هي أن الغالبية منهم تغمغم بكلام خالٍ من المعنى الدسم، حفظوه عن جداتهم، ويرددونه دون فهم أو تركيز. ومن ثم لا تحاول الفهم عنهم؛ إذ كيف ستفهم إنسانًا هو نفسه «مش فاهم نفسه»؟ إنهم، يا حبيبنا، إنما يتكلمون والسلام لمجرد الكلام، كالطرشان الذين لا يسمعون إلا أنفسهم. فاشترِ دماغك.

القاعدة الثانية (الشك يا حبيبي):

بمعنى أن الجميع عندك ينبغي أن يكونوا محل شكك إلى أن يثبت لك حسن نيتهم. وشرح ذلك أن الأصل في الإنسان هو الحرص والأثرة والأنانية، وتفضيل المصالح وتغليب مصلحته الشخصية على مصالح القوم أجمعين (ولا يُستثنى من ذلك إلا الأم مع فلذات أكبادها). وبناءً عليه فإن الحكمة ورجاحة العقل تقتضيان منك افتراض أن هذا الآخر يسعى ـ كما قال المرحوم نجاح الموجي ـ «اللي تعميك وتكلفتك وتأكلك الشغت على أنه لحم كالشهد». فأرجوك خذ الحذر، واجعله يفهم جيدًا أنك لست لقمة سائغة، وأنك كاشف كل ألاعيبه.

القاعدة الثالثة (لا تتشطر):

بمعنى إياك إياك والثقة المفرطة في نفسك على غير الحقيقة؛ فكم من شاطر أوقعته شطارته الزائفة، وذاته المتضخمة، في بئر سحيقة مظلمة. واعلم، حفظك الله، أن كل شاطر متحذلق هناك من هو أشطر منه، فلا تظنن أنك الولد الذي لم تُنجب البشرية مثيلًا له. وتذكر قول عمنا الراحل صلاح جاهين:

"يا طير يا طاير في السما ـــ طظ فيك

أوعَ تفتكر يا حلو إن ربنا مصطفِيك".

وربما يجوز أن تستدعي أيضًا شعر الشاعر الأندلسي القيرواني:

"ألقابُ مملكةٍ في غير موضعها

كالهرِّ يحكي انتفاخًا صولةَ الأسد".

القاعدة الرابعة (تغابى يا ذكي):

والمعنى هنا هو ضرورة تطبيق عملي لفحوى بيت الشعر لفطحل الفطاحل أبي تمام:

"ليس الذكيُّ بسيدٍ في قومه

لكنَّ سيدَ قومه المتغابي".

وبالتالي أوعَ، يا عم الطاووس، تُظهر للناس ذكاءك فتتباهى به؛ لأنهم آنئذٍ سيحسدونك، ويستقصدونك، وفي أدمغتهم يحطونك، وساعتها لن يكون لذكائك «ثلاثين لزمة». لذلك كن ذكيًا واعمل نفسك غبيًا.

القاعدة الخامسة (كِتمة الفول المدمس):

بمعنى كن كتومًا كماء البحر، مهما هاج وماج فإنه أبدًا لا يبوح بأسراره. يعني: إن قلتَ فلا تقل، وإن أخرجتَ يدك اليمنى فلا تجعل اليسرى تعرف. ولا تدعهم يدركون ما تفكر به أو تخطط له. وتأكد أن للناس أعينًا سبق وشقّت الحجر، واهتز لها المنبر. خلي بالك يا معلم.

القاعدة السادسة (عِش عيشة أهلك وما تبسطهاش أكتر من كده):

يعني إياك والحلم المستحيل؛ فالحالم كثيرًا لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى، ولا ينال من دنياه سوى الحسرات. ما الضير، يا باشا، في أن تكون واقعيًا؟ وحتى إن حلمتَ فاحلم، يا سيدي، على قدر قدراتك وإمكانياتك، ولا مؤاخذة: راتبك الأعرج ودرجتك الوظيفية. وحط في دماغك حكمة عزيز عثمان الغالية:

"مربوط ع الدرجة التامنة، والناس درجات، ومرشح آخد التاسعة غير العلاوات».

وهكذا فإن واقعية الرجل جعلته يحلم بالتاسعة وليس السابعة؛ إذ «الناس درجات"!

سمير الشحات

(جرائم إبليس الثلاث..)

هل تعرف ما هي أول جريمة ارتكبت في هذا الكون؟

لا، إنها ليست جريمة قتل قابيل أخاه هابيل، فقبل ذلك وقعت ثلاث جرائم متتالية بعد خلق آدم عليه السلام مباشرة.

الجريمة الأولى: هي "الكبر" و"العناد"، وذلك عندما رفض إبليس السجود لآدم، تعاليًا وغرورًا. فالكبر والتكبر والعناد الذي يورث الكفر، هي أول جريمة عرفها الكون، وهي جريمة تكبر إبليس على آدم، وعناده مع خالقه، وكفره.

الجريمة الثانية: هي "الحقد والغيرة"، فقد رفض إبليس الاعتراف بأفضلية آدم عليه، فقال: "أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين". وحتى يومنا هذا، لا يزال الحقد والغيرة من أسوأ الجرائم البشرية، ونهانا منها في حياتنا اليومية، رغم أن كثيرين لا يعتبرونها كذلك، فلا يرونها إلا "نقيصة أخلاقية" ليس أكثر، في حين أن الحقيقة أنها "مصيبة" ويريق بسببها الدم!

الجريمة الثالثة: هي الكذب والغش والخداع، فقد قال إبليس لآدم: "هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى"؟! وطبعًا، لم تكن هناك لا شجرة خلد، ولا شجرة زيزفون، فقط أراد إبليس أن يخدع المخلوق النقي الجديد ويحتال عليه، لكي تهتز مكانته عند ربه ويطرده من جنته. فاخترع له كذبة، وزعم أن هناك شجرة، إذا أكل منها، نال الخلود وملكا لا يبلى. وعندما صدق آدم عليه السلام الكذبة وعصى ربه، فأكل هو وحواء من الشجرة، وبدت لهما سوءاتهما، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة. عاقبهما ربهما، ولكن بعقوبة مخففة، وهي النزول إلى الأرض مع إعطائهما حرية الاختيار حتى يوم الملتقى والحساب!

وبعد الكبر والحقد والكذب، لا تبدو جريمة قتل قابيل هابيل سوى مجرد "حاجة بسيطة"، بل هي نتاج طبيعي للجرائم الشيطانية الأولى، فقابيل لم يقتل أخاه إلا بعد أن "كابر"، وحقد عليه، ورأى نفسه أفضل من أخيه.

كل ما سبق كان خلاصة مكالمة هاتفية "منعشة" تلقيتها من الدكتور العالم الكبير حسام موافي، أستاذ طب الحالات الحركية بقصر العيني، أنقلها "بتصرف".

قبل أسبوعين، تحدثنا عن نموذج رجل الأعمال "التايكون" الذي توهم نفسه فوق الجميع، فسقط في فخ الكبر والحقد والكذب، معًا، دون أن يشعر. بعد أن كان نموذجا ناجحا، وهذه الأيام نستشعر بأنفسنا أطنان الحقد والكراهية التي يكنها بعض الهمج والفاشلين لواحد من أنجح رجال مصر، وهو محمد صلاح، ويسعون معها لتدمير شعبيته خدمة لآخر، يعد أحقد وأكذب من إبليس نفسه!

وما حدث ويحدث مع صلاح، حدث من قبله مع "السير" مجدي يعقوب، الذي استكثروا عليه الجنة، وكأنهم يملكون مفاتحها، وحدث مع كثيرين آخرين يوميًا وفي كل مناحي الحياة، وكان إبليس مثلنا الأعلى!

أما الجريمة الرابعة التي لم يذكرها الدكتور موافي، فهي "الأمعنة" أو "التأمعن"، ولست أعرف بالضبط ما هي الكلمة العربية السليمة التي تدل على ذلك الشخص الذي يفضل أن يعيش "إمعة"!

هذه الجريمة لم يرتكبها صاحبنا "التايكون" ولا الكاذب الحقود الجائم على صدورنا من الاستوديو إياه، ولكنها جريمة يرتكبها كل من دافع عنهما، ويرتكبها يوميًا كل من يدافع عن خطأ أو سلوك مشين، أو "هيافة"!

حتى هذه اللحظة، لا أفهم سر تمسك مثقفين و"محترمين"، مثلًا، بالدفاع عن أصوات نكرة، استحقت التشبيه الرباني في القرآن الكريم بـ"صوت الحمير"، وذلك بحجة أنه "فيه ناس بتسمعهم". ولا أفهم أيضًا كيف يمكن أن يتجرأ إنسان ويستخف بدماء شهداء سالت، ويدافع عن شخص

مدان بالإرهاب، بخلاف كذبه وسماجته، وذلك بدعوى أنه له "إنجازات". ولا أفهم أيضًا كيف وصل بنا الحال إلى درجة أن يدافع واحد "شحط" عن ملابس فاضحة أو أعمال فنية رديئة أو أغنيات وقحة، بدعوى أن هذا فن، وهؤلاء فنانون، وهذه حرية. ولا أفهم أيضًا كيف يتجرأ كثيرون على الدفاع عن لصوص ومجرمين ومخالفين للقانون بدعوى أنهم "غلابة" و"عندهم ظروف"!

إلى هذا الحد، فقدنا بوصلة كل شيء؟ أليس منكم رجل رشيد؟! هل سنستمع قريبًا إلى من يقول لنا: "مش عاجبك البورنو، غير المحطة"؟! هل باتت "الأمعنة" أو "التأمعن" فضيلة في زمننا هذا، وصار ركوب الأمواج، والسير مع غثاء السيل، موضة وسنة حسنة؟!

زمان، غنت أم كلثوم "أكاد أشك في نفسي"، واليوم يكاد العاقل المنصف المتزن يردد: "أكاد أشد في شعري"، بعد أن صار اللامعقول ممكنًا، والعيب حلالًا، والحرام مقبولًا، ومقولات "واحنا مالنا" و"الزمن اتغير" و"مشي حالك"، هي حكم ومآثر هذا العصر!

يا فرحة إبليس بنا، ونحن ندافع عنه باستماتة في كل وقت وحين!

الطف بنا يا رب!

هاني عسل

("لكل زائر زمانه")

سألتني: أي الأشياء أبقى، الحب أم التفاهم أم العشرة؟ إن الحب يأتي وربما يذهب، والتفاهم يحتاج إلى قناعات وحوار، أما العشرة فهي مقياس الزمن، وهو يرتب ثوابته ومقاييس استمراره. والحب يقوم على المشاعر، والتفاهم يحتاج إلى قدر من الحكمة، والعشرة رحلة عمر قد تطول وربما تقصر.

قلت: لكل شيء من هذه الأشياء مقومات يعيش عليها. لأن الحب أكثر الأشياء حساسية ورهافة؛ إنه طائر شفاف، وبرغم هذا فهو أكثر الأشياء التي نشعر فيها بالمسؤولية. إن الإهمال يقتل الحب، والأنانية تدمره، ولهذا لابد أن نرعاه طول الوقت. في لحظة ما، يمكن أن تكتشف أن هذا العصفور الذي يجلس بين يديك وتسمع منه ألحانًا جميلة قد غافلك وطار، وتحاول أن تبحث عنه فلا تجد منه غير ريشات صغيرة تتناثر بين أطلال عش مهجور.

أما التفاهم فهو رفيق عاقل قد لا يحمل حرارة الحب وجنون المشاعر، ولكنه أطول عمرًا، وهو دائمًا الأقدر على أن يبني جسور التواصل؛ إنه أحد بوابات الحب. ولكن الغريب أن الحب يمكن أن يُحرك المشاعر، ولا يقيم جسور التفاهم. الحب بلا تفاهم مغامرة خاسرة، والتفاهم بلا حب يتحول إلى صداقة ينقصها الدفء. وما أجمل أن يجتمع الحب مع التفاهم.

آخر الثلاثية هي العشرة، وهي زاد المحبين القدامى الذين شيدوا البيت، وزوجوا الأبناء، وجلسوا على رصيد الذكريات، يستعيدون معًا أيامها الجميلة. ولكل زائر من هؤلاء زمانه. في شبابنا نجري وراء جنون الحب، وفي سنوات نضجنا نبحث عن التفاهم، وحين يطل الخريف لا نملك غير أن نجلس أمام شريط الذكريات، نسترجع ما بقي منه، وهو ما نسميه العشرة.

وأجمل الأشياء أن تجعل لكل موسم من مواسم عمرك مساحة في حياتك: أن تمارس جنون الحب بعض الوقت، وأن تعيش حكمة التفاهم، وعشرة الأيام الجميلة حين تطل أشباح الخريف.

فاروق جويدة

(كل يوم)

ما هو معنى الصداقة؟.. هذا هو السؤال الذي يتردد منذ فجر التاريخ، وهو إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن الصداقة الحقيقية عملة نادرة في سوق الحياة. والسبب في هذه الحيرة، وذلك العجز عن فهم معنى الصداقة، أن هناك من يخلطون بين الصداقة والروابط الاجتماعية التي تفرضها طبيعة الحياة بأشكال مختلفة. فالصداقة مثلًا لا يصنعها لقاء عارض، وأيضًا فإن الصداقة لا تولد في أحضان الواقع الذي يفرضه القدر عليك. وليس كل زملاء الدراسة أصدقاء، فالزمالة شيء، والصداقة شيء آخر. وهو ما ينطبق على سائر التجمعات، مثل الأندية ودواوين العمل، حيث يتوهم البعض أن الانسجام أو اتفاق المصالح وتبادل المنافع يعني وجود الصداقة. ومع ذلك يمكن القول إن الرجال مؤهلون للصداقة بأكثر من النساء، لأن المرأة لا تحس بطعم الصداقة وتوظف عواطفها للحب، بعكس الرجال؛ إذ يستريحون للصداقة ويتجنبون التطور في الحب!

وهناك صداقة من أول نظرة، كالحب من أول نظرة، وكثيرًا ما تؤدي ابتسامة بشوشة أو كلمة حانية أو نظرة باهتمام إلى تفجير الإحساس الداخلي بأنك أمام شخصية نبيلة تستحق أن تمنحها شرف كلمة الصديق. ومثلما يبدأ الحب بالحب، تتولد الصداقة بالصداقة. ومثلما لا توجد مقاييس ثابتة يقوم على أساسها الحب بين شخصين، فإن الصداقة أيضًا كذلك؛ لأنه قد يقع اختيارك على صديق ترتاح إليه وتأنس إلى مصاحبته، رغم وجود فوارق شاسعة في الثقافة والمستوى الاجتماعي. ولا شك في أن انعدام الأغراض والأهواء الشخصية من المميزات الضرورية للصداقة الحقيقية. ومع ذلك فإن من واجب الصديق أن يعمد إلى الحدس والتخمين في معرفة مشكلات صديقه، وأن يبادر بمد يد العون قبل أن يطلب منه صديقه شيئًا. وإذا كانت لأصدقائنا حاجيات ومتطلبات نستطيع تلبيتها، فمن واجبنا أن نعفيهم من حرج طلب العون منا؛ لأنه فضلًا عن الرضا والارتياح الذي ينجم عن مثل تلك المبادرة، فإن روح المبادرة تمثل أفضل غذاء يؤدي إلى تنمية شجرة الصداقة وتقوية عودها!

ولا يمكن لأي صداقة أن تدوم في غيبة من تبادل الإعجاب بين الصديقين، ولكن دون أن يكون ذلك على حساب مناخ المصارحة الذي يجب أن يسود العلاقة بين أي صديقين؛ لأنه كما يقولون في الأمثال:

"صديقك من صدقك لا من صدّقك"!

مرسي عطا الله

(حائط الصد)

أن تحبك، فتتصدى بالنيابة عنك للحياة، تحفك بنصحها، وتمد لك من تجاربها مع الدنيا حبلًا موصولًا من التوجيه والإرشاد، تطالع ما تحمله نظرات عيون من يحيطونك قبل أن تصل إليك، فهي توقن أن قلبها الذي يأويك خلف الضلوع حتمًا سيلفظ من يحبونك ادعاءً. ربما لا تتلو على مسامعك كلمات المحبين، لكن سيخبرك انكسارها إذا ما رأتك حزينًا، وتهلل وجهها بشرى إذا ما وجدت بين عينيك بعض فرحك، يفضح مكنون مشاعرها.

لن تنتظر أن تثأر لنفسك من أحد أصابك وعلمت هي، ستجدها تشعل حربًا لترد عنك ضيقك، وأبدًا لن تقرّ لك بسنين عمرك بعد العقد الأول، ستظل طفلها الذي تجلسه بقربها لتطمئن أنها قد أشبعته من طعامها. تحفظ عن ظهر قلب ما تُحب وما تكره، فلكم دللتك صغيرًا حتى اشتد عودك خلسة، وبات بإمكانها أن تطمئن لاهتمامك بشؤونك وحدك. جدتك التي ربما عليك أن تعرف أن فقدها يساوي فقد مأمنك.

مي الخولي

(في بيتنا أب بخيل)

الأب البخيل نقمة ليس على الأبناء فقط، ولكن على الأسرة كلها. وقد تتفاوت نسبة البخل بين أب وآخر، ولكن في النهاية تكون النتيجة واحدة، وهي إما تهكم الأبناء عليه أو نبذهم وكرههم له.

يقول د. محمد السيد عبدالرحمن، أستاذ الصحة النفسية بكلية التربية جامعة الزقازيق، إن الشخص البخيل لا يمكن القول إنه مضطرب نفسيًا، لكن التوصيف الأمثل له أنه شخص ليس لديه القدرة على العطاء، ولديه شخصية نرجسية تعشق ذاتها، ونتيجة حبه الشديد لذاته لا يعطي الآخرين ما يملكه حتى ولو كانوا أولاده. وينبه أن الزوجة والأولاد لابد أن يكونوا على وعي تام بأسباب البخل لدى رب أسرتهم ومحاولة علاجها أو التعامل معها بقدر المستطاع. وأبرز تلك الأسباب أن يكون قد عانى منذ طفولته من معاملة والديه الخاطئة، والتي كانت تتسم بالبخل الشديد وعدم المنح، وعندما أصبح رب أسرة تعامل مع أبنائه بنفس الأسلوب، لأن ما يتعلمه الطفل في الصغر يمارسه في الكبر.

من أهم أسباب بخل الأب أيضًا شعوره بالخوف من المستقبل والقلق من مفاجآته غير المتوقعة، والتي قد تكون صعبة ومؤلمة. لذلك يكون الملاذ الوحيد لحماية الأبناء هو المال، فهو يعتقد أن ادخار كل أمواله يكون في مصلحتهم، بغض النظر عن الحرمان الذي يعيشون فيه في الوقت الحاضر.

كما يعتقد البخيل أن الغنى والثراء يجعلان منه محل تقدير وترحيب من الآخرين، دون أن يدرك أن الآية قد انعكست، حيث ينظر إليه الجميع على أنه الشخص الثري غير المعطاء، فيفقد الكثير من احترامهم له. ويضيف أن للبخل مردودًا سلبيًا على الأسرة، فكثيرًا ما نسمع عن حالات الطلاق التي يرجع السبب فيها إلى بخل الأب، فيعاني الأبناء الحرمان الشديد، الأمر الذي يدفع الزوجة إلى الهرب بأولادها من هذا الجحيم.

كما أن الأب البخيل كثيرًا ما تقع بينه وبين أبنائه خلافات حادة، قد تصل إلى قتل الأب، وكثيرًا ما سمعنا وقرأنا حوادث من هذا القبيل في وسائل الإعلام. ولا شك أن بخل الأب لابد أن يلقي بظلاله على سلوكيات الأبناء، فمع الوقت يكتسبون نفس الصفة ويسلكون نفس السلوكيات التي يقوم بها، فهم لا يجاملون أحدًا، ولا يكونون كرماء مع زملائهم، مما ينعكس بشكل سلبي على علاقاتهم بالآخرين، فصداقاتهم قليلة لأن الناس تحب دائمًا الشخص الكريم وتلتف حوله.

يوضح د. عبدالرحمن أن الأبناء قد ينحرف سلوكهم أحيانًا، فيلجؤون إلى السرقة حتى يكون لديهم مثل ما يملكه الآخرون، أو على الأقل مضايقة من حولهم لإحساسهم بأنهم يمتلكون الكثير وهم محرومون. وهنا ينبغي على الأم أن تلجأ إلى العلاج النفسي للأبناء، فهم يحتاجون إلى برامج إرشادية لتنمية الإيثار والرغبة في التضحية، وذلك تحت إشراف أساتذة الصحة النفسية.

غالبًا ما يقع على الزوجة العبء الأكبر في إنقاذ الأسرة. لذلك ينصحها الدكتور محمد السيد عبدالرحمن بمحاولة تغيير سلوك الزوج عن طريق تنمية الجانب الديني لديه، فهو يخفض حدة البخل. فالرسول صلى الله عليه وسلم كان معطاء، وعلى الزوجة أن تضرب للزوج نماذج بأشخاص كرماء وتتحدث عن شهامتهم، ورغم ذلك لم يصابوا بالفقر. كما عليها أن تتحلى بالصبر حتى تعبر بأبنائها إلى بر الأمان.

منال بيومي

(على حافة الحافة!)

أمضيتُ أسابيعَ الصيفِ الأخيرةَ أفتّشُ عن الصحة في قلب المرض، وبدا لي في لحظاتٍ أن كل شيء يمكن أن ينتهي عند نقطة قريبة جدًا، أقرب من حبل الوريد. ومن رحمة الله أن يظل الإنسان عاجزًا عن تحديدها، جاهلًا بأسبابها ومواعيدها، تلوح له من بعيد، ولكنه لا يدرك مغزاها إلا لحظة وقوعها.. لحظة الخروج والرحيل.

كان سراب الإجازة الصيفية يتراءى لي من بعيد، وقد أعدّت له زوجتي عُدّته. وكلما اشتدت وطأة الحر والرطوبة، وضقتُ بأجهزة التكييف وهوائها غير الطبيعي، ذهبت بخيالي إلى قمة في الجبل تحاصرها الغابات، تغمرها خضرة الأشجار، ويعمّها هدوء سماوي لا مثيل له. ولكننا نخاف الرحيل، ونخاف ساعة الفراق، ونخاف المجهول. وحين يُدنيك المرض من مشارف الموت، تتوالى ذكريات تتحدى النسيان، وتنبسط الحياة أمامك أو وراءك بكل تفاصيلها. وفي هذه اللحظات تتضاءل الأشياء والأحلام والآمال، ينكشف الزيف، وتبيض وجوه وتسود وجوه، يظهر الحب الحقيقي ويشحب وجه المنفعة والنفاق.

في هذه اللحظات لا يبقى بينك وبين الحياة غير حبلٍ سُريٍّ رفيع، من اهتمامات طبيب بارع يحترم مهنته، مثل عادل إمام طبيب القلب المشهور، أو أستاذٍ عالمٍ يؤمن بإنسانية الطبيب فوق دواعي المهنة، مثل جعفر رجب. تستدعي الواحد منهم في لحظات الأزمة أينما كان فيستجيب، ومن بين المحيطين من يهرع بالعون أو يقطع إجازة في مواسم الصيف والاسترخاء، باستثناء إدارة طبية محترمة ما زالت من عجائب "الأهرام"، تؤدي واجبها على الوجه الأكمل!

في ظروف أخرى تسمع مواء زملاء في دهاليز الصحافة، ولكنك باستثناء رجل كبير عظيم العقل والقلب مثل هيكل، لا تسمع غير أصوات ضلّت طريقها، فلست نجمًا للسينما، ولا لاعب كرة، ولا أجلس فوق أكوام الشهرة. تناوبتني أزمات صحية خلال السنوات الأخيرة كانت تفضي بي

إلى حافة الحافة، وما زلت أتعلمت منها أنه لا مفر من الإقدام على الحياة كلما امتد العمر، ولا مهرب من مواجهة القضاء حين يَحُمّ!

فيارب، بحق عظمتك وجلالك، قد أرهقتني تجارب الوقوف بين الحياة والموت، وأضنتني الحيرة بين الذهاب والإياب، وتعبت من انتظار المجهول، في انتظار ولوج الباب الموعود، واشتدت حيرتي وعجزي وهوان أمري على نفسي. يا رب، بحق قدرتك ورحمتك، أجرني من بؤس الحياة حولي، ومن تعاسة البشر في بلادي، ومن خراب الذمم وفساد الأنظمة وعفن الأمكنة، وطمع النفوس، وانطفاء الروح، وشيوع اليأس.

يا رب.. يا مقدّر الأعمار، وحافظ الأسرار، وغافر الذنوب والأوزار، بحق شهرك الكريم هذا، افتح لي طريق العودة بأمان وسلام!

(ببساطة)

- **ابتلينا بقوم يعرفون كل شيء إلا عيوبهم.**
- **السلامة في الدنيا ترك ما فيها.**
- **لا ترغب في زاهد فيك.**
- **لا تحارب الخصم الرخيص اشتره.**
- **احترس من عدوك مرة وممن رفعته العمر كله.**
- **النهايات أخلاق، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.**
- **لا تسع لكسب أحد.. اكسب المال وسيأتي الجميع.**
- **نحن لا ننجح في الحب ولا حتى في الفراق.**
- **النساء يخرجن أسوأ ما فيهن في غياب الرجال.**
- **التسامح يحتاج قوة أكبر من الانتقام.**
- **لن يلفت الأنظار حسن الجواد إن لم يكن فوق الأصيل أصيل.**

كلمة الحق:

الحياة قصيرة جدًا حتى تستيقظ وتعتذر عما بدر منك، لهذا أحب الناس الذين عاملوك حسناً (ولو أن الحكمة البليغة تقول: "إن كنتم تحبون الذين يحبونكم فأي فضل لكم؟"). واغفر للذين أساءوا إليك، وثق أن كل شيء قد حدث لسبب، فالحياة مدرسة رائعة لا تبخل علينا بالتعليم المستمر. لمن يريد أن يتعلم، فإن لم تكن لديك مصالح شخصية أو أي مطامع، فقل كلمة الحق بلا خوف أو تردد، وفي الوقت الذي فيه لا تشتهي شيئًا أو تخاف من شيء فإنك تقف على قمة العالم. إذا سُجن العقل: افلت زمام الغرائز والشهوات، وإذا سُجنت الفضيلة: تربعت الرذيلة على عرش المجتمع، وإذا سُجن النور: سادت ظلمة حالكة فوق

عيون البشر، وإذا صمت الحكماء: تكلم البلهاء والمنافقون وأصحاب الضلالات، وإذا سُجن الشجاع ساد علينا الجبناء.

لأن يصيبك الضرر من جراء مجاهرتك بالحق، خير من أن يقع الضرر على الحق من جراء عدم مجاهرتك به، فكلمة الحق لا تعود فارغة، لابد في يوم من الأيام ستأتي بثمار وفيرة، فالذي يقول الحق يسجل تاريخًا ويصنع مستقبلاً. فإن كانت كلمة الحق لم تترك لي صديقًا، لكنها فتحت لي الطريق لرؤية نور الله، لأن الله هو الطريق والحق والحياة.

د. مينا بديع عبدالملك

أستاذ الرياضيات بهندسة الإسكندرية

(أشياء ضائعة)

الحياة قصيرة، فلماذا نجعلها أقصر؟ الأوقات الصعبة دروس، والأوقات الحلوة ذكريات. الصعوبات لا تنتهي، لكن الحياة تستمر، ونحن نعيش بالأمل؛ نربح تارة، ونخسر تارة، وفي كل ربح خسارة، وفي كل خسارة ربح. المهم ألا ندع شيئاً يحبطنا. ولكل إنسان أحلام، وأيضاً أوهام. أشياء تأتي، وأشياء تذهب. الظروف تتغير ونحن أيضاً. أحياناً ننتصر، وأحياناً ننهزم. وكلما تقدم بنا العمر، توقفنا أمام أحداث وتجاوزنا أخرى. ومهما تحقق من أهداف، تبقى مشكلات بلا حل، وأحلام لا تتحقق.

وعندما نتأمل الماضي، نجد أن أجمل الأشياء حدثت صدفة، وأسوأ الأشياء حدثت دون توقع. أحياناً نتمسك بالأمل حين نكون إيجابيين، وأحياناً نفقد الأمل حين تخيب توقعاتنا. ونحن نختار، ولكل اختيار ثمن، وكلما تغير الطريق لابد من أرباح وخسائر. وفي كل مفترق طرق، لابد من وقفة لنفهم ما حدث ولماذا حدث، حتى نفهم أنفسنا، وحقيقة ما حولنا، ومن حولنا.

والسؤال الأهم: ماذا بعد؟ فلن نعيش اليوم إذا لم نتجاوز الأمس، ولن نعيش الغد إذا لم نتجاوز اليوم، وكل مرحلة تقود إلى أخرى. ومع كل تغيير، علينا أن نتقبل وأيضاً أن نتفهم، فما حدث كان لابد أن يحدث، وما لا يحدث اليوم سوف يحدث غداً. وهذه حكاية كل يوم، يكفي أن نتعامل مع كل مرحلة باعتبارها ميلاداً جديداً وفرصة جديدة، ومن تجاربنا نتعلم.

عبدالعزيز محمود

مقالات وحوارات عن د. جمال حمدان



(وائل حمدان: عمي كان يلعب اليوجا ويغني لعبد الوهاب)

سافر وحده عبر الزمن، رأى من نافذة فُتحت له وحده من بين أسوار الماضي، صورة غير مشوشة للمستقبل، عاشقًا أوفى لحبه ما حيَا، وهرب منه ما استطاع لأخرى، ذبح في الأولى "حبيبته فرحة" تحت عتبات المحبة. وقدم للثانية "مصر" روحه، قربان محبة لا ادعاء فيه. عرفناه راهبًا، ترك الحياة خلفه إلى العلم، اعتزل العالمين فكانت حياته سرًا، وكذلك موته، أي من روايات الحادث لم تمر على عقل بغير سؤال، كأحجية يحاول البعض اكتمالها رغماً عن جزء مفقود، ليبقى اسمه لغزًا حيًا وميتًا، يحير كل من يريدون أن يعرفوا.

أرسلته يد الله إلى المدرسة التوفيقية ليلتقي محمود جمال الدين أستاذ الجغرافيا، فألقى إليه بذرة المحبة الأولى لعلم الجغرافيا، ليلتحق بقسم الجغرافيا وهو السادس على القطر المصري، ويحل على درجة الامتياز في الفرقة الثانية، وتنطبق عليه شروط منحة تعلم اللغة الألمانية التي تقدمها الجامعة للطلبة المتميزين، وليتخرج بتقدير امتياز أيضًا ويُعين معيدًا وعمره لم يتجاوز العشرين عامًا، فتنطبق عليه شروط منحة ورثة المرحوم كامل باشا فهمي للطلبة الذين حصلوا على الليسانس بتقدير امتياز ولم تتجاوز أعمارهم الـ٢١ عامًا، ليسافر إلى إنجلترا، ويختار جامعة ريدنج، فيشرف على رسالته أوستين ميللر، أكبر علماء الجغرافيا في العالم، ويعرض عليه خطة البحث فيطلب منه ترقيته لرسالة دكتوراه، وتمنحه ريدنج الدكتوراه مع مرتبة الشرف في الفلسفة الجغرافية في يونيو ١٩٥٣، ويعود بعد ثورة يوليو وقد تغيرت الأحوال في مصر.

فتوزع عليه الجامعة استبيانًا ولزملائه، يسأل كل منهم عن الوظيفة التي يريد أن يشغلها ويستطيع في إطارها أن يخدم وطنه، فيجيب هو وزيرًا للشئون البلدية والقروية، لأن الشئون القروية هي العمود الفقري الذي بدونه ينقصم ظهر مصر، وظل على تفاؤله حتى وقعت معاهدة استقلال السودان، فإذ به يقول أمام تلاميذه: "لقد أضاع الراقص

مصر والسودان معًا"، فعاقبته الجامعة بالحرمان من تدريس مادة جغرافية المدن التي يحبها، وكلفته بتدريس مادة الخرائط لطلاب الفرقة الأولى، وهي المادة التي عادة ما يدرسها المعيدون، ثم ينتدب للعمل في الخرطوم، فيجد أحد زملائه يسطو على كتبه وينسبها لنفسه، ويشتكي، وحين يعود يجد زميله هذا قد سبقه بالترقية محله، ليدفع ثمن الكلمة وثمن اختياراته، وليدرك أنه لا مكان للمعايير الموضوعية المتنصلة بالكفاءة والنبوغ، وهي كل ما يملك، فيقرر الاستقالة.

والأمر ليس غريبًا على عائلته، فهكذا فعل أبوه من قبل، إذ التحق في البداية بمدرسة القضاء الشرعي، والتي كانت تُخرج القضاء الشرعيين للعمل بمحاكم مصر، لكنه لم يستمر بها إلى عدة أشهر، قبل فصله نهائيًا كعقاب له على خروجه على رأس مظاهرات ثورة ١٩١٩، ليتحول بعدها إلى مدرسة المعلمين، ويتحول من القضاء إلى تدريس اللغة العربية والعمل كمصحح لغوي بجريدة اللواء.

لكن الابن على ما به من صلابة لم يتخط هذه الحادثة بالسلاسة التي تخطاها أبوه، إذ أن هذه هي الجغرافيا التي أخلص لها كما أخلص الأنبياء لرسالات ربهم، فقد أصابته الكآبة والمرارة، وأمره الطبيب أن يعتزل التفكير والكتابة لفترة، واعتزل كل شيء في كبريتاج حلوان متفرغًا للرسم والموسيقى والخروج للنزهات القصيرة والنوم المبكر، ليعود بعد شهرين أكثر صلابة من ذي قبل.

لكنها لم تكن الحادثة الأولى في حياته، فقد حبيبته "ويليما" بانتهاء دراسته في جامعة ريدنج البريطانية، وقد ارتبط بها ٥ سنوات طيلة فترة البعثة، وطلب منها أن تعود معه ليتزوجا في مصر، فطلبت منه أن يبقيا في إنجلترا، لكنه اختار مصر، وظل يراسلها بعد عودته لسنوات إذ وعدته أن تفكر في الأمر، لكن في النهاية قطع علاقته بها بعد أن تزوجت غُره، وأعاد التجربة مرة أخرى مع إحدى زميلاته في الكلية، لكن بسبب المشاكل التي صادفها خلال عمله بالجامعة انتهت التجربة كسابقتها بزواج زميلته من زميل آخر، أجاب على السؤال الذي يدور في

خلدك الآن فكان يقول: "اسمع يا عزيزي، بوسعي أن أجلس في المقاهي والمنتديات، وأضع رجلًا على رجل وساقًا على ساق، وأقول أنا الدكتور جمال حمدان كما يفعل غيري، ويمكن بسهولة أن أمسح جوخًا لهذا أو لذاك لأصل كما يصل المتسلقة، ولكنني لم أُخلق لهذا ولا لذاك".

وعلى ما يحمل الاسم من فخر، فإن اسم جمال لم يكن لصاحبه إذ اختار له أبوه اسم جلال، لكن الموظف المسؤول سمعها جمال ودونها جمال، ولم تكتشف الأسرة الخطأ إلا عند استخراج الشهادة الابتدائية، وفشلت كل المحاولات لتصحيح الاسم، وزاد الأمر تعقيدًا، كون الاسم ذاته يحمله أخوه الأكبر جمال الدين، ووجدت مدام فيكتوريا جارتهم الإيطالية بحي شبرا الحل، في اسم التدليل، "لولو"، الذي ظل يُعرف به جمال حمدان بين العائلة حتى وفاته للتمييز بينه وبين أخيه جمال الدين، وكان في معهد إعداد مدرسي الرياضة البدنية، وهو الآخر الأكبر لجمال حمدان يسبقهما أخوهما محمد حمدان أيضًا، وقد كان أديبًا تتلمذ على يد العقاد، وله عدة مؤلفات، وعمل بالصحافة بمجلة الشرطة ومجلة المجلة والرسالة، واشتغل بتنقيح كتب التراث، وقد كان قريبًا من جمال حمدان وهناك الكثير من الخطابات بينهما، والتي كانت تدور في الأغلب حول مقالات العقاد والمازني، يكشف لنا بعضها الفنان التشكيلي وائل حمدان، ابن الأديب محمد حمدان الآخر الأكبر لجمال حمدان، فإلى نص الحوار.

لم يكن فقيرًا ولكن زاهدًا، حصل على جائزة وقدرها "٨٠" ألف جنيه، فوزعها على إخوته.

ـــ من هو جمال حمدان الذي تعرفه كما لا يعرفه جمهوره؟

علاقتي بعمي شهدت تقاربًا أكثر بعد أن انتقلنا من وسط البلد للعيش في الدقي إلى جوار عمي في شارع أمين الرافعي، وكنت في أواخر الصف الأول الثانوي، فكنت أقطع شارع التحرير وأذهب إلى زيارته. وكان عمي يرسم لوحات فنية على الورق ويعلقها على الحوائط في منزله، وأخبرته في إحدى المرات أنني أرسم، فقال لي: احضر رسوماتك معك في الزيارة القادمة لنرى، وفعلت فعلاً في المرة التالية

وشجعني، ولم تكن موهبتي قد ثقلت بعد، وكانت أرى الكثير من لوحات البجع الرائعة رسمها عمي جمال، ورسم عمه نفسه، وهي أفضل صورة تصفه حقًا، فالصور المتداولة لعمي لا تعبر عنه، خاصة صورة بوستر معرض الكتاب الأخير، فقد اعترضت عند د. هيثم الحاج، رئيس الهيئة، بسبب أن الصورة المستخدمة لا تمت لجمال حمدان شكلًا.

وقد كان د. جمال حمدان يحب الموسيقى، ويعرف مقاماتها، وكان مغرماً بعبدالوهاب، حتى إن والدي أخبرني أنهم كانوا يجتمعون أحيانًا لسماع عبدالوهاب عند عمي جمال، وأحيانًا كان يغني لهم د. جمال أغنيات عبدالوهاب، وأن صوته كان حلوا، وكان يفضل أغاني الأربعينيات والخمسينيات وأغنية "يامسافر وحدك". ولم يكن لديه تلفاز، فقد كان يكتفي بالراديو، وكان يمارس الرياضة في المنزل حتى وهو في الستين من عمره، ويلعب اليوجا، ويخصص وقتًا يوميًا لممارسة رياضة المشي ناحية كوبري الجلاء، وكنت ألمحه كثيرًا يسير على الجهة الأخرى فلا أريد أن أقطع عليه خلوته، وأحيانًا حين كنت أزوره كان يتركني لدقائق ثم يعود، وكنت أعلم أن فكرة ما أو خاطرة مرت بباله، فيقوم ليدونها ثم يعود. ولم يكن جمال حمدان يفتح بابه إلا إذا ميز طرقًا محددة، تعرفه العائلة وضيوفه القليلون المقربون.

وأذكر أنه قبل وفاته كانت أختي في زيارته بالصدفة، فطلب منها أن تطلب من أمي أن تطبخ له السمك والرقاق، وكان يحب السمك.

ومن كان أصدقاء جمال حمدان المقربين؟

كان د. صبحي عبدالحكيم، أول رئيس لمجلس الشورى المصري، الصديق الأقرب لجمال حمدان، إذ كانا يشتركان في تاريخ الميلاد ومحل الإقامة بل والدراسة. فقد كان عبدالحكيم رئيسًا لقسم الجغرافيا في كلية الآداب، ومن مواليد شبرا لعام ١٩٢٨ أيضًا. وقد حكى لي عمي اللواء عبدالعظيم حمدان أن صبحي عبدالحكيم كان الصديق الصدوق لعمي جمال حمدان، لكن علاقتهما اختلفت بعد المنصب، بينما دامت علاقته بالكاتب الكبير محمد حسنين هيكل ويوسف عبدالرحمن مالك دار نشر "عالم

الكتب"، وكانا يترددان عليه باستمرار، وكذلك أحمد بهاء الدين، حتى إن مكتبة الإسكندرية أصدرت أخيرًا كتابًا يجمع خطابات جمال حمدان مع والدي محمد حمدان، وهيكل، وأحمد بهاء الدين، وكانت علاقته بأحمد بهاء الدين علاقة خاصة لكنها انقطعت في النهاية.

فلماذا انقطعت علاقة حمدان بأحمد بهاء الدين؟

لأنه كتب مقالًا يطلب فيه صرف معاش استثنائي لجمال حمدان، لتتحسن أحواله المعيشية، وهنا كان اختيار جمال حمدان لكرامته على الصداقة، فقطع علاقته بأحمد بهاء الدين نهائيًا. والحقيقة أن جمال حمدان بالفعل لم يغير في شقته منذ اقتنائها في الخمسينيات أي شيء، الأثاث لم يتغير من الخمسينيات، لكنه لم يكن يفعل ذلك لأنه فقير، ولكنه كان زاهدًا، فهو كان لديه "روب" من ١٠ سنوات لا يخجل من ارتدائه.

لكن في المقابل فقد حصل جمال حمدان على جائزة الكويت ٨٠ ألف جنيه في الثمانينيات، وهو مبلغ كبير وقتها، وكان يستطيع أن يغير أثاثه، لكنه وزعها جميعًا على إخوته، ولم يبق منها شيء لنفسه، فهو لم يكن يسعى خلف أموال أبدًا، وإلا كان قبل أحد المناصب العديدة التي عرضت عليه ورفضها. فأنا أعرف فقط أنه عُرض عليه منصب كبير في ليبيا، وعرضت عليه العراق أيضًا منصبًا رفيعًا، وكذلك الأمم المتحدة، لكنه رفض المناصب جميعها ليتفرغ للعلم.

هل عائلة حمدان راضية عن تقدير الدولة لشخص جمال حمدان؟

التكريم جاء متأخرًا، ربما بسبب اختلاف الحقبات السياسية والانتماءات الخاصة بكل حقبة، لكن هذا أفضل من ألا يأتي. واختيار جمال حمدان لشخصية العام بعد ثروت عكاشة وسهير القلماوي أمر جيد، لكن ما أقنعني من التكريم ليس هو الشهادة والدرع، ولكن التكريم الحقيقي الذي حصل عليه جمال حمدان وأسعدني هو إعادة طبع كتبه. فقد أخبرني د. هيثم الحاج أن الهيئة طبعت كتب حمدان مرتين ونفدت جميع

الكتب، والتكريم الذي أريده لحمدان هو أن تقرأ كتاباته، وأن يضاف لقرائه قراء جُدد من الأجيال الجديدة.

وأود هنا أن أشير إلى أوراق جمال حمدان المفقودة، فقد أخبرني عمي اللواء عبدالعظيم قبل وفاته أن هناك أوراقًا ورسومات خاصة بجمال حمدان أخذها د. خالد أبو العزب على سبيل الاستعارة من عمي، وأريد أن تتاح هذه الأوراق لاطلاع الباحثين، والعائلة لا تريد الأوراق لنفسها، ولكن لتوضع في إحدى المكتبات أو مكتبة الإسكندرية، وهي تخصص لجمال حمدان ركنًا خاصًا فيها. كانت مكتبة جمال حمدان الشخصية قد انتقلت إلى هذا الركن في مكتبة الإسكندرية، لكن لم تُضم إليه هذه الأوراق.

موت جمال حمدان باختناق بالغاز أو بعد اشتعال الحريق هو الرواية التي لم يصدقها أحد. فهل لديكم أقوال أخرى؟

<u>أولًا</u>، هناك ملابسات للحادث ينبغي أن توضع في الاعتبار، وهي اليهوديان اللذان سكنا أحد طوابق العمارة قبل الوفاة بأسبوع، واختفاء الطباخ الذي كان يساعد عمي من يومها.

<u>ثانيا</u>، فعمي جمال كان بصحة جيدة وكان رياضيًا يمارس اليوجا باستمرار، ما يعني استبعاد فكرة حدوث صدمة عند رؤية النار وحدوث أزمة قلبية، لكنني بكل هذه الملابسات كنت بين الشك واليقين، حتى قال لي عمي اللواء عبدالعظيم، وقد شغل منصب الملحق العسكري بلندن وكان يعمل بالمخابرات قبلها، ومساعدًا لأبو غزالة من قبل، قال لي قبل وفاته: "لقد تأكدت أن عمك جمال تم اغتياله"، ولا أعلم هل وصلته معلومة أم ماذا؟ لكن حدث تعتيم متعمد وقتها، لأن الناحية السياسية غلبت الناحية الجنائية.

وبعد التأكد، لماذا لم تحاولوا فتح التحقيقات مرة أخرى؟

لأن الوقت فات، ومن كان يستطيع فعل هذا هو عمي اللواء عبدالعظيم أو عمتي فوزية، وكانا قد تقدما في العمر، ولم يعودا قادرين

على دخول هذه المعركة، ومن الجيل الثاني فكلهم بالخارج، ولا يوجد بالقاهرة هنا إلا أنا وابنة عمتي، وأظن أنه لن يحدث شيء إذا أعدنا فتح هذا الموضوع. لقد قتل عمي جمال وانتهى الأمر، وأصبح الأكثر أهمية الآن هو أن يحظى علمه بانتشار يستحقه، أما كيف قتل حمدان؟ فليبق كل صاحب معتقد على معتقده. من يعتقد أنه مات مختنقًا، ومن يعتقد أنه تم اغتياله، فليبق الجميع على اعتقادهم، فهذا لن يفيد حمدان في شيء.

هل شعرتم أن جمال حمدان دفع ثمن المعلومات التي كشفها غاليًا؟

لا، فمن يملك علمًا ويكتمه سوف يُحاسب على كتمانه. وأود أن أشير إلى أن عبدالوهاب المسيري أيضًا كتب عن اليهود ولم يُقتل، وربما كانوا يعدون لقتله وسبقهم إليه المرض، لكن هناك أشخاص كُثر قُتلوا أيضًا مثل نبوية موسى ويحيى المشد، وهناك آخرون غير معروفين لنا. لكن لو كل شخص منهم توقف بسبب الخوف فلن نتقدم خطوة. وجمال حمدان بالذات لم يكن ليتراجع أبدًا، فقد كان مؤمنًا بالقضية الفلسطينية بشكل طاغٍ، وجمال حمدان ليس هو الشخص الذي يمكن أن يشعر بالندم على إيمانه بشيء ما، وما أثبته جمال حمدان من أن اليهود الموجودين الآن ليسوا هم بني إسرائيل، وإنما هم منحدرون من قبائل الخزر التترية بوسط آسيا، وإنهم لم يدخلوا في اليهودية إلا بعد ٩ قرون، وبالتالي فهم ليسوا يهود التيه، وهو كشف ليس باليسير، فهو ينسف كل ادعاءاتهم في أرض الميعاد.

جمال حمدان ترك المرأة الوحيدة التي أحبها لأجل حبيبته الخالدة مصر، فكيف استقبلت العائلة قراره بعدم الزواج؟

والدي محمد حمدان، وهو يكبر عمي جمال بعامين، بمجرد أن أنهى تعليمه استقل بحياته وأقام في روكسي ليكون بجوار عباس العقاد، وكان منشغلًا بالأدب وبالعقاد والمازني، وتزوج في سن الخمسين، وعمي جمال أيضًا بعد أن أنهى دراسته استقل بحياته وأقام في الدقي ليكون قريبًا من الجامعة، وهكذا كان يفعل رجال العائلة بعد انتهاء دراستهم،

كانوا يستقلون بحياتهم طبقًا لقراراتهم، لكن جدتي وعماتي في أواخر الأربعينيات من عمر عمي جمال طلبوا منه أن يتزوج، لكنه لم يفعل.

أما قصة الفتاة الإنجليزية التي أحبها، فقد أحبها عمي جمال ٥ سنوات عندما كان يدرس بإنجلترا، وطلب منها أن تعود معه إلى مصر، لكنها رفضت وطلبت منه أن يبقى في إنجلترا، فرفض حمدان. أما تفاصيل القصة فلم يحكها عمي لأحد.

من شكّل وعي جمال حمدان؟

أظنه جدي رحمه الله، وقد كان مدرس لغة عربية، وكان ينظم الشعر، وكان خطاطًا، وكان يصمم أغلفة الكتب، وقد تأثر أبي بجدي، فكبر شاعرًا وأديبًا. وأذكر أنه بعد وفاته باعت زوجته الإيطالية جزءًا من مكتبته الضخمة لصديقه عبدالرحمن صدقي، رئيس دار الأوبرا آنذاك، وكذلك عمي جمال حمدان وعمي عبدالحميد، ثلاثتهم اتخذوا منحى أدبيًا متأثرين بجدي.

هذا بالإضافة إلى أن المدارس في ذاك الوقت كانت تهتم بفنون الخطابة والبلاغة والفنون في الابتدائية، وكانت الفرص متوافرة للحصول على منح تعليم بالخارج لأبناء الأسر البسيطة. فعمي جمال حمدان حصل على منحة في ريدنج، وعمي د. عبد الحميد أستاذ التاريخ حصل على أخرى بالسوربون، وحصل أبي على منحة بالجامعة الأمريكية في القاهرة، وهذه المنح فرصة كبيرة ساهمت في تشكيل وعيهم.

من مِن السياسيين كان يميل لجمال حمدان؟

لم أرَ جمال حمدان يمتدح رئيسًا إلا الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وكان مغرومًا به، حتى اندلاع نكسة ١٩٦٧.

لكأن المستقبل فتح لجمال حمدان شرفة من بين أسوار الماضي لا ينظر منها إلاه. فعلى المستوى الشخصي، هل هناك واقعة تذكرها قالها جمال حمدان في حياته ثم وجدت نبوءته تتحقق بعد وفاته؟

هناك قصة طريفة يمكنني أن أحكيها، عمي جمال وعمي المقيم في جينيف لديهما ملكة غريبة. وذات يوم وكنت عنده، وقال لي "ورِيني صوابعك كده نشوف" ولم أكن أعرف وقتها أن شكل الأصابع قد تدل على الأصول العرقية وبعض الطبائع، ووجدته يقول لي هذه يد فنان ويضحك.

من أكثر أفراد العائلة ترددا على جمال حمدان في الفترة الأخيرة من حياته؟ عمتي وابنتها، وأنا وأختي في السبع سنوات الأخيرة.

هل قرأ أحد أفراد عائلته أيا من مسودات الكتب التي اختفت بعد وفاته أثناء إحدى الزيارات؟

لا. لم يقرأها أحد.

هل هناك وريث شرعي من العائلة لاهتمام جمال حمدان بالجغرافيا؟

لا، أنا أحب الجغرافيا لكن ليس بشكل كبير، وربما ورثنا منه الفن أكثر، فأنا فنان تشكيلي تخرجت في كلية التربية الفنية، وابنة عمتي خريجة فنون جميلة، وجلال بن عمي عبدالحميد لديه موهبة التصوير الفوتوغرافي.

بماذا تحتفظ في مكتبتك من كتب جمال حمدان؟

لم أشتر من كتب جمال حمدان إلا إصدارات مكتبة الأسرة، لكنني ورثت من أبي مكتبته، وأبي كان يحتفظ بكل النسخ القديمة لكتب عمي، وعندما بدأ يتشكل وعيي قرأت شخصية مصر واليهود أنثروبولوجي والقاهرة، وأنا لا أقرأ في الجغرافيا إلا لعمي.

(جمال حمدان جغرافي قومي ووطني ومفكر موسوعي)

كثيرا ما يتساءل الناس فيما هو منفرد جمال حمدان؟ والسؤال يطرحه الجميع طلبة وباحثون وقراء، بل إن بعض الجغرافيين يسأل: كيف يمكنني أن أصبح يوما جمال حمدان؟ يخطئ من يتصور أن عبقرية حمدان هبطت عليه من السماء. الحقيقة هناك أباء كثر تعلم منهم حمدان، في مقدمتهم رفاعة الطهطاوي، وحسين فوزي وأيضا الأب الأكبر لجمال حمدان وهو العالم " محمد عوض محمد" ويعد من الأوائل الذين كتبوا الأدب وله العديد من القصائد في الشعر والترجمات الكثيرة من الألمانية وغيرها وهو مؤسس المدرسة الجغرافية الحديثة في مصر بداية القرن العشرين.

كما استفاد جمال حمدان من كتاب الجغرافي البريطاني كيريل فوكس "شخصية بريطانيا" الذي أخذ منه حمدان فكرة كتاب "شخصية مصر" كما استفاد أيضا من علماء الجغرافيا السياسية الإنجليز وفي مقدمتهم هالفورد ماكندر وغيرهم كُثر.

وفي دراسته لسيناء استعان حمدان بالعمل الرائد للجغرافي المصري عباس عمار وعنوانه "المدخل الشرقي لمصر" كما عاد أيضا في التاريخ للكتاب المهم الذي ألفه صبحي وحيدة بعنوان "في أصول المسألة المصرية". ومن أشهر "أباء حمدان" الجغرافي الانجليزي "جون بول" الذي ينتمي لعهد الاحتلال الانجليزي لكنه عاش ومات مهموما بمصر كما لو كان مصريا وطنيا (دون أن يمنع ذلك من أن جهوده كانت تخدم المشروع الامبريالي الإنجليزي) أنفق جون بول ثلاثين سنة من عمره في تحقيق عدد كبير من الاكتشافات الجغرافية في أراض مصرية لم يصلها غيره من قبل، فضلا عن ترجمته أهم ما جاء في كتب الأولين عن جغرافية مصر عند اليونان واللاتين وغيرهما.

جون بول هو أحد آباء حمدان، اعتمد مبدعنا المصري الكبير في موسوعته "شخصية مصر" على مؤلفات "بول" العظيمة التي تناولت ربوع مصر المختلفة (من شلال أسوان إلى جنوب الصحراء الغربية عند

حدودنا مع ليبيا. ومن جبل علبة في حلايب وشلاتين إلى منخفض القطارة).

قائمة آباء حمدان كثيرة وتشمل عشرات الأولين السابقين عليه، وخلف حمدان مئات الجهود التي أنفق فيها أعمارهم مفكرون وباحثون أنتجوا أعمالا علمية أصيلة وجاء حمدان ليقدمها لنا في ثوب جديد لم نره من قبل أو لم يطلع عليه الجيل الحديث لضعف تكوينه في اللغات الأجنبية. عوامل التفرد ومن كل ما سبق من المصادر الأجنبية والمحلية، قدم حمدان رؤية شمولية مشفوعة بالتأمل والربط والتحليل والقياس. كانت هذه الرؤية فلسفية استهدفت المثقف العام. ومن أهم العوامل التي جعلت جمال حمدان متفردا:

١- التحرر من أي قيد غير القراءة والترمة والبحث، إذ ترك جمال حمدان العمل التقليدي في الجامعة مبكرا وهجر المحاضرات وحضور المؤتمرات وتخلى عن المناصب وتفرغ لمشروعه الكبير وعاش حياة الكفاف.

٢- لم يبدأ مشروعه الكبير عن جغرافية مصر إلا بعد أن أنهى مشروعا بحثيا لا يقل أهمية تناول فيه قضايا عالمية مثل دراسات عن "اليهود" و"أوروبا وآسيا"

و"الاستعمار والتحرير" و"العالم العربي"، بل وبعض الدول العربية بشكل خاص مثل كتابه "الجماهيرية الليبية".

٣- لم يكن جمال حمدان يقدم مؤلفاته للجغرافيين أو طلاب الجغرافيا في المقام الأول، بل إلى النخبة من المثقفين، وهنا يمكننا اعتبار أعماله مرجعًا ثقافيًا أكثر منها مرجعًا علميًا.

عن اليهود أنثروبولوجيا!

قبل أن يدرس حمدان مصر، اهتم مبكرًا بالأوضاع الإقليمية المحيطة. ففي فبراير عام ١٩٦٧، وبعد أقل من ٢٠ سنة من قيام

إسرائيل على أرض فلسطين في عام ١٩٤٨، أصدر حمدان كتابه "اليهود أنثروبولوجيا"، مخاطبًا فيه جمهورًا يتعرض لأكذوبة كبرى، وهي أن إسرائيل تعيد إحياء دولة تاريخية في أرض الميعاد منذ نبي الله موسى. بمراجع أوروبية وبلسان أكاديمي، يفند حمدان عدة مغالطات، أهمها:

اليهود الذين وصلوا فلسطين وشكلوا إسرائيل لا تربطهم باليهود الأصليين روابط عرقية، ولا يتميزون عن أي جنس أوروبي آخر.

يفيد تتبع الخريطة التاريخية لخروج بني إسرائيل من مصر، ثم متاهتهم في الأرض، ثم حروبهم واستعبادهم ومسيرتهم التاريخية، بأنه لا يمكن أن يحتفظ هذا الشعب بنقاء جنسي بعدما يقرب من ٣٨٠٠ سنة منذ ظهورهم أول مرة كجماعة من البدو الرحل في جنوب العراق.

أن لليهود تاريخًا طويلاً في الشتات والأسر والتيه في الأرض (البابلي – الهيللينى – الروماني – الوسيط – الحديث). وقد مزج هذا الشتات اليهود بكل عناصر الأرض، ولا يمكن الجزم بأنهم مجموعة عرقية نقية، إذ ليس هناك من نقاوة جنسية أو عرقية لهؤلاء الذين جاءوا لاستعمار فلسطين، بل هم جماعة دينية وسياسية تربطها تقاليد اجتماعية.

لا يمكن تمييز صفات اليهود الجسمية عن غيرهم من الشعوب وفقًا للإحصاءات العلمية عبر العالم، ولا يستطيع أحد أن يربطهم بيهود التوراة.

إن ما يقوله بعض الساسة العرب – في سبيل تزلفهم للغرب الاستعماري – من أن العرب واليهود أبناء عمومة لاشتراكهم في الجنس السامي، ليس صحيحًا ولا علاقة له بالواقع، لأن يهود اليوم ليسوا ساميين.

الأطروحة الرئيسية عند جمال حمدان:

يقدم جمال حمدان في كتابه "شخصية مصر" ما يسمى السبق الحضاري، مؤكّدًا أن مصر "أم الدنيا" والوطن الأول للحضارة، وسكانها أول من عمروا الأرض وقدموا له أول منجزات التقدم، وفي مقدمتها "ورق الكتابة".

ومن أشهر التعبيرات التي تحضر بوضوح عند حمدان مقولته: "مصر أرض المتناقضات"، وهو تعبير قاله من قبله مؤرخون وجغرافيون ورحالة كُثر. في هذه الأطروحة، يؤكد حمدان أن صفة "الطغيان" أو الاستبداد كانت قرينة بوجود قوة مركزية حاكمة تضبط النيل وتوزع مياهه وتجمع أمواله أو ضرائبه. يرسم حمدان هرم التكوين السياسي للشعب المصري وفق أربع طبقات: البيروقراطية المنتفخة، الحامية العسكرية، الجهاز الديني، ثم الشعب.

الجزء الرابع من "شخصية مصر" جزء هام لعلماء النفس والاجتماع. أراد فيه حمدان ربط شخصية مصر الجغرافية بشخصية المصريين، وذهب إلى أن المصري معتدل المزاج، سَطي السلوك، وكأنه يعكس وسطية موقع مصر ووجودها الجغرافي والتاريخي.

العمق الاستراتيجي:

العمق الاستراتيجي عند جمال حمدان موجود في صفحات متفرقة في الجزأين الثاني والرابع، ويتبلور في: شبه جزيرة سيناء، قناة السويس، البحر الأحمر. ويحذرنا حمدان (قبل أكثر من ٤٠ سنة مضت) من أن إسرائيل تحاول سرقة موقع مصر الجغرافي، كما يحذرنا من أن الخليج العربي (وبتروله) يسرق أيضاً حصة من نصيب موقع مصر، وأن قناة السويس أصبحت تخدم النفط الخليجي في رحلته للعالم. ويتساءل حمدان: هل خدمت قناة السويس مصر أكثر أم خدمت العالم؟ هل قدمت لمصر إيجابيات أم سلبيات؟ وتكون النتيجة أن العالم استفاد من قناة السويس بأضعاف ما استفادت مصر.

ومع ذلك، يستعيد جمال حمدان الخطأ الذي وقعت فيه مصر في العهد المملوكي حين أسرف المماليك في فرض الضرائب والإتاوات على التجارة البرية العالمية المارة في مصر، وهو ما دفع البرتغال وغيرها من الدول إلى الدوران حول إفريقيا في طريق رأس الرجاء الصالح، ومن ثم تجميد موقع مصر وحرمانها من عائدات التجارة البرية آنذاك.

ـــ الصحفية الوحيدة التي التقته قبل وفاته بـ٣٣ يوماً تكتب.. نادية منصور:

لم يكن لقاؤه بالأمر السهل، ولا محاورته بالأمر الهين، فجمال حمدان ليس مجرد عالم فذ، أو أكاديمي متمرس على بيروقراطية الجامعة، أو مفكر صاحب بصمة، لكنه ـ إضافة إلى كل ما سبق ـ علامة على طريق النهضة والوعي، وصاحب نظرة تستشرف المستقبل وتحلل الأنى بعقل باحث موسوعي وقلم أديب متمرس وروح فنان عاشق لهذا الوطن.. بأرضه وناسه، بتضاريس وجوههم وسهول أرواحهم.

وحين آثر حمدان الوحدة، وفرض على نفسه سياج العزلة والصمت، التزم حدود مملكته، وصارت شقته الصغيرة قلعة يصعب اقتحامها، ويستحيل على محبيه أو غيرهم عبور أسوارها الحصينة.

لذلك، فحين وفقني الله لهذا الحوار الذي أجريته لمجلة الشباب مع الدكتور جمال حمدان في شهر فبراير عام ١٩٩٣، وكان الحوار الوحيد الذي تم مع "راهب الفكر" إذ لم يسبق أن سمح بإجراء حوارات صحفية معه، عددت ذلك نصراً مهماً واعتبرته أهم إنجازاتي المهنية خلال مسيرتي التي امتدت منذ منتصف ثمانينيات القرن الماضي. وقد جاء هذا اللقاء عقب سلسلة من المحاولات الطويلة الفاشلة، قبل أن تكلل تلك المحاولات أخيراً بالنجاح في اقتناص هذا الحوار.

فكيف كانت بداية القصة؟

طلب الأستاذ عبدالوهاب مطاوع، رئيس تحرير "الشباب" وقتها، من زميل لي في المجلة أن يحاول مقابلة الدكتور جمال حمدان ويتحدث

معه، وبالفعل حاول هذا الزميل، وكان دؤوباً بطبعه، وذهب لمنزله بالدقي، وطرق باب شقته، ولم يجد استجابة. تكررت المحاولة عدة مرات، ولم ييأس زميلي، ثم هداه تفكيره لترك ورقة تحت عقب الباب يعرفه فيها بنفسه وغرضه من إجراء حوار معه لنشره بالمجلة. ولم تؤت المحاولة ثمارها، فكتب الأسئلة بنفس طريقة عقب الباب لعله يجيب عليها، ولكن حتى هذا لم يحدث، ولذلك أضاف الأستاذ عبدالوهاب في مقدمة حواري فيما بعد أنه تم بعد ٢٠ محاولة.

والحقيقة أن هناك بالفعل كانت محاولات من أكثر من زميل، وكلها باءت بالفشل، حتى إنه صعب عليهم الحصول على تفاصيل عن حياته من جيرانه المحيطين به. وقد فوجئت بالأستاذ عبدالوهاب يكلفني بإجراء تحقيق عن عالم الدكتور جمال حمدان يتناول معلومات عن نشأته وحياته مع الأقارب والجيران.. باختصار موضوع عنه وليس معه، إذ فشلت محاولات سابقة للقائه.

كعادتي عند إجراء تحقيق عن شخصية أو عن موضوع:

ألجأ للأرشيف الصحفي (لم تكن شبكة الإنترنت ظهرت في مصر في ذلك الوقت).. فمن حسن حظ الجيل الحالي أن يدخل على محرك البحث على الإنترنت ليجد أي معلومة يبحث عنها. وقرأت ملف الدكتور جمال حمدان، وكان لا يحتوي على تفاصيل كثيرة سوى شهاداته وجوائزه واسم مؤلفاته وبعض المقالات المنشورة له في بداية حياته في السبعينيات.

وكانت المعلومات التي طالعتها في الأرشيف لا تتيح لي أي خلفية تساعدني على معرفة شخصيته، لذلك بدأت أتحرى عن علاقاته قبل أن يدخل صومعته بإرادته، والشخصيات التي كانت مقربة منه. وتواصلت معهم هاتفياً وتحدثت في تفاصيل ساعدتني كثيراً، منهم الأديب الكبير يوسف القعيد وشقيق الدكتور جمال الأكبر الأستاذ محمد حمدان، وهو أديب، وشقيقه الأستاذ عبدالحميد بطل من أبطال حرب أكتوبر ورجل

أعمال بعدها، كما تحدثت مع الدكتور صلاح الشامي الذي كان أستاذاً متفرغاً بكلية الآداب جامعة القاهرة وزميل الدكتور جمال حمدان.

ورب صدفة خير من ألف ميعاد:

بعد هذه النقاشات أصبحت عندي مادة كافية تصلح لكتابة الموضوع الذي كُلفت به، لكن وجدت أنها ستكون بمثابة مادة بلا روح صاحبها غير موجود، مادة صماء لا تنبض بالحياة، والقارئ يتفاعل أكثر مع المعلومات الحية من أرض الواقع.

ذهبت إلى عنوان الدكتور جمال حمدان، ولم يكن في بالي على الإطلاق أنني سأقابله وأتحدث معه، فقد سألت عن العمارة وشقته وعرفت أنها في الدور الأول على اليمين وأمامها شقة. شقته لم يكن بها عين سحرية ولا جرس، ولذلك طرقت الباب من باب الفضول، وأنا أعلم أنه لن يفتح بابه لي. وكذلك فعلت مع شقة الجار، وانتظرت على أمل أن يستجيب، لكنه هو الآخر لم يفتح.

نزلت إلى الشارع أسأل صاحب المحل المجاور عن البواب، إذ لم يكن موجوداً، فأجابني بأنه ذهب لشراء أغراض لسكان العمارة وسيحضر، وطلب مني أن أنتظر، وانتهزت الفرصة وسألته عن الدكتور جمال، فلم يفدني بشيء. والغريب أنه كان مندهش من اهتمامي بهذا الساكن الذي يعيش بينهم، ولم يعرف أنه عالم كبير.

٣ طرقات على باب "راهب فكر":

كان هذا هو عنوان الحوار الذي نشر في "الشباب"، وللحوار قصة عجيبة. حضر البواب، وعرفته بنفسي، وسألته عن الدكتور جمال، كيف يتعامل معه؟ ومتى يخرج؟ ومن يزوره؟ أجاب عن عدة أسئلة قائلاً: إنه أغلق بابه منذ سنوات في وجه الجميع، ولا يفتحه سوى لشقيقاته وأشقائه وأولادهم، وهم يزورونه على فترات متقاربة. غير ذلك لا يفتح بابه لأحد ولا يتعامل مع الجيران. وأضاف أنه يخرج على فترات للمكتبات

لشراء الكتب الجديدة أو أغراض خاصة به، لكن مستلزمات البيت أقضيها له.

المقابلة والحوارات مع جمال حمدان:

بعد أن حصلت على معلومات كافية عن حياته وعلاقاته، بدأت التحضير للحوار، وعرفت أن جمال حمدان يختار بدقة من يدخلون عالمه، وأنه لا يسمح إلا لمن يعرفهم أو لهم صلة وثيقة، لذلك كان من الضروري أن أكون واضحاً وصادقاً في نيتي، وأحترم حدوده.

حين فتحت له الباب، لاحظت فوراً النظام الدقيق والترتيب البسيط في شقته، وهو يعكس شخصيته المتحفظة والزاهدة، بعيدة عن الظهور أو الاستعراض. وعلى الرغم من بساطة المكان، كان لكل كتاب أو ورقة موضعها المحدد، ويبدو أن كل شيء هنا له قيمة معنوية أو علمية بالنسبة له.

عن حياته اليومية:

كان جمال حمدان يمارس الرياضة يومياً، يحرص على المشي، وممارسة اليوجا، كما كان يخصص وقتاً للقراءة والتأمل، ويهتم بالموسيقى، لا سيما أعمال عبدالوهاب، وغالباً كان يسمعها على الراديو، لأنه لم يكن لديه تلفاز. كما كان يحب الرسم، وكان يحتفظ بلوحات ورسومات خاصة به.

عن زهد جمال حمدان في المال والمناصب:

على الرغم من مكانته العلمية والثقافية الكبيرة، كان جمال حمدان زاهداً في المال والمناصب، ولم يكن يبحث عن المكاسب الشخصية. فقد حصل على جوائز مالية كبيرة لكنه وزعها على إخوته ولم يحتفظ بشيء لنفسه، ورفض عدة عروض لمنصب رفيع داخل وخارج مصر، بما في ذلك منظمات دولية، مفضلاً التفرغ لعلمه ومشروعه الكبير في دراسة مصر وجغرافيتها.

عن علاقاته الشخصية:

حمدان كان يحتفظ بدائرة ضيقة جداً من الأشخاص المقربين، أهمهم شقيقه الأكبر محمد حمدان، صديقه المقرب صبحي عبدالحكيم، وبعض زملاء الجامعة، بالإضافة إلى عدد محدود من أفراد العائلة. وقد كان يرفض التدخل في حياته الخاصة أو استقبال أي ضيوف غير معروفين له.

عن حبه لمصر:

كل حياته الشخصية والعاطفية كانت مكرسة لمصر، فقد ضحى بعلاقاته العاطفية وحتى بحب النساء من أجل وطنه. وعلاقته بفتاة إنجليزية استمرت خمس سنوات، لكنه اختار البقاء في مصر، فكان وفياً لوطنه أكثر من كونه وفياً لحبه الشخصي.

عن مشروعه العلمي والثقافي:

جمال حمدان لم يبدأ مشروعه الكبير عن جغرافية مصر إلا بعد أن أتم دراسة شاملة لقضايا عالمية، مثل: "اليهود أنثروبولوجيا"، "أوروبا وآسيا"، "الاستعمار والتحرير"، و"العالم العربي"، وبعض الدول العربية بشكل خاص مثل "الجماهيرية الليبية". هدفه كان تقديم مصر كحالة معرفية وثقافية، بحيث تكون مؤلفاته مرجعاً ثقافياً وفكرياً شاملاً، لا تقتصر على الجغرافيا الجامعية.

عن كتابه "اليهود أنثروبولوجيا":

أوضح حمدان أن اليهود الذين وصلوا فلسطين وشكلوا إسرائيل لا تربطهم باليهود الأصليين روابط عرقية.

أشار إلى أن بني إسرائيل الأصليين لا يمكن أن يحتفظوا بنقاء عرقي بعد مرور أكثر من ٣٨٠٠ سنة منذ ظهورهم.

ركز على أن الشتات الطويل لليهود وامتزاجهم مع شعوب الأرض ألغى أي نقاوة عرقية.

بين أن اليهود اليوم ليسوا ساميين كما يزعم البعض، وأن مزاعم علاقة اليهود بالعرب عبر الجنس السامي لا أساس لها.

أطروحته حول "شخصية مصر":

قدم مفهوم السبق الحضاري، مؤكداً أن مصر "أم الدنيا"، وسكانها هم أول من عمروا الأرض وقدموا أول المنجزات البشرية، بما في ذلك ورق الكتابة.

وصف مصر بأنها "أرض المتناقضات"، مع وجود قوة مركزية لضبط النيل وتوزيع المياه وجمع الضرائب، في إطار الهرم السياسي: البيروقراطية المنتفخة – الحامية العسكرية – الجهاز الديني – الشعب.

ربط شخصية المصريين بموقع مصر الجغرافي، موضحاً وسطية المصري في المزاج والسلوك كنتيجة للوسطية الجغرافية للوطن.

عن العمق الاستراتيجي لمصر:

ركّز على سيناء، قناة السويس، والبحر الأحمر، وحذر من سرقة موقع مصر الجغرافي، سواء من إسرائيل أو الخليج النفطي.

تساءل عن استفادة مصر من قناة السويس مقارنة بعالمية أهميتها للنفط العالمي.

أشار إلى خطأ المماليك في فرض الضرائب على التجارة البرية، ما دفع الدول الأوروبية للالتفاف حول أفريقيا.

اللقاء الصحفي الأخير:

الصحفية نادية منصور هي الوحيدة التي قابلته قبل وفاته بـ٣٣ يوماً، ووصفته بأنه "راهب الفكر"، صعب المراس، لا يُفتح له باب بسهولة، لكنه عاشق لوطنه، محب لمصر، ومفكر موسوعي تحليلي.

أثناء اللقاء، كشف حمدان عن حياته اليومية، اهتماماته، زهدّه، وعلاقاته الضيقة مع الأشخاص المقربين فقط.

إبداعاته:

موسوعته "شخصية مصر" التي صدرت في اربعة أجزاء كانت أهم أعماله وقناة السويس نبض مصر، و٦ أكتوبر في الاستراتيجية العالمية، "وديمقراطية المدن" وخريطة الزراعة المصرية و"العالم الإسلامي المعاصر" وغيرها من المؤلفات. تحدثت معه عن طقوسه عند الكتابة. وكيف يقضي وقته بين جدران شقته الصغيرة.

أجاب وقتي كله للقراءة والكتابة ووصف نفسه بأنه بطيء في الكتابة أحيانا وأحيانا يكتب بغزارة حسب ملكة الكتابة عنده. ثم حدثني عن كتبه التي يعكف عليها وكاد ينتهي منها وهي ثلاثة "جغرافية الإسلام" وقال إنها ستكون في مجلدين نحو ألف صفحة على غرار شخصية مصر، وستخرج للنور قريبا، وأضاف أنه يختلف عن كتابه السابق العالم الإسلامي المعاصر.

كتابه الثاني عن علم الجغرافيا ماهية هذا العلم بشكله الواسع والشامل والكتاب الثالث كان عن اليهودية والصهيونية ودولة إسرائيل. الكتب الثلاثة أخبرني أنها جاهزة ويضع لمساته الأخيرة عليها قبل تسليمها للناشر، حيث اعتاد أن يضع تصورا لأغلفة كتبه وكان يكتب الغلاف بخط يده الجميل. بكل أسف اختفت مسودات الكتب ولم أقل احترقت فالنار كان مصدرها مطبخ الشقة ولم تصل لمحتويات غرفته التي تضم كتبه وأوراقه.

عاشق الفن الأصيل:

عندما تحدث عن الفن قال أطرب لسماع أم كلثوم وعبدالوهاب ثم سكت لحظة قبل أن يكمل حديثه مبتسما على فكرة أنا صوتي حلو. زمان كنت بغني أغاني عبدالوهاب في جلساتي الخاصة مع أصدقائي. وأضاف أتابع الحركة الفنية وقد خلت الساحة بعدهما. وأتعجب من الأصوات التي يسمعها الناس وأندهش كيف يصفون أنفسهم بأنهم مطربون، أصواتهم تخلو من أي طرب ثم استرجع ذكرياته في لندن. هناك كان يعشق الرسم وهوايته أن يخرج للطبيعة ويرسم لكنه بعد عودته انصرف عن هذه الهواية وهجرها.

وبالطبع لم أسأله عن حياته الخاصة وسبب عدم زواجه لأنني علمت من أحاديثه قبل مقابلته أنه أثناء دراسته في بريطانيا ارتبط عاطفيا بزميلة له وعرض عليها الزواج والسفر معه للقاهرة بعد الحصول على الدكتوراه لكنها طلبت منه أن يبقى في لندن ليعيشا هناك سوريا ورفض.

ظللنا نتحدث ساعة كاملة ووعدني بلقاء آخر بعد أن ينتهي من تسليم كتبه الجديدة للناشر. بل وعد بأن يخرج من عزلته ليبدأ صفحة جديدة من حياته لكن للأسف القدر لم يمهله فقد توفي بعد ٣٣ يوما من هذا اللقاء.يعلم الله مدى حزني عليه كما لو كنت أعرفه منذ سنوات. وعاهدت نفسي ألا أتاجر بهذا اللقاء مثلما فعل غيري ممن لم تسمح لهم الظروف للحديث معه عن قرب. ورفضت حتى أن أصدر كتابا عنه. رغم إلحاح الأصدقاء. هذا هو جمال حمدان الذي عشق مصر وانتمى لها وضحى من أجلها.

(حمدان في عيون مفكري عصره:البطل الوحيد في القرن العشرين)

رغم العزلة التي فرضها جمال حمدان على نفسه، والأسوار التي أحاط بها حياته الخاصة، إلا أن ذلك لم يمنعه من التواصل الفكري والثقافي مع أبناء عصره، حيث ارتبط صاحب شخصية مصر بعلاقة مباشرة مع ثلاثة من أهم صحفيي ومفكري الستينيات والسبعينيات، بداية من كامل زهيري الذي كان رئيسًا لتحرير مجلة الهلال التي بدأ حمدان نشر مقالاته من خلالها، ثم أحمد بهاء الدين وتلميذه مصطفى نبيل، وأخيرًا هيكل الذي استشهد بحمدان كثيرًا في كتابه خريف الغضب، وسعى لمقابلته ولم يتمكن أول مرة، وإلى التفاصيل.

شهادة بهاء الدين:

كان الكاتب أحمد بهاء الدين صديقًا لجمال حمدان، وكذلك كان تلميذه مصطفى نبيل الذي رأس تحرير مجلة الهلال الشهرية سنوات. ولأن حمدان كان زاهدًا في امتلاك كل وسائل الرفاهية وبعض الضرورات، عاش بشقة صغيرة بالدور الأرضي بشارع أمين الرافعي بالدقي، ولم يمتلك سيارة أو تلفاز أو ثلاجة. وبشهادة أخيه اللواء عبدالعظيم حمدان، كان يأخذ التورتة وأشكال الطعام المختلفة ويذهب لشقة جمال ليحتفل بعيد ميلاده مع أفراد أسرته، وكان ذلك في ٤ فبراير، إذ ولد بذلك اليوم سنة ١٩٣٨ بقرية ناي قرب قليوب لأب مدرس لغة عربية.

المهم، رفض حمدان تناول شيء من الطعام وطلب من الخادم أخذ الطعام والحلوى وتوزيعها على البوابين للعمارات المجاورة، وقال لأقاربه بحزم: "ستأكلون ما عندي ولا أريد كلامًا كثيرًا!" ولما شكا شقيقه لبهاء الدين تصرف جمال حمدان، قال له: "جمال أرسله الله برسالة من أجل مصر والمصريين، فلا تخرجه عما يقوم به ولا تضغط عليه."

يتابع شقيقه أنهم كانوا يزورونه كل يوم جمعة وكان كريمًا معهم، ويقول: كانت كل النقود التي تأتيه ينفقها ويوزعها على إخوته. ولما حصل على جائزة التقدم العلمي من الكويت وقدرها ١٢ ألفًا و٥٠٠ دولار، قال له بالحرف الواحد: "وزعها على إخوتك"، ورفض أن يأخذ منها شيئًا رغم أنه لم يكن لديه بعض الضرورات مثل الثلاجة أو جهاز التسجيل!

في مرة نادرة كتب بهاء الدين مقالة عن ظروف حمدان وحياته في غرفة وصالة بالدور الأرضي، وحاجته لمعاش استثنائي من الدولة لأنه سوى معاشه بالجامعة في ظل ظروف استثنائية في عصر عبدالناصر. وقد مضت تلك الظروف، وكان هدف بهاء الدين نبيلاً وشهمًا وكريمًا، ولكن جمال حمدان لم يغفرها له ورفض أن يخاطبه من يومها، وفشلت كل محاولات الصلح بينهما. واعتبر حمدان ما كتبه بهاء مسًّا بكرامته وعصاميته وأدق خصوصياته، ورفض كل التبريرات والحجج التي ساقها الأصدقاء للتقريب بينهما، لدرجة التصلب، ومات غاضبًا من بهاء ورحل بعده بهاء.

كان حمدان يرفض التجول في حياته الشخصية وظل لآخر أيام حياته متوترًا عند هذه الجزئية تحديدًا، ولا يغفر لأحد التدخل في خصوصياته.

شهادة هيكل:

كان هيكل يصف حمدان دائمًا بـ"البطل الوحيد في القرن العشرين"، وأنه "مثل النمر على الكتابة، وأنه لن يموت موتة طبيعية".

مقدمة كتاب هيكل خريف الغضب، التي اعتبرها كثيرون من أقل كتبه شأنًا لتحويله لفصول في الثأر من السادات وعصره، جاءت معظمها عن جمال حمدان وأفكاره عن مصر، واستشهد هيكل كثيرًا بكتاب شخصية مصر.

وكان هيكل قد سعى للقاء حمدان بمنزله بشارع أمين الرافعي بالدقي، وذهب صباحًا بصحبة الكاتب مصطفى نبيل، رئيس تحرير الهلال آنذاك وتلميذ بهاء الدين، ودق نبيل جرس الباب، لكنه لم يفتح له. ولما عجزوا عن الدخول لدقائق، كتب هيكل ورقة كرسالة ووضعها له أسفل باب شقته، وقد وجدت ضمن أوراق حمدان لاحقًا!

ومما قاله هيكل عن أزمة جمال حمدان مع صورة يوليو ١٩٥٢: جمال حمدان من الذين فهموا الثورة أكثر من غيرهم ألف مرة، ولم يكن له صراع مع السلطة، ولكن مع طرف آخر ضمن رسالته الجامعية، ولذلك أحيل للمعاش المبكر وبصورة استثنائية في ظل عصر عبدالناصر.

كانت مشكلة حمدان مع زميل له، اتهمه بسرقة رسالته العلمية، واحتكما لسلطة أعلى فانحازت إلى خصمه! ويستشهد هيكل بعلاقة المثقف بالسياسي كما في علاقة (شارل ديجول – مالرو) منذ أيام محنة ديجول لأيام مجده، ويقول: "إن لم يعرف المثقف السياسي قبل أن يصبح أسطورة وحاكمًا، من الصعب أن تقوم بينهما علاقة إنسانية أبدًا، لأن المعرفة بعد ذلك لن تكون على قاعدة من المواقع المتساوية."

بينما يرجع صلاح عيسى في كتابه شخصيات لها العجب سبب عزلة حمدان إلى قيام الجامعة بتخطيه في الترقية لحساب زميل آخر أقل وأصغر منه، فغضب وشعر أن الفساد قد طال الجامعة فاعتزلها.

يضيف د. غالي شكري في كتابه المثقفون والسلطة في مصر: "في عام ١٩٥٤، كانت سلطة يوليو قد قررت تحويل الإبداع الجامعي للمثقف المستقل الشامل، صاحب المشروع، إلى ترويض من شأنه

إخضاع الثقافي للسياسي وإخضاع السياسي لسلطة الدولة، وذلك بالاقتصار على تخريج المثقف التقني أو المثقف الداعية.

وعن علاقة حمدان بثورة يوليو ١٩٥٢ يقول د. محمد عفيفي، أستاذ التاريخ بآداب القاهرة: نجح حمدان ابن الطبقة المتوسطة بتفوق بالمدرسة التوفيقية بشبرا، وكانت بالأصل قصراً ملكياً تم التبرع به

كمدرسة، والتحق بآداب القاهرة وتخرج سنة ١٩٤٨، وعمل معيداً بقسم الجغرافيا بها، ثم ذهب في بعثة علمية، وعاد بالدكتوراه سنة ١٩٥٣، وعمل مدرساً بقسم الجغرافيا، وكان زملاؤه يشيرون لنبوغه الفذ وكبريائه واعتداده الشديد بنفسه، ولكن... الجامعة المصرية بعد ثورة يوليو لم تعد الجامعة التي نشأت في الفترة الليبرالية السابقة، فقد بدأت علاقة الثورة بالتوتر مع أساتذة الجامعة المشبعين بالأفكار الليبرالية التي لا تتفق مع الشرعية الثورية، وحدث الصدام المبكر عام ١٩٥٤ فيما عُرف (بالمذبحة الأولى)، وتم طرد كثيرين منهم (لويس عوض ومحمود أمين العالم وعبدالعظيم أنيس)، وقد وقعت المذبحة الثانية عام ١٩٦٨، وأحكمت الثورة سيطرتها على الجامعة والتعليم، وعهدت بمنصب وزير التعليم لضابط من أعضاء مجلس قيادة الثورة ليبدأ تسلل مبدأ (أهل الثقة) بديلاً عن (أهل الخبرة)، ولتبدأ أيضاً مأساة جمال حمدان الجامعية.

شهادة كامل زهيري:

يقول الكاتب كامل زهيري في شهادته التي كتبها في مجلة (الهلال) بعدد يوليو ١٩٩٣، أي بعد رحيل حمدان بثلاثة أشهر فقط: "أول مرة بدا لي جمال حمدان يشبه عوداً من أعواد البردي، ممتداً في استقامته، وطموحاً إلى أعلى، رشيقاً بلطف، فوق رأسه تاج من الزهر المتوهج من شدة الذكاء، واستوقفتني جبهته العريضة المفرطة كأنها جبهة عبدالوهاب، أو جبهة الموسيقار الألماني النمساوي جوستاف ماهلر صاحب أغنية (الأرض)، ولم أكن قد اكتشفت بعد أن جمال حمدان من عشاق الموسيقى والطرب، وكان يدندن بينه وبين نفسه أو مع خلصائه المقربين ألحان عبدالوهاب القديمة منذ الثلاثينيات وعبدالحليم الجديدة في الستينيات، ولكنني أحسست موهبة جمال حمدان الموسيقية في موسيقى أسلوبه، وليس غريباً بعد ذلك أن تجد في كتاباته الجغرافية العلمية الرصينة تعبيرات موسيقية مثل (ضبط إيقاع النهر). ولست أظن أن عالماً أو أديباً أو فناناً اجتمعت له مثل هذه المواهب السمعية والبصرية كما اجتمعت عند هذا العالم الأديب الفنان جمال حمدان".

وعن أول معرفة به، يقول: "فوجئت عام ١٩٦٤ وأنا في مجلة (الهلال) بخطاب، ما زلت أذكر لونه، كان فيه مقال مكتوب على ورق أزرق مثل خطابات الغرام أيام الصبا والشباب، وكان الموضوع سياسياً عن مشكلة قبرص، ولكني وجدت أديباً، واكتشفت أن صاحب المقال له أسلوب مسبوك محبوك ينسجم فيه المعنى مع المبنى، وخطر لي أول الأمر أن صاحبه أديبنا الكبير يحيى حقي، أستاذ البلاغة البحتة ومنقذ الأسلوب الأدبي من المبالغة والفضفضة والطرطشة، ولكن كان التوقيع: جمال حمدان... رصانة فكرية، نفس هادئ عميق، جمال واضح أخاذ، استوقفني كل ذلك، ولكن استهواني أيضاً الخط الجميل الذي كتب به جمال حمدان مقاله، واكتشفت أنه من سلالة نادرة من المثقفين ممن تخلصوا من (أمية العين) وتعشق أيضاً الرسم والفنون التشكيلية، واكتشفت بعدها أنه يعلق في بيته الصغير بعض لوحات الرسام (ماتيس)، ولم أكن قد اكتشفت بعد أنه يرسم أغلفة كتبه ويرسم خرائطه ويكتب عناوين فصوله بخده يده. وعندي أن مصر عرفت بين المثقفين والفنانين عائلات بصرية وعائلات سمعية... وجمال حمدان لم يكن أستاذاً في الجغرافيا، ولكن كان من أصحاب الموهبة البصرية والذاكرة البصرية إلى جوار موهبته السمعية، وكانت عيونه هي عيون الرسام الذكية (تحدق وتحلق)".

صلاح البيلي

ــ وقائع موت مفكر عظيم.. النيل كلمة السر في وفاته الغامضة :

الجغرافيا ليست مجرد علم أو تخصص، وإن شئت فقل، هي تكثيف شديد للحياة وسجل أحداث لجدلية الإنسان والأرض، في كل ما حولك: الوادي والسهل والجبل والصحراء والغابة... هي النهر والبحر والمحيط والشاطئ، والبحيرة والشلال والمستنقع... هي الهواء والسحاب والمطر والحر والبرد وما بينهما... هي توزيع الثروات في باطن الأرض وظاهرها، وتوزيع الإنسان بين الساحل والداخل... هي خطوط العرض للمكان والطول للزمان... هي الثانية واليوم والسنة.

لذلك، أصدق وصف قيل عن جمال حمدان أنه "فيلسوف الجغرافيا".

رغم كل ما قيل عن الظروف التي أحاطت حادث وفاة الدكتور جمال حمدان عقب العثور عليه في شقته بشارع أمين الرافعي بحي الدقي، إلا أن ما سيطر على مشاعري للوهلة الأولى هو كيف واجه الموت وحيدًا في شقته الصغيرة بالدور الأرضي الذي يعيش فيه بمفرده، والتي لا تتناسب مع موقعها بالحي الراقي. لا أذكر منها إلا شحوب جدرانها التي كاد يختفي لون طلاؤها الأصلي، وخطوات قصيرة لقطع مسافة نحو ركن المطبخ الذي اشتعل فيه الحريق المحدود، واحتراق جريدة قديمة مفروشة على سطح مائدة صغيرة بجوار "بوتاجاز" وآثار دخان بسيط حولها.

هذا كل ما أتذكره عن منزل جمال حمدان، ولم أفاجأ بتواضع المكان، لأن جمال حمدان بالنسبة لي، كقارئ له منذ فترة مبكرة من العمر، قيمة كبرى ازدادت مع سماعي عن عزلته التي فرضها على نفسه، وليس غريبًا ألا يهتم بزخارف الحياة، ليسكن قصراً منيفًا أو شقة فاخرة، أو يبحث عن مراكز وألقاب يتباهى بها.

فماذا ننتظر إذن أن نرى في الصومعة؟!

كان جمال حمدان له أسلوب صارم يعرفه الكثيرون عنه في حياته: محدود الأصدقاء، محدود العلاقات، يعيش حياة الزاهد في الدنيا... لا لبخل ولا عوز، ولكن لأنه كلف نفسه بما لا يطيق معه وجود أي أثر لأي زيف اجتماعي، ولو تخفى في ألقاب ومراكز علمية.

الرجل فرغ حياته للقراءة والكتابة والفكر، فصار مسكنه محراب علم لا يتردد عليه أحد، حتى البواب يتفق معه على دق الباب بطريقة معينة ليفتح له عندما يحضر حاجياته، وهناك فقط الطباخ الذي يحضر لتجهيز طعامه، والمقربون لهم مواعيد محددة يتم الاتفاق عليها مسبقًا، أو عن طريق ترك رسالة.

وكما هو متوقع، مات موتة العابد في هذا المحراب، ولكن مع الأسف، فالموت داهمه بقسوة، أيا كان شكله، وكيف كان هذا الموت الذي لا ينتظر منه أن يخضع لنظام زيارة الراهب العظيم.

فهل مات بصدمة عصبية ناتجة عن حريق؟! أم من فعل إجرامي غامض ارتكب باحتراف حقق معضلة الجريمة الكاملة؟!

شعرت بغصة في الحلق ووخزة في القلب عندما وصف أحد حارسي العقارات المجاورة في شارع أمين الرافعي رفض رجال الإسعاف نقله إلى المستشفى، لأنه كان قد فارق الحياة، ولا يجوز لهم نقل الجثث، فتركوه. أما مشهد حمل جثمان جمال حمدان ووضعه في صندوق سيارة نقل لحمله إلى المشرحة، فلا يمكن تحمّل وصفه.

تمنيت ساعتها أن أكون في وداعه، رغم قسوة الحدث، ولكن لم ألحق به لأن كل شيء جرى سريعًا، منذ انتباه حارس العمارة للدخان وإبلاغ المطافي، والعثور على المفكر الكبير ميتًا في المطبخ، ثم حضور الشرطة مع مفتش الصحة وحمل الجثة إلى المشرحة... كل هذا حدث سريعًا قبل أن يصلنا النبأ في أعقاب عصرية يوم أبريلي، غير محدد الملامح، ما بين قدوم الربيع ورحيل الشتاء. كان صاحب النبأ الأول هو الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل، فقد دق جرس تليفون قسم الحوادث بالأهرام، وكان المتحدث الأستاذ منير عساف، مدير مكتب هيكل، يسأل عن الأستاذ حسن أبو العينين، رئيس القسم، الذي كان قد غادر لتوه بعد انتهاء يوم العمل التقليدي، ولما أخبرته بذلك، قال إن الأستاذ هيكل يريد أن يتحقق من نبأ وفاة الدكتور جمال حمدان في بيته، ثم طلب الانتظار ليحول المكالمة إلى الأستاذ نفسه، ويأتي صوته مشوبًا بالحزن.

بلغني خبر وفاة الدكتور جمال حمدان في حريق بمسكنه بالدقي.

سنتأكد يا أستاذ ونخبرك على الفور.

وعلى الفور، أجريت مكالمة مع الضابط المشرف على نجدة الجيزة، فأجاب بعد مراجعة بيانات أمامه:

"آه، بالفعل عندنا بلاغ حريق، ومتوفى في شارع أمين الرافعي، دائرة قسم شرطة الدقي. ما اسمه؟"

المدون لدي أن الجثة لشخص اسمه جمال محمود حمدان، سن ٦٥ سنة. وفاة إثر حريق أسطوانة البوتاجاز بشقته، وتمت السيطرة على الحريق.

بدأت الشكوك تحوم حول ظروف الحادث، خاصة أن الحريق لم يكن كبيرًا ولا حتى متوسطًا. "يا عم، ده حتى النار ما حرقتش غير الجورنال المفروش على الترابيزة وحتة من خرطوم الأنبوبة"، هكذا قال مفتش مباحث وسط الجيزة في قسم شرطة الدقي، غير البعيد عن مكان الحادث.

أما العقيد صلاح شحاتة، قائد مطافي الجيزة، فقد أسرعت إليه في مقر إدارة الدفاع المدني في منطقة بين السرايات، غير البعيدة أيضًا، لأنه كان أول من وصل إلى مكان البلاغ، فأشار بيده على مسافة من ذراعه، ممثلًا طول وحجم الحرق الذي أصاب جمال حمدان: "حرق في الفخذ طوله كده حوالي ١٢ سنتي بس".

والمحصلة أن حمدان مات وصار حديث الجميع، واتخذت نهايته التراجيدية تعاطفًا كبيرًا، خاصة بعد أن صار حديث المنتديات الثقافية.

لكن الناحية الجنائية قد أغلقت، لأنه لم يُعثر خلال المعاينات، وعند مناظرة الجثة مع التقرير الطبي عن حالة الوفاة، على أي ما يدل على دخول غريب إلى شقة حمدان أو فقدان شيء ذي قيمة. خاصة أن نظام معيشته الصارم وضيق دائرة معارفه لا يترك احتمالًا لوقوع جريمة جنائية، هذا مع فحص مداخل ومخارج الشقة مع وجود عدة أشخاص بالقرب منها عند وقوع الحريق، ومع عدم اشتباه أي من ذويه في الحادث وعدم توجيه الاتهام لأحد، لذلك قيد الحادث على أنه وفاة ناتجة عن حريق.

أما ما بقى من الأحداث فهو المشهد المفزع بالموت المفاجئ وحيدًا. فهل يمكن أن يصرخ حمدان؟! هل تقبل كبرياء العالم فيه أن يستغيث بأحد؟! أتراه مدّ يده في الرمق الأخير لعله يطلب جرعة ماء، فلم يجد؟!

"النيل يحل اللغز"

كان كل هذا ما ظل عالقًا في ذهني مع ذكر اسم جمال حمدان أو استدعاء الذكريات حول يوم الحادث، حتى جاء يوم كنت أتابع فيه عملي الروتيني في مجال الجريمة، إذ ذهبت إلى قسم الدقي لمتابعة قضية مقتل الدكتورة سلوى لبيب، عميدة معهد الدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة، والتي وجدت مذبوحة داخل شقتها بشارع نوال بالقرب من كورنيش النيل بحي العجوزة. ولم يكن هناك أي رابط بين قضيتها وحادث مصرع جمال حمدان قبلها بحوالي عشرة أشهر، ربما الروابط الأخرى لم تلفت انتباهي، فهناك تطابق في تخصص الدكتورة سلوى كأستاذة جغرافيا، والجغرافيا هي التي عشقها حمدان من المهد إلى اللحد.. ثمة شيء آخر.. فكلاهما يعيش وحيدًا مع فارق ثراء الدكتورة، هل من رابط آخر؟!

النيل؟!

دعك مما قيل عن أن كتابًا أعده حمدان عن إسرائيل كتوسعة كبرى لكتابه الشهير الذي ألفه في الستينيات "اليهود أنثروبولوجيا"، والذي تتبع فيه أصول إسرائيل الحالية وفند مزاعم انتمائها إلى نسل يعقوب عليه السلام أو أي نسب بني إسرائيل التاريخيين. ورغم أن فكرة إسرائيل قائمة أساسًا على مثل هذا الزعم، إلا أن مسألة انتماء يهود الإشكناز لشعب الخزر ودخولهم اليهودية في القرن الثامن الميلادي قد شاع، فضلاً عن أن إسرائيل الآن تحاول تقديم نفسها كدولة مدنية.

أما عن كتابه عن "العالم الإسلامي"، الذي وسع فيه دراساته – على غرار تطوير كتاب "شخصية مصر" – إلى عمل موسوعي، وكان النواة للعمل الجديد كتابه الذي حمل العنوان نفسه وصدر سنة ١٩٧٢،

فيمكن أن يكون أكثر خطورة. ففي الكتاب السابق شدد على الأطماع التركية في العالم الإسلامي، ووسم الخلافة العثمانية بالاحتلال، واتهم سلاطين الأتراك بأنهم يستخدمون الإسلام فقط لأغراض سياسية، وأنهم شوهوا رسالة الإسلام وتاريخه، وهم سبب تخلف المسلمين. وأخطر ما قرره في الكتاب هو استحالة خضوع جميع الدول الإسلامية لسلطة واحدة تحت زعم الخلافة، وأن ذلك لم يحدث في التاريخ على وجه الحقيقة إلا في الخلافة الراشدة. ولظروف التأسيس، فرأى حمدان، في شجاعة علمية ومنهجية جبارة، أن تنوع المجتمعات الإسلامية في طول وعرض العالم الإسلامي هو أفضل ملامح الإسلام وثروته الحقيقية، فالانتماء العقدي لا يعني الوحدة السياسية، والذي تصادم مع حقائق التاريخ والجغرافيا، وما قرره حمدان أن ينسف مشروع تركيا – الذي لم يكن أعلن بعد – كما أنه يدمر الفكرة الرئيسية لجماعات الإسلام السياسي، والتي تتحالف الآن مع تركيا لتحقيق هذا المشروع الذي حكم التاريخ والجغرافيا على لسان حمدان بفشله.

لكن الرابط الأكيد الذي جعل مفتشًا بمباحث مديرية الأمن بالجيزة يربط جنائياً بين مقتل سلوى لبيب بعد فترة وجيزة من مقتل جمال حمدان هو النيل!

وقال بالحرف: "الدكتور جمال والدكتورة سلوى تعرضا للمشروعات التي يقال إن إسرائيل تعد لها سرًا في هضبة الحبشة، وكلاهما مات بجريمة كاملة"!

ففي ذلك الوقت لم يثر شيء عن هذا الأمر، ولكن كان هناك تحركات مريبة فيما بين الثلاثي "إثيوبيا – إسرائيل – تركيا". هذه التحركات تنبهت لها مصر، ولكنها لم تثر على المستويات الإعلامية أو يُعلن عنها بأي وسائل، لكن هذه القضية كان جمال حمدان سبق أن سخر من محاولة تغيير مجرى النيل الأزرق إلى البحر الأحمر إبان الغزو الأوروبي الصليبي لفلسطين والشام لتعطيش مصر وقتلها جوعًا، كما وصف محاولة القائد البرتغالي "البوكيرك" في القرن الخامس عشر بأنها

"حلم فاوستي" فاشل سخرت منه الجغرافيا، كذلك تنبأ في موضع آخر بأن الخطر القادم لمصر سيأتي من الجنوب بالإشارة إلى إثيوبيا، وكان هذا في فترة مبكرة جدًا، وقيل إنه أزمع إصدار دراسة عن هذا الأمر بالتفصيل من شأنها كشف المخطط.

هناك معلومات أن شخصين أجنبيين، أحدهما على الأقل يحمل الجنسية التركية، راقبا حمدان بعد استئجار شقة بالقرب منه وتمكنا من جمع معلومات عنه واختفيا عقب الحادث.

أما عن سلوى لبيب، فقد كانت مبررات قتلها أكثر وضوحًا كالجريمة نفسها، فقد سبق أن زارت إثيوبيا حوالي عشرين مرة وأعدت دراسات وافية عن المناطق التي يمكن إنشاء سدود عليها في وقت لم يُعلن فيه عن أي نية، ولها كتاب بعنوان "التغلغل الصهيوني في إفريقيا" وعن مشروعات إسرائيل في دول أعالي النيل في إثيوبيا وكينيا وجنوب السودان!

ولكن شخصًا تركيًا كان قد سجل نفسه عند دخوله مصر كصحفي يعمل في إحدى القنوات، ويدعى إبراهيم أكابابا، قد اتصل بالدكتورة سلوى لعمل برنامج معها بصفتها عالمة جغرافيا، ولكنه في هذا الشأن لم يُخطر هيئة الاستعلامات المصرية، كما تقتضي الإجراءات. وبالفعل ذهب بناءً على موعد مسبق وقام بتصوير الشقة لاستخدام مشاهد منها بالبرنامج، لا سيما أنها ترى النيل، ولكن فجأة عثر على الدكتورة سلوى مذبوحة، واختفى أكابابا التركي، وبعدها ثبت أنه سافر خارج البلاد!

تطابقت وجهة النظر هذه مع الزميل الكاتب الصحفي حمادة إمام الذي تابع القضيتين وضمنهما في كتابه "الموساد واغتيال زعماء وعلماء".

قد يبدو الربط غريبًا، ولكن فريق البحث العامل في قضية سلوى كان مُصرًا عليه، غير أنه لم يتجاوز التحريات والمعلومات إلى أدلة، لأن

التخطيط لكلتا الجريمتين قد تجاوز الأساليب الجنائية العادية. مع ذلك، قمت بنشر كثير من التفاصيل وقتها، خاصة في الجريمة الثانية، لوضوح معالمها كجريمة قتل صريحة، ولكن كما قُيد الحادث تحت رقم إداري بمحضر "حريق ومتوفى"، قيدت أوراق المحضر الجنائي بمقتل سلوى لبيب ضد مجهول.

لكن الأحداث التالية أبدت بقوة ما ردده ضباط فريق البحث الجنائي، ولكن لم يجدوا دليلاً عليه حتى صدقته الأيام.

حتى لو كان ذلك محض أوهام بالنسبة لجمال حمدان، فكيف يكون بالنسبة للدكتورة سلوى، برغم عدم ثبوت تعاونهما مباشرة في هذا الشأن؟ لكن هذا لا ينفي أن دراساتهما، كل على حدة، قد تنبهت لذلك الخطر مبكرًا بما لا يدع مجالًا للشك!

محمد شمروخ

ـ شاعر الجغرافيا:

أصبح للشخصية المصرية الكلمة العليا في مطلع القرن العشرين، بل وكانت الموضوع الأثير والمعقد الذي تناولته العديد من الأقلام من خلال عناوين مختلفة، فكتب طه حسين "مستقبل الثقافة في مصر بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦"، وسلامة موسى "مصر أصل الحضارة"، وشفيق غربال "تكوين مصر"، وصبحي حيدة "في أصول المسألة المصرية"، وصبري السوربوني "نشأة الروح القومية المصرية"، وعناوين أخرى، بالإضافة إلى الكتاب الأهم في هذه القضية وهو "شخصية مصر" لجمال حمدان. في محاولة جادة ليس فقط لقراءة شخصية مصر عبر العصور، بل لقراءة ودراسة اللحظة الراهنة وطرح أسئلة المستقبل نتيجة لعوامل عديدة عاشها المصريون في القرن التاسع عشر، كان أهمها الثورة العرابية التي رفعت شعار "مصر للمصريين"، ثم جسدت ثورة ١٩١٩

هذه الروح بقوة في حياة المصريين، فكانت شخصية مصر وهويتها الشغل الشاغل للمفكرين والأدباء لعقود طويلة.

وظني أن العناوين السابقة جاءت تمهيدًا للموسوعة التي وضعها جمال حمدان، والتي كانت وما زالت بمثابة قصيدة في عشق هذه الأرض رغم قسوة مفرداتها أحيانًا، التي قدم من خلالها بطاقة هوية لمصر والمصريين عبر العصور، دفتر أحوال الشخصية المصرية. دراسة في ظاهرها تشريح شخصية المكان وفي باطنها تحليل عميق للإنسان المصري الذي عاش ألفي سنة من السيادة العالمية والإقليمية، وبعدها ألفي سنة في ظل التبعية الاستعمارية والأجنبية، ومع هذا ظل محتفظًا بهويته ومتفردًا في شخصيته، ليتحول علم دراسة الأرض في هذه الموسوعة إلى نص شعري، دون أن يفقد المنهج العلمي ويحتفظ بكل مقومات البحث. هذا هو جمال حمدان في "شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان".

وما زلت أذكر، رغم مرور السنوات، هذا الانطباع وأنا أقرأ "شخصية مصر"، فمنذ الوهلة الأولى يعلن أنه لا يبحث في التباين الأرضي ولا الاختلافات الرئيسية، فالأمر لا يتعلق فقط بالمرتفعات والمنخفضات والحدود، بل روح المكان، روح الجغرافيا، وللوصول إلى فلسفة المكان للتعرف على شخصيته. ويفاجئ القارئ قائلاً: دراسة الجغرافيا ليست حكرًا على الجغرافيين، بل المؤرخين أيضًا، ثم يهمس في أذن قارئه: هل تعلم يا عزيزي؟ لقد قالوا إن البيئة خرساء والإنسان لسانها، وأقول لك: الجغرافيا صماء والتأريخ لسانها. لقد قالوا إن التاريخ ظل الإنسان على الأرض، وأقول: الجغرافيا ظل الأرض على الزمان. شعرت وقتذاك وكأنني أقرأ مقدمة عمل أدبي يؤكد أن الجغرافيا علم وفن وفلسفة، وشخصية الإقليم مثل شخصية الإنسان تنمو وتتطور وتتغير، وكان جمال حمدان على وشك أن يخبر القارئ أنه بداخل كل جغرافي جيد شاعر مستتر يقوده إلى علم دراسة الأرض. وبالطبع الأمر لا يتوقف عند شعوبية الفكرة أو التناول، ولكن الضرورة ضرورة دراسة شخصية مصر من خلال مستويات متعددة، جغرافية وسياسية وتاريخية في تلك الفترة.

فقد صدرت الدراسة في صياغتها الأولى عام ١٩٦٧، ولا يخلو التاريخ من دلالة، واكتملت في أربع مجلدات ما بين أعوام ١٩٨٠-١٩٨٤، وكان صاحبها يعي جيدًا المنعطف التاريخي الذي تمر به مصر، خاصة في ستينيات القرن الماضي، فثمة انقلاب تاريخي في مكان مصر ومكانتها في تلك اللحظة التي يسميها جمال حمدان "عصر البترول العربي الخرافي". وكان صريحًا لدرجة القسوة، هذه القسوة التي سوف تستمر حتى نهاية السطور الأخيرة في الموسوعة التي ناقش فيها قضايا شائكة مثل مركزية العاصمة ومشكلة الديمقراطية، وعلاقة مصر بالعرب، وقضية الزعامة، والضرورة الحتمية لتحرير فلسطين من العدو الإسرائيلي كشرط لتسترد الشخصية المصرية عافيتها.

كان جمال حمدان يرى أن المرحلة لا تحتمل الاستخفاف أو الاستهتار، ولابد من مراجعة للنفس، مراجعة أمينة وصريحة بلا زهو أو خيلاء، وبلا تهرب أو استجداء، ليقول للقارئ إن هذه الدراسة تأتي في وقت تحتاج فيه مصر إلى إعادة النظر في كيانها ووجودها ومصيرها بأسره، وذلك بالعلم وحده لا بالإعلام الأعمى الذي كان سائداً في تلك الفترة!

ليحذر في فترة مبكرة من خطر المغالاة في ترجيح القومية والإسراف الكاسح في تغليبها على الوطنية إلى حد محوها وتآكلها، وظني أنه لم يكن يصدق أن هذا سوف يحدث في العقود التالية وبقوة، وأنه سوف يتم تأثير الحضارة الفرعونية لصالح الجهل والأفكار الغيبية. ومن ناحية أخرى، حذر من الاعتماد على التاريخ وأمجاده والإسراف في تعاطي الماضي.

فالأمر لا يتعلق فقط بالجيولوجيا والجغرافيا المصرية في الجزء الخاص بشخصية مصر الطبيعية، أو بملامح التجانس الطبيعي والمادي والبشري والحضاري للشخصية المصرية، أو دراسة الجوانب الاقتصادية في هذه الشخصية التي اعتمدت على الزراعة منذ فجر التاريخ، أو شخصية مصر الحضارية منذ الفراعنة وحتى ثمانينيات القرن الماضي،

ولكنه يقدم من خلال هذه الموسوعة قراءة شاملة وقاسية للحظة الراهنة في تلك الفترة، ليس فقط في شخصية مصر "دراسة في عبقرية المكان"، ولكن للشخصية المصرية: ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

فإذا كانت مصر تجمع بين الأضداد والمتناقضات، ويصفها أيضًا بأنها سيدة الحلول الوسطى، وأنها فلتة جغرافية لا تتكرر في أي ركن من أركان العالم، ليكون الناتج في المحصلة النهائية أن مصر نصف أوروبية، ثلث آسيوية، سدس إفريقية، وفي داخلها تبدأ أوروبا عند الإسكندرية، وآسيا عند القاهرة، وإفريقيا عند أسوان، فشخصية مصر هي التفرد، وشعبها شعب خاص جعلهم تاريخهم وجغرافيتهم يختلفون عن سكان

أي أُمة من الأُمم، لكنه رغم هذا الوصف البديع الأقرب إلى نص شعري، يعرض لأمراض الشخصية المصرية منذ الفراعنة، ممثلة في الديكتاتورية، ويصفها بأنها النقطة السوداء في شخصية مصر، ويرى أن مصر في سنة ١٩٨٤ ميلادية لا تختلف عن ١٩٨٤ قبل الميلاد، والفرعونية المحدثة لا تختلف عن الفرعونية العتيقة، بل نظام الحكم! ويقول إنه لا السكان، ولا الفقر، ولا حتى الاستعمار في الماضي أو إسرائيل أو البترول العربي في الحاضر. إنما مشكلة المشاكل وقضية القضايا هي قضية الديمقراطية ونظام الحكم المطلق.

فعبقرية المكان التي وصفها جمال حمدان في مئات الصفحات ليست مديحًا خالصًا، فالخطة العلوية العظمى التي رتبها الجغرافي الأعظم لتجعل من مصر قطبًا جغرافيًا أعظم في العالم القديم، لم تمنعه من تجسيد أمراض المجتمع المصري عبر العصور. فإذا كانت هذه الدراسة أقرب إلى نص شعري، فهو يجمع بين المديح والهجاء في آن: "هجاء أمراض المجتمع المصري!" وظني أنه لا يكفي الإعجاب بهذه الموسوعة وصاحبها، بل لابد من قراءة النتائج التي توصل إليها جمال حمدان، ومن المخاطر التي حذر منها، وأيضًا أن يتم تدريس جزء منها في المدارس حتى تعرف الأجيال الجديدة من هي مصر، وكيف كانت، وكيف أصبحت.

جرجس شكري

ـ جمال حمدان.. فيلسوف المكان.. العاشق:

عندما يدور التاريخ دورته ويوغل الزمن في الغياب، وتروح الأيام والدول في دروبه البعيدة، قلائل فقط يسطعون كنجوم لا تغيب أبدًا، من هؤلاء العبقري جمال حمدان، ذلك الذي آثر الظل واعتزل الناس، لكن أثار عبقريته سطعت كفلق الصبح بما قدم من أعمال تظل علامات على مر التاريخ.

ففي المعارك التي تحتدم والأسئلة التي تدور عن حاضر الوطن ومستقبله، يكون الرجوع إلى فيلسوف المكان جمال حمدان طوق نجاة لمن يبحثون عن يقين لا يحكمه الهوى، وعقل ثاقب ورؤى استشرافية جعلته من أهم المفكرين الاستراتيجيين.

وجمال حمدان (١٩٢٤-١٩٩٣) وُلد بقرية (ناي) في محافظة القليوبية، والتحق بمدرسة شبرا حيث كان والده مدرّسًا للغة العربية بنفس المدرسة، ونجح في الثانوية العامة، وكان ترتيبه السادس على الجمهورية، ثم درس الجغرافيا في آداب القاهرة وحصل على الليسانس بدرجة امتياز عام ١٩٤٨، وأوفدته الجامعة في بعثة إلى جامعة ريدنج ببريطانيا، حصل خلالها على زمالة الجمعية الجغرافية البريطانية، وموضوعها: "سكان وسط الدلتا المصرية بين الماضي والحاضر".

وعاد إلى مصر ليقوم بتدريس جغرافيا النبات وجغرافيا السكان وجغرافيا العالم العربي لطلاب آداب القاهرة، مع كتابات ملازم لم يتعجل نشرها، وكان ذلك سبب الأزمة التي حدثت له مع الجامعة، كما يروي دكتور صبحي عبدالحكيم، رئيس مجلس الشورى الأسبق، في شهادته عن جمال حمدان بعد وفاته، وكان من أقرب الأصدقاء إليه.

كانت لائحة الجامعة تشترط لحصول المدرس على درجة أستاذ مساعد وجود كتب منشورة له، ولذلك قام جمال حمدان بنشر ثلاثة كتب في وقت واحد، وقدمها إلى لجنة الترقي، وأعلنت لجنة الترقي اختيار صفي الدين أبو العز وجمال حمدان، لكن جمال حمدان تأثر أشد التأثر

بكتابة اسم الدكتور صفي قبله، لأنه كان بالغ الثقة والاعتزاز بنفسه ومكانته.

ويروي دكتور صبحي عبدالحكيم أن هذه الأزمة لم تكن السبب الوحيد لاعتزال جمال حمدان، لأنها حدثت عام ١٩٥٩، بينما هو قدم استقالته عام ١٩٦١، ولم تُقبل إلا عام ١٩٦٣.

ربما آثر جمال حمدان العزلة والبعد عن الجامعة ومكائد الزملاء حتى يتفرغ لمشروعه العلمي الذي كان يحشد نفسه له بالقراءة الموسوعية والبحث الحر الدؤوب، وربما كان متأثرًا في ذلك بالعقاد مثله الأعلى بعد أن تردد على صالونه كثيرًا.

صفوة القول إن عزلة جمال حمدان كانت تماثل شخصية راهب مصري نذر حياته للعلم، لم يحول عزلته إلى طاقة غضب أو نقمة ضد الوطن، وإنما حالة عشق لكل ذرة من ترابه، ورماله وصحاريه ووديانه ونيله وزرعه وبحره وأقاليمه، شماله وجنوبه، غربه وشرقه، وحاضره ومستقبله، أخضع كل ذلك إلى البحث المحب الدقيق الصارم، فكانت كتبه علامة عبقريته وحبه لمعشوقته مصر.

وكان أول كتبه بعد الاستقالة من الجامعة هو (المدينة العربية)، ثم (الاستعمار والتحرير) و(اليهود أنثروبولوجيا)، وصولًا إلى كتابه العمدة "شخصية مصر"، الذي جاء في لحظة ضاغطة على الوطن بعد أن غامت الرؤية وعاش الناس في ضباب الأساطير عقب هزيمة ١٩٦٧.

جاء الكتاب لينفذ إلى روح مصر ويستشف مكامن عبقريتها وقوتها، مما أعاد الثقة إلى الوطن والبشر، فمصر – كما يقول في كتابه الذي تحول إلى موسوعة – هي بالجغرافيا تقع في إفريقيا، وتمت بالتاريخ إلى آسيا، متوسطة بعروضها، موسمية مياهها وأصولها، وهي في الصحراء وليست منها، إنها واحة ضد صحراوية، بل ليست بواحة، وإنما شبه واحة، إنها فرعونية بالجد، عربية بالأب، بجسمها النهري قوة بر، وسواحلها قوة بحر، أي تضع قدمًا في الأرض وقدمًا في الماء،

بجسمها النحيل، تبدو مخلوقًا أقوى من قوى، لكنها برسالتها التاريخية الطموح تحمل رأسًا أكثر من ضخم، تقع في الشرق، وتواجه الغرب، وتكاد تراه عبر المتوسط تمد يدًا نحو الشمال، وأخرى نحو الجنوب، ولهذا هي قلب العالم العربي، واسطة العالم الإسلامي، وحجر الزاوية في العالم الإفريقي، إنها سيدة الحلول الوسطى، والوسط الذهبي.

استطاع جمال حمدان بمواهبه في الرسم والموسيقى وحبه الشعر والأدب والتاريخ أن يجعل من الجغرافيا قطعة موسيقية ولوحة تشكيلية، وقصيدة شعر من خلال أسلوبه ذي الجلال والبهاء الموسيقي، والذي يُعد من أجمل الأساليب في اللغة العربية عمقًا وجزالة وسلاسة ووضوحًا وقوة.

ويقسم جمال حمدان تاريخ مصر إلى أربع مراحل:

صناعة الحضارة: حين كانت مصر مشتلاً لتأصيل حضارة مبكرة سباقة، مادتها الخام هي فيض الثروة الفيضية، وصوبتها الزجاجية التي تحمي طفولتها هي الغلاف الصحراوي.

مرحلة تصدير الحضارة: وتشمل العصر الفرعوني حين هيمنت الحضارة المصرية على جيرانها، وشكلت نموذجًا حضاريًا يُقتبس منه ويتوجه نحوه، كما تقول مارجريت مري: "فإن كل المناطق المحيطة تدين في حضارتها إلى مصر ابتداءً من الحضارة الأوروبية إلى روسيا وفارس والعرب والهند والصين أيضًا".

مرحلة الاكتفاء الذاتي: بعد نهاية الفرعونية، وتتسم بهبوط قوة مصر السياسية واستمرار قوتها الحضارية، وأسهمت مصر في الحضارة الهيلينية المتوسطية من خلال الإسكندرية، وتأصلت فيها ملكة الامتصاص على حساب قدراتها الخلاقة، واستمرت هذه المرحلة من البطالمة إلى العصر التركي الذي أوصلها إلى الحضيض حضارياً، مصابة بتصلب شرايين حضاري لم يسبق له مثيل في تاريخها.

مرحلة استيراد الحضارة: وتبدأ من اقتحام الحضارة الأوروبية لمصر بالحملة الفرنسية، وبعدها بدأت تخرج رويدًا رويدًا من شرنقة عزلتها، وانتعش ميكانيزم المشاركة، ولكن مصر لم تتحول من نافورة الحضارة القديمة إلى بالوعة الحضارة الجديدة، بل إلى بوتقة صهرتها بما يتفق مع تراثها تستعير لتهضم وتتمثل، لا لتذوب أو تغرق.

فدور مصر الحضاري لم يختف عبر العصور وإن اختلف من عصر إلى عصر، مصر لا تشرق بعض اللحظات ثم تغيب في ليل طويل، وإنما العكس هو الصحيح، فلقد أراد لها طالعها العجيب أن تواصل عملها سبعين قرنًا، وأن تترك أثرها في كل ناحية من النواحي واضحًا جليًا، وخلال هذا الدور المتصل كانت إما صانعة الحضارة وإما حافظتها، وفي الجزء الأكبر من تاريخها كانت في الصدارة أكثر منها في الصفوف، والعكس، وإذا كانت الأمم التي قادت العالم حضارياً قلة معدودة بالضرورة، فمصر بالضرورة منها.

وقد ظل جمال حمدان حتى لحظة وفاته الغامضة لا يكف عن البحث في تاريخ معشوقته مصر وحضارتها وموقعها وموضعها، كأي عاشق لا يكف عن التغزل في محبوبته.

ونحن كأبناء لهذا الوطن نود أن نرد إلى هذا العاشق بعضًا من الحب والتقدير، نعلم أنه نزر يسير لا يوفيه حقه ولا قدره، لكننا في ذكرى وفاته التي يمر عليها ٢٧ عامًا، نريد أن نقول: لن ننساك ولن ننسى ما أعطيت من جهد لهذا الوطن الصامد الصابر الذي ينتصر على الشدائد مهما كانت قاسية.. هذه حكمة التاريخ وحكمة عباقرة هذا الوطن، وأنت منهم وأكثرهم نبلا.. يرحمك الله.

محسن عبدالعزيز

ـ مصر الاستمرارية:

لعل أنسب مكان لهذه الخاصية المتأصلة في الشخصية المصرية ـ الاستمرارية ـ هو نهاية المطاف أو قريب منها؛ لأنها صفة مشتركة بين

كل جوانب الشخصية الأخرى، فما من كاتب تعرض لتاريخ مصر أو حضارتها دون أن يصر بإلحاح على عنصر الاستمرارية في كل مقوماتها ومقدراتها. وقد ضربت مثلًا معروفًا حين تتبعت، خلال التاريخ منذ الفراعنة حتى الوقت الحالي، عشرات من الملامح الاجتماعية والثقافية، والتقاليد والعادات والألفاظ والأفكار، ابتداءً من المحراث حتى شم النسيم، ومن وفاء النيل حتى الختان، فالماضي دائمًا يعيش في الحاضر أو يرقد خلفه. وربما بالغ البعض وأسرف في المبالغة فقال: "مصر التي لا تتغير"، وتحدث عن حضارة أبي الهول، وربما استنتج البعض أن روح المحافظة الشديدة هي طابع قومي عميق الجذور.

والمؤكد أن القاعدة العامة في الخلفية التاريخية لمصر هي الاستمرارية بقدر أو آخر، ولكن المهم ألا نبالغ في تقديرها وتقريرها. فليس صحيحًا تمامًا أن الحياة في مصر كانت تكرارًا لا نهائيًا لمعادلة ميكانيكية، كما يصور "مارش فيليبس" بقوله: "إن مصر بالتأكيد – من بين كل بلاد العالم – هي التي تقترب فيها الطبيعة أشد ما تقترب من الانتظام الميكانيكي والتكرار الميكانيكي، ونمط ترتيب الإقليم نفسه نمط رياضي بسيط من التكرار الذي لا يتقدم ولا يتغير". ومثله يفعل "فيدن" حين يقول عن مصر الحديثة المعاصرة: "أمامك ترقد مصر القديمة بلا تحنيط، وإنما محفوظة في بلسم الشمس وفي غرائز السكان المحافظة"، فالمغالاة الكاسحة هنا جد واضحة.

والحقيقة أن الاستمرارية المصرية لا تعني التكرار بقدر ما تعني التراكمية، ولعل قولة "نيوبري" أدنى إلى أن تعبر عن هذه الحقيقة: "مصر وثيقة من جلد الرق، الإنجيل فيها مكتوب فوق هيرودوت، وفوق ذلك القرآن، وخلف الجميع لا تزال الكتابة القديمة مقروءة جلية". إننا يمكن أن نضعها قاعدة عامة: إنه إذا كانت جغرافية مصر تراكبية أساسًا، فإن تاريخها تراكمي في الدرجة الأولى، وإذا كان ثمة استمرارية – واستمرارية لا شك هي – فإنها معتدلة ونسبية.

وليس من الصعب بعد هذا أن نفسر تلك الاستمرارية؛ فالمركب الحضاري الذي نمته مصر منذ البداية كان يمثل، في واقع الأمر، حالة تلاؤم بيئي محكمة، وحقق علاقة فعالة مع ظروف البيئة الطبيعية لم يكن من السهل دائمًا التقليل من قوتها أو التجويد عليها، ومن هنا بدت حضارة بطيئة الخطى ثقيلة القدم. كما يقول برودريك، كذلك لا شك أن دور الصحراء في مصر كان سلبيًا أكثر منه إيجابيًا إذا ما قورن بالعراق مثلًا؛ فهو في مصر منع إغراق الحضارة المحلية في طوفان التيارات الأجنبية، بينما في العراق مكَّن التيارات أن تتوالى بلا انقطاع وترج الوجود الحضاري والبشري المحلي كل مرة. ولا شك أن دور البداوة والرعاة في تاريخ العراق الواحة الإستبسية أقوى منه بكثير في تاريخ مصر الواحة الصحراوية، كما أن موقع مصر كان أبعد عن قلب آسيا مصدر الهجرات والتيارات التاريخية، وبينما خضع البدو والرعاة المحيطون لمصر في أغلب مراحل التاريخ، خضعت العراق في مراحل كثيرة لحكم الرعاة البدو. وهكذا كان لمصر على العراق ميزة "الدفاع بالعمق"؛ كانت تستطيع دائمًا أن تشتري الزمان بالمكان، ولهذا فإن الموقع والموضع وفرا لمصر استمرارية تاريخية تخلو من الهزات العنيفة والانقطاعات الفجائية، بعكس العراق تقريبًا.

وقد ظلت هذه الاستمرارية تتمثل في نوع من التوازن الإستاتيكي في جوهره طوال الجزء الأكبر من تاريخ مصر، ويتضح هذا خاصة في الزراعة، العمود الفقري للحضارة المادية واللامادية المصرية.

فتاريخ الفن الزراعي المصري يمكن أن يقسم، كما رأينا بوضوح، إلى عدة مراحل "جيوتكنية"، تحتل واحدة منها بعينها (مراحل الفن القديم) الجزء الأكبر من تاريخ مصر. وهي، إذا كانت قد خضرمت وأزمنت طويلًا، وعاشت تاريخًا ألفيًا طويلًا، فإن المرحلة البالبوتكنية لم تكن توازنًا معينًا، بل كانت، بلغة هربرت سبنسر، "توازنًا متحركًا" بفضل تغييرات صغيرة وحركات قصيرة لكنها تراكمية. فمنذ أيام اليونان أخذت مصر بالطنبور، ومنذ البطالمة أُدخل الجاموس، ومنذ الفرس الإبل، ومنذ العرب عرفت محاصيل جديدة كالقطن والأرز... إلخ. أما المرحلة الجديدة،

مرحلة الفن الزراعي الحديث (الميوتكفي)، فقد اعتمدت في تحريكها على قوى حضارية خارجية، وكانت انقلابًا اقتصاديًا وحضاريًا جذريًا كاملًا؛ فانقلاب الري الدائم، كما رأينا، هو بالنسبة لمصر كالانقلاب الميكانيكي بالنسبة لإنجلترا، وانقلاب القطن كالانقلاب الصناعي.

ولا شك أن انقلاب الري والزراعة الحديث قد غير وجه مصر تمامًا، وأحدث انقطاعًا أساسيًا في كيانها. كان عملية تتابع للسكنى بكل معنى الكلمة؛ لقد غير وجه اللاندسكيب الحضاري كلية، حين خلق حالة من الهيدرولوجيا المطلوبة. فبعد أن كانت مصر تتحول أثناء الفيضان إلى بحيرة موسمية كبرى متصلة، تنقطها القرى وحلات الأكوام وتخطها الجسور النحيلة، انعكست الصورة تمامًا، فأصبح الوادي الآن جافًا إلا من آلاف الترع والمصارف. ومع هذا الانقلاب الهيدرولوجي تحرر المسكن القروي من أسر القرية النووية المجمعة، وانطلق نحو التبعثر بدرجة أو بأخرى، سواء كعزب أو كتراب من المنازل.

كذلك تغيرت وجهة مصر كما تغير وجهها؛ فبعد اقتصاد الحبوب المنوع والكفاية الذاتية، قلبت زراعة المحصول الواحد الاقتصاد بطنًا لظهر، ووجهته من السوق المحلية إلى السوق العالمية. ومن المحقق أن هيكل الاقتصاد المصري المعاصر في تطور داخلي وئيد لكنه جذري، ومن إرهاصاته مفارقات تطورية مثيرة؛ فقد بدأت مزرعة قطن لانكشير التقليدية تصدر الغزل والمنسوجات إلى أوروبا، بما في ذلك بريطانيا، بينما أخذت صومعة غلال روما التاريخية تستورد القمح من دول أخرى، من بينها إيطاليا. على أن الذي لا شك فيه هو أن الانقلاب الذي بدأ بالري والقطن كان بداية وأداة الانقلاب الحضاري الحديث وعملية "التغريب"، ولا شك أن القطن بالذات كان وسيلة شرائنا لهذه الحضارة الأوروبية.

ومن الناحية الاجتماعية، فلا جدال أن مصر اليوم تحمل مجتمعًا يختلف كما وكيفًا عن مجتمع مصر القديمة التقليدي؛ فلا مجال للمقارنة بين حجم السكان بالأمس واليوم بعد أن تضاعف سكان الوادي، بل وتخطوا فعلًا ضعف الطاقة القصوى القديمة. وأما كيفًا، فالثورة السياسية

الاشتراكية طفرة فلتة في تاريخ مصر، غيرت كل تركيبها السياسي والاجتماعي، مثلما أتت ثورة التحرير قلبًا كاملًا لتاريخنا الاستعماري الذي طال وأزمن.

تلك إذن ملامح انقلابنا الحضاري الحديث، وهذا نتجه النهائي. وقد يرى البعض أن هذا الانقلاب المعاصر هو أخطر عملية انقطاع حضاري في تاريخ مصر، وأنه كذلك. إلا أن هذا لم يكن مقصورًا على مصر أو بضع حالات غيرها، بل أتى ظاهرة عالمية معدية. ولهذا قد يجوز لنا أن نقتطعها من شرط الزمن، وحينئذ ستتبقى إذًا استمرارية نادرة في الحضارة المادية عبر القطاع الأكبر من التاريخ المصري.

وإذا كان توينبي يقول إنه عبثًا بحث عن الحضارة الفرعونية في كيان مصر الحديثة، ويعلن لذلك أن الحضارة الفرعونية قد ماتت من قديم، فإن هذا صحيح بالتأكيد في الجوانب اللامادية، كما يصدق كذلك على كثير من نواحي الحضارة المادية. ولكن هناك بقايا ورواسب مادية ما زالت تكمن، ربما على استحياء وفي خباء، في النسيج الحضاري المادي المعاصر، ولعل الزراعة الحوضية أهم هذه الخيوط. نعم، هي تحتضر منذ قرن وأكثر، ومع ذلك فلم يدفنها نهائيًا إلا السد العالي.

واليوم لم تعد مصر الفرعونية إلا مكدسة في المتحف أو معلقة كالحفريات على سفوح النهضتين، أما في الوادي فقد انقرضت كما انقرضت من قبل تماسيح النيل من النهر. ولهذا فإننا ننتهي إلى أن الحضارة الفرعونية قد ماتت في مجموعها، دون أن ينفي ذلك الاستمرارية المحورية في حضارتنا المادية. ويمكننا أن نخلص من هذا كله إلى أن هناك أربع علامات كبرى في تاريخ مصر الحضاري أثرت تأثيرًا هائلًا في كيانها: اكتشاف الزراعة وبدء الحضارة نفسها، ثم التعريب والإسلام، ثم تحوّل التجارة إلى طريق الرأس، وأخيرًا وحديثًا الحضارة الغربية. كل واحدة من هذه كانت انقلابًا كاملًا وانقطاعًا جوهريًا. هناك إذن، بطريقة ما، تطور عن طريق الثورة، ولكن شدة ترامي الوراء

التاريخي لمصر تجعلها جميعًا تبدو غير متعارضة مع الاستمرارية العامة أو محطمة لها، وهي إذن في معنى ثورة بطريق التطور.

من هذه العلامات يمكننا أن نستبعد اكتشاف الزراعة باعتباره نقطة ابتداء لا تُقاس إلى ما قبلها. كما أن تحوّل التجارة لم يكن تغييرًا بقدر ما كان هبوطًا وانحدارًا. وأما الحضارة الغربية فهي طارئ حادث جدًا، وليس مقصورًا على مصر، بل هي أول حضارة عالمية في التاريخ، ولهذا لا يتبقى لنا في تاريخ مصر سوى انقلاب التعريب، الذي من بعده أصبحت جزءًا لا يتجزأ من العالم العربي، وعاشت غالبًا إقليمًا أو رأسًا في دولته السياسية وفي ظل وحدته القومية. ولهذا، إذا كنا نقول إن إنجلترا مثلًا تمتاز بالاستمرارية السياسية والانقطاع الاجتماعي، بينما تمتاز فرنسا بالاستمرارية الاجتماعية والانقطاع السياسي، فإننا يمكننا أن نقول إن تاريخ مصر يمتاز بالاستمرارية في حضارتها المادية والانقطاع في حضارتها اللامادية.

جمال حمدان

من شخصية مصر

مقالات سياسية

(كيف انهار الأداء المصري؟)

لم تعد مشكلة مصر الأساسية في توجهاتها السياسية، ولا في كونها دولة حليفة لأمريكا لها علاقات مع إسرائيل، ولا لكونها تطبق نظامًا سياسيًا يُفترض أنه رأسمالي، إنما لأنها تطبق توجهاتها بصورة متخبطة، وبلا روح ولا طموح ولا حتى كفاءة في الأداء.

والمؤكد أنه لم تظهر أزمة داخلية أو خارجية إلا وانكشف فيها الأداء المصري واقترب من الفضيحة؛ فتعامل مع خصومه بالردح والشتائم، وحتى حلفاؤه لم يمنع الأمر من شتمهم حين انتقدوا ممارساته غير الديمقراطية. أما إهانتهم للمصريين، أو الاستعلاء على ثقافتهم، أو انتهاك سيادتهم، فكلها أمور بسيطة يمكن التغاضي عنها، لأنها جاءت من دول كبرى اعتادت أن تشيد في العلن بحكمة الرئيس، فلا بأس أن تفعل كل شيء وتستبيح كل قيمة.

والحقيقة أنه منذ العدوان الإسرائيلي على غزة، ثم طريقة تعامل الحكومة مع خلية حزب الله الفاشلة، هناك دلائل واضحة على أن النظام السياسي المصري في أزمة باتت تحيط به من كل جانب، وضمت معها البلاد في حالة حركة من الصعب استمرارها.

لقد أضاعت مصر فرصة تاريخية امتدت لما يقرب من ثلاثين عامًا حين فشلت في الاستفادة سياسيًا واقتصاديًا من توقف حروبها مع إسرائيل منذ عام ١٩٧٣، ودخولها إلى معسكر الاعتدال والتسوية السلمية والتحالف مع أمريكا. وفي الوقت نفسه (وهذه هي المفارقة الكبرى) عزلت الشعب المصري تمامًا عن التفاعل مع أي معانٍ إيجابية يحملها الانفتاح على العالم الخارجي وثقافة الصراع السلمي والديمقراطي. فلم تحمل ما عُرف بسياسة الانفتاح الاقتصادي أي قيم ديمقراطية في الداخل، ولا رؤى عقلانية في التعامل مع الخارج، فبالقدر الذي تقبلت فيه النخبة الحاكمة إملاءات الخارج، غاص المجتمع المصري في غيبوبة سياسية وثقافية

حقيقية جعلته في عجز كامل عن التأثير في المسار الإنساني والعالمي، واكتفى بصراخه في الداخل دون أن يكتشف بعد أنه مجرد مستمع لصدى صوته.

والمفارقة أنه في الفترات التي كانت فيها النخبة السياسية في صراع مع الغرب (في ظل مشروع حزب الوفد قبل الثورة، ومشروع عبدالناصر بعد الثورة)، كان المجتمع المصري أكثر حداثة وديمقراطية وعقلانية من الوضع الحالي؛ لأنه لكي تواجه التحديات والضغوط الخارجية، ولو بالطريق السلمية، فأنت بحاجة إلى مجتمع صحي، وإلى نخبة تبني في الإدارة والصناعة والتعليم والصحة، حتى لو تعثرت في مجال الديمقراطية، كما حدث في الستينيات.

أما عبقرية "حكم محلك سر"، فسنجد أن فشله الأساسي ليس في كونه قد بنى نظامًا شموليًا غير ديمقراطي، ولا لكونه اختار التسوية السلمية والتحالف مع أمريكا، إنما في قدرته الاستثنائية على إجراء عملية تخريب وتجريف كاملة للمجتمع المصري ولمؤسسات الدولة، بصورة جعلته بهذا الشكل التائه والمتخبط، و"المستأسد" على كل من يظنه أضعف منه، و"المتأرنب" (من الأرنب) حين يواجه من هو أقوى منه، أي أمريكا وإسرائيل في الخارج، وكبار رجال الأعمال في الداخل.

إن انهيار أداء الدولة جاء رغم أن الحكم لم يختر التحالف مع الاتحاد السوفيتي السابق أو الدول الاشتراكية التي عرفت نظمًا بيروقراطية محدودة الكفاءة والخيال، ولكنه اختار أن يتحالف مع الغرب وأمريكا، ويستمع إلى نصائح البنك الدولي، ويسجل رئيس الجمهورية رقمًا قياسيًا في السفر إلى خارج البلاد، خاصة إلى أوروبا وأمريكا، ومع ذلك لم تعرف مصر انهيارًا مثل هذا في أداء مؤسساتها العامة، وتدنيًا في كفاءة نخبتها الرسمية، خاصة رجالها الجدد من "الهتيفة" و"الرديحة"، الذين صاروا خير معبرين عن حجم التدهور الذي أصاب الحكم الحالي.

والسؤال: ما الذي جعل أداء مؤسسات الدولة يصل إلى هذا المستوى من التدهور؟ ما الذي جعل الخدمات العامة التي تُقدم للمواطنين تنهار بهذا الشكل؟ وما الذي جعل الحكم يفشل في أن يستثمر وضعًا سياسيًا سلميًا محبطًا (على الأرجح لن يتكرر) لصالح التنمية والديمقراطية؟

الحقيقة أن وجود نخبة تحكم البلاد بالمصادفة، غابت عنها أي رؤية سياسية، أدى إلى دفع الشعب المصري لكي يعيش في مأساة حقيقية تطحنه بصورة يومية، وهي مرتاحة البال، هادئة الضمير، لأن هذا التدمير هو بمفرده الذي سمح لها بالبقاء ما يقرب من ثلاثين عامًا.

والحقيقة حين يكون الحكم بلا مشروع، ولا حتى حس سياسي، فإنه يضطر أن يحكم بالسلطة الأمنية. وقد يتساءل البعض: ألم تكن هذه السلطة موجودة في العهدين الناصري والساداتي؟ فما الجديد إذن؟ الجديد أن السلطة الأمنية في عهد عبدالناصر كانت تتحرك في ظل نظام لديه مشروع سياسي، وبالتالي كان دورها، كما كان الحال في عصر السادات، هو مواجهة الخصوم السياسيين فقط، وليس عموم الناس كما يجري الآن.

فلم يشعر المواطن العادي بوطأة الأجهزة الأمنية، ولا بقهر مؤسسات الدولة التي ضمت أسماء مهنية وكفاءات إدارية، بل حتى أمنية رفيعة المستوى وشديدة الإخلاص. ولكن حين يكون الحكم خائبًا وفاشلًا، يقوم ليس فقط بالاعتماد الكامل على الأجهزة الأمنية، فإنه يبدأ في هندسة المجتمع ومؤسسات الدولة على مستوى الجهاز الوحيد الذي يعمل، أي الجهاز الأمني، فيظهر "الصحفيون" المخبرون بدلًا من الصحفيين الموالين للسلطة، وينتشر عمداء الكليات ورؤساء الجامعات الذين يختارهم الأمن محل جيل من العلماء الحقيقيين كانوا موالين للنظام حين كان موجودًا، ويغيب رجال الدولة المحترمون لصالح مجموعات مسخ اختارتهم أجهزة فاشلة وتقارير أفشل.

من الصعب أن نجد في أي عصر من تاريخ مصر المعاصر مستوى من التجهيل والخرافة أصاب المجتمع المصري مثلما حدث في هذا العهد،

حليف الغرب وأمريكا. فحين تغيب عن الحكم الرؤية والطموح السياسي، يصبح الأمن هو الحاكم لكل مفاصل المجتمع، وتصبح كراهية الجدية والقدرة على الفعل والتأثير سمة رئيسية من سمات هذا العهد. فإذا كنت مسؤولًا أو مثقفًا محترمًا ويشيد بك الناس، فتأكد أنك من المغضوب عليهم، لأن هذا وضع غير مريح أمنيًا. وإذا كنت عالمًا كبيرًا ردد الناس اسمك بالخير، فتأكد أنك في "القائمة السوداء". نعم، لقد كان مفهومًا في بلد غير ديمقراطي أن يواجه النظام خصومه السياسيين، ولكن لم يكن مفهومًا أن يجعل كل رجاله بهذا المستوى الصارخ من التدني الأخلاقي والفشل المهني والسياسي. أمر عجيب أن تعيش في بلد لا يُحارب عسكريًا ويختار أن يُفشل (بضم الباء) تعليمه وجامعاته، ويقضي على علمائه، ويخرب عقول شعبه بإعلام هابط.

إن انهيار مؤسسات الدولة وتوظيفها في معارك هابطة وحملات دعائية مسفّة ومعارك صغيرة هو نتيجة لغياب "الحكم السياسي" الذي تبلد في مكانه، ولكي يستمر حتى النهاية على قيد الحياة كان لا بد أن "ينفق" من ورثه الوحيد، أي "الدولة المصرية". ولأنه لم يضف شيئًا إلى هذا "الورث" (ديمقراطية أو تنمية لا سمح الله)، فقد أفلس وانطلق نحو بيع وتصفية ما ورثه، فخرب الدولة وطوعها عند مستوى قدراته المحدودة، واجتهد من أجل استئصال كل مواطن حمل جانبًا من تقاليدها، وأطلق قادتها الجدد على الشعب المصري ليتحدى بهم العالم في الفساد والجهل والخيبة الثقيلة. ولكن، ألا يوجد داخل هذه الدولة جيل ثانٍ مهمش ومقهور ويحلم بالتغيير؟!

لا أعلم... وأخشى أن أقول: أشك.

د. عمرو الشوبكي

(الأقصر.. هرم رابع بناه مبارك)

قمت برئاسة لجنة الإعلام والسياحة بمجلس الشورى لتفقد أعمال تطوير الأقصر، لم تصدق أعيننا ما نراه، فقد أصبحت الأقصر أعظم مدينة في القارات الست. تحية لرجال القوات المسلحة الذين بنوا كل طوبة في تحويل الأقصر إلى متحف مفتوح لن ترى البشرية مثله. وشكرًا للرئيس مبارك لأنه وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وهو العبقري سمير فرج، الذي حول ثقة الرئيس إلى ملحمة في الأداء والتجميل الحضاري. ومنذ أيام الفراعنة يقولون لنا: إن من لم ير النيل ويشرب منه لم يزر مصر، ولكن هذا الشعار تغير في عهد مبارك إلى أن من لم ير الأقصر لم يزر مصر. لذلك أتمنى أن تنشئ رئاسة الجمهورية مقرًا لها يقابل فيه الرئيس كل زعماء الدنيا الذين يزورون مصر ليشاهدوا أعظم مدينة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، خاصة بعد أن ينهي الداهية سمير فرج إقامة طريق الكباش الجديد.

وهنا سؤال لرئيس الوزراء الجديد القادم: أظن أن منصب وزير الثقافة القادم، بعد توجه فاروق حسني لاستلام منصب مدير اليونسكو، معروف من سيشغله، وأي اختيار آخر سوف يصدم الرأي العام المصري والرأي العام العالمي.

د. نبيل لوقا بباوي

(من أعراض المرحلة)

أن يكون طارق عامر رئيسًا للبنك المركزي، ونادية عبده محافظة للبحيرة، وبقاء وزير الصحة في موقعه، وغض النظر عن أن معظم القيادات الإعلامية موجودة بشكل غير قانوني، وأن يصبح حاميها حراميها، ووكستها في نخبتها، وهتيفة ميدان التحرير في المنصات الرسمية، ومديرو المكاتب والسكرتارية يقررون المستقبل. وأن تكون هناك حراسات مشددة على دور العبادة، وأن تكون أقدام أي لاعب أثمن من عقل أي مفكر، ووسط أي راقصة أجدى من عرق أي عالمة، وأن يدير الأمن الحياة السياسية، وتصبح شهادة الموافقة الأمنية أهم من الدكتوراه والكفاءة، والهواء يديرون اقتصاد الأمة. وحينما تكون مصر فقيرة جدًا، وكبار المسؤولين فيها أثرياء جدًا، والسجون للشرفاء المشتبكين مع الحياة، والحرية للصوص والقتلة والسماسرة.

وتجار الوهم أصحاب قنوات فضائية، والإعلام يديره بعض الصغار بحكم الصدفة التي وضعتهم في مناصب أمنية، أحد رجال الأعمال يدير عقل مصر باحتكار عدة وسائل إعلامية، وفي حين يستمر البعض على الشاشات يُقصى إبراهيم عيسى، وأن يصبح كل من هب ودب مذيعًا وإعلاميًا، وعودة إيهاب طلعت للإنتاج، وأن تصبح المعارضة تهمة تطارد صاحبها، وتغلق أبواب الرزق أمامه، أسوة بما تفعله الدول الهشة؛ كأن تحبس الصحفي وتطرد المذيع وتغلق الجمعيات المدنية وتطرد عضو البرلمان، ولا يبقى إلا صوت واحد وفكر واحد، وأن تصبح البيضة بعشرين جنيهًا، والسبكي هو مايسترو السينما، وهيفاء وهبي مطربة الجيل، وآه لو لعبت يا زهر هي النشيد والحلم القومي، وأبو تريكة إرهابي، وأن يتم استنساخ فترة الستينيات بأدوات باهتة، وإحياء منظمة الشباب بشباب دون المستوى.

يصبح ائتلاف مصر هو حزب الأغلبية في البرلمان، وأن ينقلب حزب المصريين الأحرار على مؤسسه وصاحبه نجيب ساويرس، ومن يحاكمه

هو نفسه من كان يقبل يديه، وأن يكون محمد دحلان منافسًا لمحمود عباس على رئاسة السلطة الفلسطينية، ودونالد ترامب هو الرئيس الأمريكي، وحين تصبح إسرائيل أقرب للعرب والمسلمين من إيران، وأردوغان تركيا حليف بعض دول الخليج بعد رفضه من نادي أوروبا المسيحي، وأن تصبح قطر أحد اللاعبين المهمين في تقرير أوضاع الكبار في المنطقة، كسوريا والعراق، وأن تصبح المعارضة مسلحة وممولة من الخارج كما في سوريا والعراق واليمن وليبيا، وأن يتطاول الحفاة العراة في البنيان بأبراج وناطحات في الصحراء الشاسعة، وأن يصبح الإسلام غريبًا متهمًا بفعل دواعشه، وأن يتطاول الصغار على الأزهر الشريف.

وحتى هذه اللحظة، لا تعرف مصر الرسمية أو الشعبية القاتل الحقيقي لمتظاهري يناير ٢٠١١، وفي البلد الفقير تصبح رؤية البطريق بتذكرة تتجاوز المائة جنيه، وطابور طويل يوميًا للتزحلق في المولد الجديد. وكل ذلك وأكثر من أعراض المرحلة، ولكننا ننسى أننا نعاني ونمر بظروف قاسية، ففي سنة واحدة من حكم الإخوان خرجت احتياطات النقد الأجنبي، وتم استباحة الأزهر والكاتدرائية والمحكمة الدستورية، وكنا على وشك تأجير الأهرامات وتكسير أبو الهول.

ودعك من الثورجية واليسارجية وجماعات "آسف ياريس" والـ٢٥٠ ائتلافًا بتوع أيام يناير، الذين تبخروا عندما بدأت شبه الدولة تستعيد حيويتها. وننسى قاموس المرحلة (الاصطفاف والأجندات، ويسقط حكم العسكر، ومشروع النهضة، وغزوة الصناديق، ونشطاء السبوبة، والحارة المزنوقة، والزخم الثوري، وشقة العجوزة، وحزب الكنبة، والفلول، والأيقونة، وأبلج، ولجلج، والقصاص، والعوكش، وأبو الفشوخ، وأم أيمن، وأنا الرئيس الشرعي)، واندثر هذا القاموس، وأصبح تذكره يثير الغثيان أكثر من الضحك. وكما اندثرت تلك الحقبة السوداء، ستنتهي أيضًا كل مفردات وأعراض المرحلة الراهنة، لأنها من نبت مرحلة الفوضى الانتقالية، وهي مرحلة كاشفة للوجوه، وخاصة لهؤلاء القابضين

على جمر الكرامة، وأيضًا لجبهة تفتيت المسار الذين ضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ولسوف يذهبون جفاء، لأن ما يمكث هو ما ينفع الناس فقط.

ببساطة:

ــ من أفسد الماضي لا يمكنه إصلاح المستقبل.

ــ تعامل الأهرام بما يليق بقدره أمام من لا يعرف قدره.

ــ ما حدث استئناف للمباراة بنفس الحكم والاحتياطي.

ــ أبحث عن أصحاب التوكيلات لمحاصرة الفساد.

ــ تجيد الخطاب الديني لا يعتني بتحريم ما أحل الله.

ــ ومن نُحاكم عمن قتلوا بعد تنحي مبارك!

ــ لا أظن الناس بالغباء الذي تتصوره الكتائب الإلكترونية.

ــ بعد براءة مبارك في انتظار عمرو أديب ملط في التحرير.

ــ نهاية حكم ترامب بالاغتيال أو الإقالة أو الاستقالة.

سيد علي

(ورحل الحريري)

مات أبو العز الحريري على مواقفه التي لم يتغير فيها شيء. اختار دائمًا أن يكون في صفوف الفقراء وبقي على عهده، واختار دائمًا أن يتصدى للفساد، ولم يتغير في موقفه. وكان مدافعًا شرسًا عن القطاع العام وأصول الدولة المصرية التي نهبتها عصابة الأشرار، ولم يتنازل عن مواقفه.

منذ أسابيع قليلة اتصل بي، قبل أن تسوء حالته الصحية، وقال: أنا خائف جدًا من مجلس الشعب القادم، وأخشى أن تسطو عليه عصابات الفساد والإفساد.

كان أبو العز الحريري نموذجًا فريدًا في صفوف اليسار المصري، وخاض معارك كثيرة حين كان نائبًا في مجلس الشعب، وكثيرًا ما تصدى للحزب الوطني وقياداته في عصره الذهبي.

وفي ثورة ٢٥ يناير عاش تجربة الثورة بكل مراحلها، وبعد أن سقطت البلاد في يد الإخوان تصدى لهم بعنف من خلال وسائل الإعلام، ثم شارك بقوة في ثورة الشعب يوم ٣٠ يونيو مطالبًا بإسقاط دولة الإخوان.

عاش حياته بين أهله في الإسكندرية، ولم يتغير في أسلوب حياته ومكتبته ومصادر رزقه وجيرانه، وكان دائمًا يختار صفوف الفقراء ليكون معهم.

خاض أبو العز الحريري تجارب كثيرة، ابتداءً بالترشح لمنصب رئيس الجمهورية، وانتهاءً بإنشاء حزب سياسي، مرورًا بمجلس الشعب، ولم يتغير في الفكر والمواقف. ظل حريصًا على انتماءاته الأيديولوجية كرمز من رموز اليسار، وكان زعيمًا عماليًا مرموقًا في كل مراحل حياته، فقد خرج من صفوف العمال وبقي على عهده معهم، رغم كل الفرص التي أتيحت له ليكون في مواقع أخرى أكثر ثراءً وبريقًا.

وحين اشتد خلافه مع الإخوان اعتدوا عليه وعلى زوجته، ولكنه بقي لهم بالمرصاد حتى رحلوا.

ومع رحيل الحريري تسقط شجرة عتيقة من حديقة اليسار المصري، ينضم إلى كتيبة سعد الدين وإسماعيل صبري عبد الله وخالد محيي الدين، هذه الكوكبة التي بقيت على عهدها رغم تغير الظروف والأحوال عبر عصور مختلفة.

رحم الله الحريري، المقاتل الشرس، والصوت الذي لم يترك مكانه في صفوف الفقراء والمهمشين من أبناء هذا الوطن.

فاروق جويدة

(هل أُصيب المصريون بمرض استكهولم؟)

هذه الحكاية حدثت في السويد: في يوم ٢٣ أغسطس عام ١٩٧٣، هاجم بعض المسلحين أكبر بنك في مدينة استكهولم واحتجزوا بعض الموظفين كرهائن. وعلى مدى أيام حاول رجال الشرطة السويديون التفاوض مع الخاطفين من أجل إطلاق سراح الرهائن. ولما وصلت المفاوضات إلى طريق مسدود، نفذت الشرطة هجومًا مفاجئًا ونجحت في تحرير الرهائن. وهنا حدثت المفاجأة؛ فبدلًا من مساعدة الشرطة في مهمتها، راح بعض المخطوفين يقاومون محاولة تحريرهم، بل إنهم أبدوا تعاطفهم مع الخاطفين، وظلوا يدافعون عنهم، وذهبوا ليشهدوا لصالحهم بعد ذلك أمام القضاء.

هذا التصرف الغريب من الرهائن تجاه خاطفيهم استوقف عالم النفس السويدي «نيلز بيجيرو»، فأجرى دراسة مطولة خرج منها بنظرية جديدة اشتهرت في علم النفس باسم Stockholm Syndrome أو «مرض استكهولم»، وكلمة Syndrome تعني في الطب مجموعة أعراض مرضية تتلازم دائمًا وتُصيب المريض.

في نفس الوقت تؤكد هذه النظرية أن بعض الناس، عندما يتعرضون إلى الخطف أو القمع والاعتداء الجسدي أو حتى الاغتصاب، بدلًا من أن يدافعوا عن كرامتهم وحريتهم، فإنهم مع تكرار الاعتداء يتعاطفون مع المعتدي ويُذعنون له تمامًا، ويسعون إلى إرضائه. وقد أثار مرض استكهولم اهتمام علماء النفس، فتوالت الدراسات حوله، واكتشفوا أنه يُصيب ٢٣% من ضحايا الخطف والاعتداءات الجسدية بأنواعها المختلفة.

وقد توصل العلماء إلى تفسير مقنع لمرض استكهولم، هو أن الإنسان عندما يتعرض إلى القمع والإذلال، وعندما يحس بأنه فاقد الإرادة لا يملك من أمره شيئًا، وأن الجلاد الذي يقمعه أو يضربه أو يغتصبه يستطيع أن يفعل به ما يشاء، يكون عندئذٍ أمام اختيارين:

إما أن يظل واعيًا بعجزه ومهانته، وينتظر الفرصة حتى يثور على الجلاد ويتحرر من القمع، وإما أن يهرب من إحساسه المؤلم بالعجز، وذلك بأن يتوحد نفسيًا مع الجلاد ويتعاطف معه.

وكما يُصيب مرض استكهولم الأفراد، فإنه قد يُصيب الجماعات والشعوب؛ فالشعب الذي يعاني من الاستبداد والقمع لفترة طويلة قد يُصاب بعض أفراده بمرض استكهولم، فيتوحدون نفسيًا مع من يقمعهم ويُذلهم، ويعتبرون الاستبداد شيئًا إيجابيًا وضروريًا لحكم البلاد.

السؤال هنا: هل أُصيب المصريون بمرض استكهولم؟

لا توجد إجابة قاطعة، لكن بعض الأفكار قد تساعدنا على الفهم:

١- الأوضاع في مصر وصلت الآن إلى الحضيض: ظلم وفساد وفقر وبطالة ومرض وقمع. نصف المصريين يعيشون تحت خط الفقر، و٩ ملايين مصري يعيشون في العشوائيات بلا ماء نظيف ولا صرف صحي، متكدسين في حجرات ضيقة وأحياء قذرة تعافها الحيوانات. لأول مرة في تاريخ مصر تختلط مياه الشرب بمياه المجاري، ويتم ري مئات الآلاف من الأفدنة بمياه الصرف الصحي. هذه الأوضاع المأساوية تكفي لاندلاع الثورة في عدة بلاد، لكنها في مصر حتى الآن لم تؤدِّ بالمصريين إلى التمرد ورفض الظلم. بل إن مصر العظيمة يتم الآن توريثها من الرئيس مبارك إلى نجله جمال ببساطة، وكأنها مزرعة «دواجن»، ولا يبدو على معظم المصريين الاهتمام بمن سوف يحكم بلادهم، وكأنهم ينتظرون نتيجة مباراة في كرة القدم بين فريقين أجنبيين. هذه اللامبالاة التي تصل أحيانًا إلى حد التبلد، ألا تُعتبر عرضًا مرضيًا؟!

٢- كل من يقرأ تاريخ مصر قبل ثورة ١٩٥٢ سيكتشف مدى الحيوية السياسية العارمة التي كان المصريون يتمتعون بها آنذاك. كان هناك رأي عام مؤثر وإرادة وطنية قوية، وكانت المظاهرات والاحتجاجات تؤدي إلى استقالة وزراء وسقوط حكومات على مدى أجيال قدمت مصر آلاف الشهداء من أجل الاستقلال والديمقراطية. كل ذلك تلاشى بعد الثورة. لقد

حققت ثورة ١٩٥٢ إنجازات كبرى بلا شك، مثل مجانية التعليم وتكافؤ الفرص والتصنيع ورعاية الفقراء، وكان عبد الناصر زعيمًا عظيمًا، نادرًا في إخلاصه ونزاهته ووطنيته. ولكن ثورة ٥٢ أيضًا قد أنشأت آلة قمع جبارة سحقت كل من يحاول فكرًا سياسيًا مختلفًا. ثم توفي عبد الناصر عام ١٩٧٠، فانتهت الثورة، لكن آلة القمع ظلت تعمل بضراوة وتسحق كل من يراه النظام خصمًا سياسيًا أو بديلًا له ولو محتملًا في الحكم، حتى انسحب المصريون تمامًا من المشاركة السياسية خوفًا من العواقب وإيثارًا للسلامة. ألا يُعد هذا الانسحاب الكامل من العمل العام عرضًا مرضيًا؟!

٣- كثير من المصريين غاضبون وناقمون على الأوضاع في بلادهم، لكن هذا الغضب غالبًا ما ينصرف إلى اتجاه خاطئ، فبدلًا من أن يقاوم المصريون نظام الاستبداد الذي تسبب في إفقارهم وتعاستهم، يوجهون طاقة الغضب إلى بعضهم البعض. ارتفعت جرائم العنف والبلطجة والتحرش والاغتصاب إلى درجة غير مسبوقة، وتفشت الروح العدوانية والكراهية والمعاملة الفظة في بلد طالما اشتهر أهله بالذوق وحسن التعامل. بل إن ما يحدث في طوابير الخبز له دلالة؛ فالذين يضطرون إلى الوقوف يوميًا لساعات طويلة أمام المخابز ليحصلوا على خبز لأولادهم، بدلًا من أن يثوروا على النظام الذي تسبب في هذا البؤس، ينخرطون فيما بينهم في مشاجرات رهيبة تؤدي عادة إلى إصابات وقتلى. ألا يُعد الغضب في اتجاه خاطئ سلوكًا مرضيًا؟

٤- شكّل الإسلام دائمًا المرجعية القوية لكفاح المصريين، مسلمين وأقباطًا، من أجل العدل والحرية، لكن القراءة الموجودة الآن في مصر مختلفة. فقد انتشرت الأفكار الوهابية في بلادنا مدعومة بأموال النفط من جهة، ومباركة النظام الحاكم من جهة أخرى. إن الدولة البوليسية التي تقمع بشدة حركة الإخوان المسلمين، وتنكّل بأعضائها بلا ذنب ولا هوادة، تفتح ذراعيها للوهابيين، وتغضّ الطرف عن تجاوزاتهم، وتتيح لهم نشر أفكارهم عن طريق القنوات الفضائية وفي المساجد.

والسبب في ذلك أن فكر الإخوان، على الرغم من أخطائه، يعكس وعيًا سياسيًا حقيقيًا، ويمكن المسلمين من معرفة حقوقهم المهدرة، وبالتالي يدفعهم حتمًا إلى الثورة. أما القراءة السلفية الوهابية للدين فهي تنزع عن الناس وعيهم السياسي تمامًا، وتدربهم على الإذعان للظلم. طبقًا للفكر الوهابي لا يجوز الخروج على الحاكم المسلم أبدًا، حتى ولو ظلم المسلمين وسرق مالهم؛ تظل طاعته واجبة. أقصى ما يمكن فعله مع الحاكم الفاسد هو إسداء النصح، وإذا لم ينتصح الحاكم فإن الفكر الوهابي يدعونا إلى أن نتركه وشأنه ونلزم الطاعة حتى يغيره الله.

وبقدر تسامح الوهابيين مع الاستبداد، فإنهم يتشددون للغاية في كل ما هو غير سياسي، وكثيرًا ما يقدمون المظهر على الجوهر، مما أدى إلى اختصار الإسلام في المظهر والعبادات بمعزل عن المبادئ الإنسانية التي نزل الإسلام أصلًا للدفاع عنها: العدل والمساواة والحرية. لقد صار السؤال الأهم في مصر الآن: ماذا ترتدي المرأة؟ ماذا تغطي وماذا تكشف من جسدها (الذي يحظى بأهمية كبرى في الفكر الوهابي)؟ وليس السؤال أبدًا: ماذا نفعل نحن المصريين حتى ننقذ بلادنا من المحنة التي تمر بها؟

إن اهتمام وسائل الإعلام بمعارك الحجاب والنقاب كثيرًا ما يفوق اهتمامها بتزوير الانتخابات، وحركة استقلال القضاء، والاعتقالات، والتعذيب. عندما يشرب المصريون من مياه المجاري ولا يجدون الخبز لأولادهم، ثم يتشاجرون بعد ذلك بشدة حول لبس النقاب أو خلعه، ويدعو بعضهم النساء إلى ارتداء النقاب بعين واحدة فقط، ألا يعكس هذا تشوشًا في التفكير وخللًا في ترتيب الأولويات؟

إن المجتمع المصري في رأيي يمر بحالة مرضية، وليس في ذلك عيب أو عار، فالجماعات البشرية تمرض وتصح مثل الأفراد. أول خطوة في علاج المرض التشخيص الصحيح. عندما يتخلص المصريون من اللامبالاة ويستردون وعيهم السياسي وقراءتهم الصحيحة للدين، عندئذ فقط سينتزعون حقهم في العدل والحرية، وستنال مصر المكانة الكبرى التي تستحقها. (*علاء الأسواني*)

(أمين هويدي)

لولا ما نشرته صحيفة «معاريف» عن العم أمين هويدي، لما خرجت عما ألزمت به نفسي في الكتابة منذ عقود: ألا أشغل القارئ بما هو شخصي أو عائلي. وهو بالمناسبة ذات الموقف المتجرد الذي ألزم به نفسه بصرامة شديدة في كل موقع شغله أو منصب تولاه. لقد سلطت الصحيفة الإسرائيلية الضوء على جوانب في حياة الرجل وسجله العسكري لم يتطرق إليها الإعلام المصري، دلت على أنهم هناك يتابعون أعداءهم بدقة ويعرفون عنهم الكثير، في حين أننا لا نقدر رجالنا حق قدرهم فحسب، وإنما التبس الأمر على البعض منا بحيث لم يعودوا يعرفون من هم أعداؤنا بالضبط.

قالت «معاريف» في عددها الصادر يوم الاثنين الماضي ١١/٢ إنه خلال رئاسته لشعبة العمليات بهيئة الأركان المصرية وضع خطة الدفاع عن ميناء بورسعيد، كما أنه كان مسؤولًا عن جبهة الدفاع عن القاهرة خلال العدوان الثلاثي ١٩٥٦. وبعد هزيمة ١٩٦٧ عُيِّن رئيسًا لجهاز المخابرات العامة، وفي فترة رئاسته للجهاز تم اكتشاف ٥٣ عميلًا لإسرائيل في مصر، قدموا إلى المحاكمة في ٣٠ قضية تجسس، من هؤلاء ١٩ أُعدموا، والباقون حُكم عليهم بالسجن.

لم تتحدث الصحيفة الإسرائيلية عن دوره في الإشراف على عملية إغراق الحفار عند ساحل العاج عام ١٩٧٠، ولا عن قصف ميناء إيلات في عام ١٩٦٩، أغلب الظن لأن العمليتين من نماذج النجاحات التي حققتها المخابرات والوحدات الخاصة في الجيش المصري، ووجهت ضربتين موجعتين لإسرائيل. مع ذلك فإن ما ذكرته يظل قليلًا من كثير يحفل به سجل ذلك الرجل النادر، الذي يعد أحد رموز العسكرية الوطنية التي لم تتخل عن الاقتناع بأن إسرائيل هي عدو مصر الأول، وأن مصيرها إلى زوال، طال الزمن أو قصر.

لقد أدهش أمين هويدي كل الذين عرفوه، ووجدوا فيه تجسيدًا حيًا لمثل العسكرية الوطنية المصرية وأخلاقياتها؛ ذلك أنه ظل نموذجًا للنزاهة

والكبرياء والاستقامة، فلم يُحسب على أحد، ولا جامل أحدًا على حساب حق أو قيمة، ولم يتخل عن جرأته وصراحته في أدق المواقف وأحلك الظروف. ولا يقل عن ذلك أهمية أنه ظل نظيف اليد طوال الوقت، فلم ينتفع من أي منصب تولاه، ولم يدخل جيبه أو بيته قرش من خارج مرتبه الرسمي. حتى إنه ربما كان المسؤول الوحيد الذي إذا سافر في مهمة فإنه كان، بعد عودته، يرد ما تبقى معه من بدل السفر، بعد أن يقدم بيانًا بكل قرش أو دولار صرفه.

وفي العام الماضي، حين فوجئ بتدهور بصره وتقرر إيفاده على نفقة الحكومة للعلاج في ألمانيا، فإنه رفض أن يستخدم حقه في اصطحاب مرافق له من أسرته كان في أمسّ الحاجة إليه، حتى لا يحمل ميزانية الدولة أعباء تزيد على متطلبات العلاج الضرورية. وكان فلاحًا مصريًا، فإنه لم يكن يحلم بأكثر من أن يمتلك بيتًا يؤويه هو وأسرته، وقطعة أرض تستره. لذلك فإنه بنى بيتًا في مصر الجديدة على أرض تملكها بالتقسيط، كغيره من الضباط في بداية الثورة، واستبدل معاشه ليشتري ستة أفدنة في «بجيرم» موطن الأسرة بمحافظة المنوفية.

وفي حياته اشترى سيارتين: واحدة من طراز مرسيدس اضطر إلى شرائها في سنة ٦٢ حين كان سفيرًا في العراق، وقد بقيت معه طوال ١٩ عامًا، إلى أن استُهلكت فباعها في سنة ٨١، ولم يكن بمقدوره أن يشتري أكثر من سيارة «دوجان» إنتاج مصري في سنة ٨٦، وهذه بقيت معه حتى وفاته، أي طوال ٢٣ سنة.

في أوج مجده الوظيفي، فإنه رفض أن يستخدم نفوذه لتعيين ابنه هشام بعد تخرجه في كلية الهندسة في أي وظيفة من تلك التي يتطلع إليها أبناء الأكابر، رغم أنه كان يمد يد العون للعديد من أبناء «بجيرم» الذين كانوا يلجؤون إليه. كما أنه رفض أن يتدخل لصالح ابنته مها حين جرى التسويف في تحديد موعد مناقشة رسالتها للدكتوراه، حتى يظل اسمه بعيدًا عن أي شبهة أو تقول.

في حياته الخاصة كان في دقته وانضباطه ونظامه اليومي أقرب إلى تقاليد الثكنة العسكرية. ينام ما بين التاسعة والتاسعة والنصف مساء، ليستيقظ قبل الفجر، حيث يصلي ويقرأ القرآن، ثم يستريح قليلًا ليجلس على مكتبه مع طلوع الشمس. وبعدما خرج من سجن الرئيس السادات في سنة ١٩٧١، كان يقضي أغلب ساعات النهار في حجرة مكتبه، الأمر الذي مكنه من أن يصدر قائمة كتبه التي وصلت إلى ٢٥ كتابًا، أغلبها باللغة العربية وأقلها باللغة الإنجليزية.

وفي كل ما كتب لم يتخل عن شجاعته وأمانته الشديدة، ومن أبرز كتبه مؤلفه «الفرص الضائعة» الذي طبع في بيروت، وسجل فيه شهادة لم يسبقه إليها أحد، إذ كذب أسطورة «الضربة الجوية» التي قيل إنها تمت في حرب ٧٣ وروج لها الخطاب السياسي والإعلامي لاحقًا. ومما ذكره في هذا الصدد أنه كانت هناك «طلعة جوية» فقط قامت بمهمة وحيدة في بداية الحرب، بعدها نُقلت كل الطائرات المصرية إلى أحد مطارات الصعيد لإبعادها عن مسرح العمليات، حيث كان تقدير القيادة العسكرية آنذاك أنه يجب تجنيب الطيران المصري دخول المعركة، نظرًا لتفوق الطيران الإسرائيلي، ومن ثم حرصًا على عدم إقحامه في مواجهة غير متكافئة. وكانت تلك الشهادة الصادمة سببًا في منع دخول الكتاب إلى مصر حتى الآن. رحمه الله.

فهمي هويدي

(دفاعًا عن علم مصر..)

في يوم ١٤ نوفمبر عام ١٩٣٥ كانت مصر كلها تغلي بالاحتجاجات ضد الاحتلال البريطاني. وخرجت مظاهرة حاشدة من جامعة القاهرة تضم آلاف الطلاب الذين راحوا يهتفون من أجل الاستقلال والديمقراطية. وحمل الطلاب زميلاً لهم من كلية الزراعة اسمه محمد عبدالمجيد مرسي وهو يرفع بيده علم مصر، وسرعان ما أطلق الجنود الإنجليز عليه الرصاص فاستشهد، وكاد علم مصر أن يسقط على الأرض، فسارع بحمله طالب آخر هو محمد عبدالحكم الجراحي من كلية الآداب. وهدد الضابط الإنجليزي عبدالحكم بالقتل لو أنه تقدم خطوة واحدة، لكن عبدالحكم ظل يتقدم وهو يحمل العلم، فأطلق الضابط عليه الرصاص وأصابه في صدره، وتم نقله إلى المستشفى حيث لفظ أنفاسه الأخيرة. وخرجت مصر كلها لتودع ابنها الشهيد الذي فضل الموت على رؤية علم مصر يسقط على الأرض. وفي أول يوم من حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ استشهد عشرات الجنود المصريين حتى تمكن الجندي المصري "محمد أفندي" من رفع العلم على سيناء لأول مرة منذ احتلالها.

ليس العلم إذن مجرد قطعة قماش، وإنما هو رمز للوطن والشرف والكرامة. فكرت في ذلك وأنا أرى علم بلادي تدهسه أقدام البلطجية الجزائريين في السودان، ويتلذذ بعضهم بإلقائه تحت السيارات، والمرور عليه، وتمزيقه وحرقه. إن الاعتداءات البشعة التي تعرض لها المصريون في الخرطوم قد كشفت عن عدة حقائق.

أولًا: من المألوف في مباريات الكرة أن تندلع أحداث شغب بين المشجعين، لكن ما حدث في الخرطوم تجاوز شغب الملاعب بكثير. لقد حملت طائرات السلاح الجوي الجزائري إلى الخرطوم آلاف البلطجية المسلحين الذين أسندت إليهم مهمة محددة: الاعتداء على المصريين وإهانتهم. وشهادات الضحايا جميعًا تدل على أن الغرض من الاعتداء كان إذلال المصريين. فما معنى أن يخلع الجزائريون ملابسهم الداخلية أمام

النساء المصريات، ثم يكشفون عوراتهم ويرددون نفس الجملة: "نحن ننكح مصر"؟ ما معنى أن يجبروا الرجال المصريين على الانبطاح على الأرض، حتى بعد الاعتداء عليهم بالسكاكين والسيوف؟ ما معنى أن يحملوا لافتات كتبت عليها: "مصر أم الدعارة"؟ هل لهذه السفالة أية علاقة بكرة القدم؟ إن هؤلاء الأوباش لا يمكن أن يمثلوا الشعب الجزائري العظيم الذي حارب معنا في حرب أكتوبر، واختلطت دماء شهدائنا بدماء شهدائه. لماذا الإصرار على إذلال المصريين بهذا الشكل، وقد فاز الفريق الجزائري بالمباراة؟ أنا أفهم أن يحدث هذا الإذلال من جيش احتلال أجنبي، لكن المحزن حقًا أن يتم بأيد عربية. هل يقبل أي جزائري أن تتعرض أخته أو أمه إلى الترويع وهتك العرض بهذه الطريقة؟ إن منظر الضحايا المصريين وهم يبكون أمام شاشات التليفزيون من فرط القهر والمهانة لا يمكن أن ينمحي من الذاكرة المصرية قبل أن نحاسب كل من تسبب في هذا الاعتداء الإجرامي.

ثانيًا: مصر هي البلد العربي الأكبر، وهي المصدر الأكبر للمواهب البشرية في العالم العربي. لقد كان للمصريين شرف المساهمة في صنع النهضة في بلاد عربية كثيرة؛ الجامعات أنشأها الأساتذة المصريون، والصحف أنشأها الصحفيون المصريون، ومعاهد الفنون والسينما والمسرح أنشأها الفنانون المصريون، والمدن والبيوت أنشأها المهندسون المصريون، والمستشفيات أقامها الأطباء المصريون، حتى القوانين والدساتير هناك غالبًا ما وضعها أساتذة قانون مصريون. بل إن النشيد الوطني الجزائري ذاته قام بتلحينه الموسيقار المصري محمد فوزي. هذا التميز المصري جعل العلاقة بين المصريين والشعوب العربية مركبة، فيها الحب والإعجاب غالبًا، وتحمل أحيانًا بعض الحساسية والتوتر. في فترة المد القومي الناصري ساندت مصر الثورة الجزائرية وأمدتها بالمال والسلاح، ودافعت عنها في المحافل الدولية، وأرسلت جيشها لمساندة الثورة اليمنية، بل وخاضت مصر الحرب دفاعًا عن فلسطين وسوريا. كانت مشاعر العرب نحو مصر آنذاك حبًا خالصًا، ولكن ما إن توقفت مصر عن أداء مهمتها القومية وعقدت معاهدة كامب ديفيد

مع إسرائيل حتى ظهرت على السطح كل المشاعر السيئة ضد مصر. ولا يتسع المجال لسرد عشرات الأمثلة على محاولات بعض العرب المستمرة لإهانة المصريين والتقليل من دورهم وشأنهم، بدءًا من عبودية نظام الكفيل وإساءة معاملة المصريين ونهب حقوقهم في الخليج، مرورًا بشركات إنتاج كبرى تُقام خصيصًا لاستعباد الفن المصري وتهميشه، وصولًا إلى مسابقات ومهرجانات ثقافية تقام سنويًا بملايين الدولارات فقط لإثبات أن مصر لم تعد تملك الريادة في الثقافة والفن. كل هذه بالطبع محاولات بائسة وخائبة وبلا تأثير؛ أولًا لأن مكانة مصر لا يمكن أن ينقص منها هذا الصغار، وثانيًا لأن الشعب العربي المصري لا يمكن أن يتنكر لعروبته أو ينفصل عن أشقائه العرب مهما تكن الظروف.

ثالثًا: إن تعاون النظام المصري مع إسرائيل وإمداده لها بالغاز والإسمنت، ومشاركته في حصار الفلسطينيين عن طريق إغلاق معبر رفح، كل هذه سياسات خاطئة مشينة يرفضها المصريون أنفسهم قبل سواهم، ويتظاهرون كل يوم تضامنًا مع إخوانهم في العراق وفلسطين ولبنان. بل إن كثيرًا من المصريين دفعوا ثمنا باهظًا لمواقفهم القومية، كان آخرهم الصحفي المعروف مجدي أحمد حسين الذي سافر إلى غزة تضامنًا مع الفلسطينيين المحاصرين هناك، فألقت السلطات المصرية القبض عليه وقدمته إلى محكمة عسكرية حكمت عليه بالسجن لمدة عامين.

المصري من إسرائيل لا يمثل إطلاقًا موقف الشعب المصري، ولا يجوز أبدًا أن يُستعمل كذريعة من أجل الاعتداء على المصريين وإهانتهم.

رابعًا: لقد كان الاعتداء على المصريين في الخرطوم نوعًا من إرهاب الدولة، تورط فيه النظام الجزائري، وساعده على ذلك تقصير النظام المصري وفساده وعجزه عن حماية المصريين. لقد مر أسبوع كامل على ارتكاب الجريمة دون أن يتخذ النظام المصري موقفًا جادًا وحاسمًا.

إن الذين يتوقعون من الرئيس مبارك أن يعيد للمصريين كرامتهم المهدرة، أخشى أن ينتظروا طويلًا. ماذا فعل الرئيس مبارك لمئات

المصريين المعتقلين في السعودية؟ ماذا فعل للطبيبين المصريين اللذين حكم عليهما هناك بالجلد؟ ماذا فعل للمصريين الذين تم تعذيبهم في الكويت؟ ماذا فعل الرئيس مبارك للجنود المصريين الذين قتلتهم إسرائيل على الحدود؟ وماذا فعل للأسرى المصريين الذين اعترفت إسرائيل بإبادتهم أثناء الحرب؟ الإجابة دائمًا: لا شيء. المصريون حقوقهم مضيعة داخل الوطن وخارجه.

لماذا تركت السلطات المصرية اللاعب الجزائري الأخضر بلومي يهرب بعد أن ارتكب جريمة بشعة في القاهرة وفقأ عين الطبيب المصري بلا ذنب؟ وهل كان يُسمح له بالهرب لو ارتكب جريمته في دولة ديمقراطية محترمة؟ وهل كان مسلسل الاعتداءات الجزائرية على المصريين ليستمر لو أن بلومي قُبض عليه في مصر وقدم للمحاكمة؟

إن حقوق المواطنين لا تتحقق إلا في النظام الديمقراطي. أما الأنظمة المستبدة فإن همها الوحيد هو الحفاظ على السلطة بأي وسيلة وأي ثمن. إن الحاكم الذي يغتصب السلطة ويقمع مواطنيه ويزور إرادتهم في الانتخابات لا يمكن أن يقنع أحدًا عندما يتحدث عن كرامة المواطنين.

إن جريمة إهانة المصريين وإذلالهم بهذا الشكل البشع لن تمر دون مساءلة أو عقاب. وإذا كان النظام المصري عاجزًا عن محاسبة هؤلاء المجرمين، فإن واجبنا جميعًا كمصريين أن نضغط بكل السبل المتاحة على النظام الجزائري ليقدم اعتذارًا رسميًا للشعب المصري، ويقبض على المعتدين الجزائريين، ويقدمهم للعدالة.

لا يجوز أبدًا أن نقابل الإساءة بمثلها، ويجب ألا نخلط بين الشعب الجزائري العظيم والنظام الجزائري الاستبدادي المسؤول عن هذه الجريمة. ولكن آن الأوان أن يفهم الجميع أنه منذ الآن لن يكون الاعتداء على المصريين سهلاً ولا مجانياً أبدًا. إن إصرارنا على عقاب من اعتدوا على كرامتنا لا يتعارض أبدًا مع انتمائنا القومي. كما يقول المثل الفرنسي: "الحسابات الجيدة تصنع دائمًا أصدقاء جيدين". والعلاقات

الأخوية بين الشعبين الجزائري والمصري لا يمكن أن تتحقق إلا باحترام حقوق المصريين والجزائريين جميعًا.

الديمقراطية هي الحل.

علاء الأسوانـي

(بروفايل ...عمر مكرم)

عمر مكرم السيوطي (١٧٥٠-١٨٢٢) زعيم شعبي مصري وُلد في محافظة أسيوط وتعلم في الأزهر الشريف. تولى نقابة الأشراف عام ١٧٩٣، وكان يتمتع بمكانة شعبية كبيرة.

قاد مكرم الحركة الشعبية لمقاومة الاحتلال الفرنسي عام ١٧٩٨، وقام بالتعبئة للانضمام إلى الجيش النظامي الذي كان يقوده المماليك وقتها. وبعد سقوط القاهرة في يد الفرنسيين، ترك مصر لفترة ثم عاد إليها وتواصل مع عدد من الزعماء الوطنيين للقيام بثورة ضد الاحتلال عام ١٨٠٠، وهو ما أطلق عليه ثورة القاهرة الثانية. إلا أنها لم تنجح، وطارده الفرنسيون بعد أن عرفوا بدوره في اندلاعها، مما اضطره للهروب من مصر، ولم يعد إليها إلا بعد رحيل الحملة الفرنسية عام ١٨٠١. وقاد عمر مكرم المقاومة الشعبية ضد الاحتلال البريطاني، وحشد الشعب للتصدي لحملة فريزر عام ١٨٠٧، التي هزم فيها الإنجليز ورحلوا من مصر.وكان له دور بارز في تشكيل حركة شعبية للتصدي لحكم المماليك بمساعدة بعض القيادات الوطنية وعلماء الأزهر. وتمكنت المقاومة من عزل إبراهيم بك ومراك بك، وطالبت بتطبيق الشريعة الإسلامية، وإعفاء الفقراء من الضرائب، ونشر العدالة. وعمل بعد ذلك على الحشد الجماهيري للمناداة بتولي محمد علي باشا حكم مصر، بعد أن تعهد له بالحكم العادل ومنحه حق التدخل إذا لم يلتزم بما تعهد به.

وبعد تولي محمد علي الحكم، اتخذ بعض القرارات التي اعترض عليها عمر مكرم، منها فرض الضرائب، ونشب بينهما وعدد آخر من القيادات الشعبية خلافات شديدة، مما دفع محمد علي إلى نفي مكرم من القاهرة إلى دمياط، التي بقي فيها عشر سنوات. عاد مرة أخرى إلى القاهرة عام ١٨١٩، وقد أعياه التقدم في العمر، فاعتزل الحياة العامة حتى وفاته عام ١٨٢٢.

(السياسة الخارجية والحياة اليومية.. المعضلة والحل)

من أكبر الأوهام الشائعة أن السياسة الخارجية هي، كما تقول التسمية، تخص الخارج أو الأجانب، بينما هي في الحقيقة من أهم عناصر البناء الداخلي، خاصة في الدول التي تواجه تحديات التنمية. بل نحن نشهد فعلاً صحة المقولة الشهيرة: السياسة الخارجية ما هي إلا سياسة داخلية بوجه آخر.

ولنرَ سياسة ترامب في حربه الاقتصادية مع الصين، أو سلوكيات الإدارات الأمريكية تجاه إسرائيل وارتباطها باللوبي الصهيوني. وفي الحالة المصرية أخيراً، الاتفاق مع صندوق النقد الدولي وتأثير ذلك على سعر صرف الجنيه وسياسات الدعم. من هنا تأتي الأهمية القصوى لتخطيط وإدارة السياسة الخارجية، والبداية المنطقية والضرورية هي تحديد الأولويات طبقاً للقدرات والموارد المتاحة.

وفي هذا السياق، ما هو عدد المصريين الذين تذكروا أهمية يوم السبت الماضي ٢٢ فبراير لتاريخهم المعاصر وتاريخ العرب؟ بالتأكيد عدد قليل جداً. كان هذا اليوم في سنة ١٩٥٨ إعلان الوحدة بين مصر وسوريا ليصبحا الجمهورية العربية المتحدة، وحدة اندماجية وفورية، أي دون مراحل أو خطوات تمهيدية وأجندة استعداد. كما قيل وتكرر في فصول الصباح وحتى في الحضانة: كان هذا تحقيقاً للحلم العربي الأزلي، من أمة عربية واحدة إلى دولة عربية واحدة.

ولكن استيقظنا بعد أقل من أربع سنوات، وبالتحديد في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١، على "جريمة" الانفصال السوري. وفي خضم المفاجأة والصدمة كان هناك الحديث عن المؤامرات والأموال، ثم تخبط رد الفعل: إرسال قوات عسكرية لقمع الانفصال ثم استدعاؤها وهي في منتصف الطريق. كان الجرح عميقاً. بل يقال إن مرض السكر الذي أنهك حياة عبد الناصر قد بدأ في هذه الأيام. ومن المصادفات الإلهية أن الزعيم توفي بعدها

بتسع أعوام، ولكن في نفس تاريخ يوم الانفصال ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠.

ما هي العبرة والعظة لواقع السياسة الخارجية المصرية حالياً؟

في مناقشة أخيرة مع بعض الزملاء والخبراء عن السياسة الخارجية المصرية، جاء ذكر الصراع العربي الإسرائيلي كبداية، وكان هذا قبل أن ينشر ترامب وزوج ابنته جاريد كوشنر النص الرسمي لخطبتهما المزعومة لتسوية هذا الصراع. هل تشابكات هذا الصراع المستمر، بما فيها الانقسام الفلسطيني، هي الأساس الأوضح للتخطيط كأولوية للسياسة الخارجية المصرية؟ وماذا عن السياقات الأخرى، والتي تبدو ملحة أيضاً، مثل الحروب المدمرة في اليمن أو سوريا، واحتجاجات الجزائر، السودان أو لبنان من أجل نظام سياسي مختلف؟ نستطيع الاستمرار في حساب السياقات التي تختلف في درجات أهميتها وحدتها، وأيضاً الوقت الذي سيأخذه كل سياق للوصول إلى مرحلة الحسم مع هذه السياقات المتشابكة والمتحركة قد يكون محدداً لتخطيط السياسة الخارجية.

بالنسبة للسياسة الخارجية المصرية، هناك أولويتان على الأقل لا يمكن تأجيل التعامل معهما: سد النهضة في الجنوب المصري، والعلاقات مع كل من السودان وإثيوبيا. ما يحدث على الحدود الغربية في الجوار الليبي. سد النهضة: في هذه المساحة المحدودة يجب عدم تكرار نقاط نتفق عليها جميعاً. ولكني لاحظت غياباً في معظم الإعلام المصري والعربي لبند مهم تركز عليه بعض الأدبيات الإفريقية والعالمية، مفاده أن الخلاف على سد النهضة هو خلاف على معدلات القوة في القارة الإفريقية. أي طبقاً لهذا المنطق، استفادت مصر لمدة طويلة من معاهدات أيام الاستعمار البريطاني ليكون لها الهيمنة في استخدام مياه النيل، حيث حصتها الآن ٥٥,٥ مليار متر مكعب، أو أكثر من ثلاثة أضعاف ما تحصل عليه السودان. ثم يستمر هذا المنطق ليؤكد أنه جاء الدور على إثيوبيا لتعديل هذا الوضع، وهي دولة المنبع أو التي تمتلك الحنفية.في وضع القوة هذا، يجد الحديث أذناً صاغية عند بعض الحكومات والشعوب التي عانت

الهيمنة الاستعمارية. هذا الكلام يجب رفضه وتفنيده بكل صراحة من المفاوض المصري، مع التأكيد أن مياه النيل ليست موضوع علاقات قوة تخضع للمساومات، بل حرفياً موضوع وجودي تقوم عليه حياة المصريين في بلد لا يستطيع الاعتماد على الأمطار في زراعة المواد الغذائية الضرورية أو مواجهة أزمة عطش. الحق في التنمية لإثيوبيا طبيعي، ولكن حماية الوجود تأتي قبل كل شيء. ويجد المفاوض المصري السند الضروري في المواثيق الدولية المتعلقة بما يسمى "الأنهار الدولية أو العابرة للحدود"، وآخرها في سنة ١٩٩٧، وكلها تؤكد مبدأ عدم الإضرار، فما بالك إذا كان هذا الإضرار يهدد الوجود.

ليبيا وحدود مصر الغربية: وهي أطول حدود هذا البلد مع دولة أخرى. ورغم التاريخ الطويل بين الشعبين، فإن ليبيا تعاني حالياً تفكك الدولة وتشرذم المؤسسات، ونشاط الجماعات القبلية والميليشيات المتعددة. ليبيا لا تعاني حرباً أهلية واحدة، بل حروباً داخل حروب، ثم يأتي التدخل الدولي المعلن من جانب تركيا أخيراً، مع إرسال مرتزقة، بعضهم من داعش الإرهابية. قد تصبح ليبيا إذن "سوريا الأخرى"، وحدود مصر الغربية إذن تصبح أولوية تماثل أهميتها حماية مياه النيل، ولكن مصر في موقف جيوستراتيجي قوي وتستطيع الاعتماد على تحالفات قوية تشاطرها الرأي والرؤية.

تحديد أولويات السياسة الخارجية وتخطيط إدارتها لا يعني بالضرورة استخدام الأداة العسكرية، ولكنه يعني تخطيطاً شاملاً للأهداف والقدرات بما فيها التوعية الشعبية والحشد الدبلوماسي، وإعداد السيناريوهات المختلفة عن طريق المحاكاة.

د. بهجت قرني

(مؤرخون يحاكمون شخصية "ديليسبس" لص سرق فكرة قناة السويس ونسبها لنفسه)

أكد المشاركون في ندوة كتاب "ديليسبس الأسطورة الكاذبة" للكاتب والمؤرخ محمد الشافعي، أن فرديناند ديليسبس لم يكن صاحب فكرة شق قناة السويس، بل هو لص سارق للفكرة التي سبقه إليها المصريون في مختلف العصور التاريخية، وأنه ما فعلها إلا لأغراض استعمارية في إطار الصراع الفرنسي، الإنجليزي في ذلك الوقت.

وقال د. خلف الميري "مدير الندوة" أن "ديليسبس" شخصية جدلية في إطار الدراسات التاريخية، أثيرت حولها أسئلة عديدة بشأن فكرة قناة السويس، مؤكدا أنه سبق لجماعة "السانسيمونيين" وهم أتباع المفكر الفرنسي "سان سيمون" أن طرحوها، وطرحت أيضا في القرن السادس عشر، كما أن فكرة ربط البحرين بقناة موجودة منذ التاريخ القديم، ولفت إلى ما تكبدته مصر من تضحيات مادية وبشرية من أجل القناة التي لم تعد إلا بقرار التأميم عام ١٩٥٦.

أما محمد الافعي مؤلف الكتاب "فقال إنه يعتبر الكتاب من أهم مؤلفاته، لأنه يتبنى قضية كشف حقيقة ديليسبس الذي يثير البعض كل عام قضية تكريمه وعودة تمثاله، وهم جماعة الإيليانس في بورسعيد، والذين يؤيدهم بعض مسئولي المحافظة هذا العام، لكن مجموعة من الشباب الوطني الواعي قرروا رفع قضية ضد القرار، واضاف: أقمنا ندوة في نقابة الصحفيين، ولجأنا إلى الجمعية التاريخية المصرية التي أصدرت تقريرا يؤكد أن ديليسبس لا علاقة له بفكرة حفر القناة، وتتبعت خلال إعداد الكتاب أمهات الكتب والمصادر التاريخية، وكلها أكدت أن فكرة شق قناة للربط بين البحرين الأحمر والمتوسط قديمة، وما يؤكد أن ديليسبس لص، أن فرنسا تمنع تكريمه بكافة الأشكال، لأنه مات وهو متهم في قضية نصب.

وأكد د. طارق منصور، أن المؤلف مهموم بقضية بعض من يتحدثون بجهل عن الماضي دون أن يعوا مدى تأثيره على المستقبل، مشيرا إلى أن بعض الأقلام كتبت عن ديليسبس في الصحف بشكل مغلوط تماما، وانبرت أقلام أخرى وطنية واعية بالرد عليها.

ووصف د. راضي جودة الكتاب بأنه عمل وطني تحمس له الكاتب لتصحيح المفهوم الخاطئ حول الأسطورة الكاذبة لـ"ديليسبس" ويستعرض تاريخ حفر القناة منذ قناة سيزوستريس في عهد سنوسرت الثالث مرورا بقناة أمير المؤمنين في عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ويؤكد أن ديليسبس لص سرق أوراق ووثائق من طرحوا الفكرة قبله، واستغل صداقته بالخديو سعيد في إقناعه ونسبة الفكرة إلى نفسه.

أما د. جمال شقرة فقال: الكتاب اعتمد على مصادر موثوقة كلها تؤكد الحقيقة الدامغة، أن ديليسبس سرق فكرة حفر القناة، كما يؤكد خطأ تمجيد الأعداء، وأنها جريمة في حق التاريخ المصري، إذ تلعب قوى الثورة المضادة لعبة خطيرة لتشويه الصورة الذهنية للشعب المصري.

وأشاد بالفصل الذي يتحدث عن تأميم القناة، مؤكدا أن التأميم معركة كان لابد من خوضها لاستعادة القناة بعد أن أصبحت الشركة بمثابة دولة داخل الدولة.

د/ عماد عبد الراضي

(انجلترا أم بريطانيا؟)

عدد غير قليل يجهلون الفرق بين إنجلترا وبريطانيا العظمى والمملكة المتحدة. الإنجليز أنفسهم فيهم من يجهل الفرق، والرئيس الأمريكي ترامب في حديث له يوماً كشف عن عدم معرفته بالفرق بين الأسماء الثلاثة. وبعد لقائي مع سفيرنا في لندن، السفير طارق عادل، وجدت نفسي أسأل: هل هو سفيرنا في إنجلترا أم المملكة المتحدة أم بريطانيا العظمى؟ وتوضيحاً لهذا الخلط، وبعد بحث، توصلت إلى النتائج التالية: المملكة المتحدة: جزيرة كبرى تضم أربع دول، لكل منها عاصمتها وبرلمانها وعلمها. وهذه البلاد هي:

ـ إنجلترا وعاصمتها لندن.

ـ اسكتلندا وعاصمتها أدنبرة.

ـ إيرلندا الشمالية وعاصمتها بلفاست.

ـ ويلز وعاصمتها كارديف.

هذه الدول الأربع يجمعها اسم المملكة المتحدة ويحكمها نظام برلماني، وتتمركز حكومتها في العاصمة لندن. لدى سكانها البالغ عددهم ٦٣ مليوناً جواز سفر موحد، وجميع سكانها مواطنون بريطانيون، لكن الغريب أن الشعوب الأربعة لا يحبون بعضهم البعض، فالإيرلنديون ينظرون إلى الإنجليز كمستعمرين.

بريطانيا العظمى: مصطلح جغرافي وليس سياسي، وهو يعني أكبر جزيرة تضم إنجلترا واسكتلندا وويلز فقط، مع استبعاد إيرلندا الشمالية. هذه الأخيرة دولة منفصلة وتقع في ثاني أكبر جزيرة بعد بريطانيا، وتضم دولة إيرلندا الشمالية وعاصمتها بلفاست، وإيرلندا الجنوبية وعاصمتها دبلن. وتدخل إيرلندا الشمالية، كما سبق، في المملكة المتحدة، وتسعى إلى الانفصال عنها، ويشجعها على ذلك انفصال بريطانيا عن دول الاتحاد الأوروبي اعتباراً من ١٣ يناير الماضي.

ـ يعتبر السفير المصري سفيراً لمصر في المملكة المتحدة. ربما كان الأقرب إلى المملكة المتحدة دولة الإمارات العربية المتحدة، التي تضم سبع إمارات: أبو ظبي، دبي، الشارقة، الفجيرة، رأس الخيمة، عجمان، وأم القيوين. ولكل إمارة حاكمها، لكن تجمعها في الوقت نفسه دولة الإمارات.

ـ التاج البريطاني يعبر عن كيان قانوني يضم ٥٣ دولة، وهي دول الكومنولث.

صلاح منتصر

(هذه الحروب الأخرى والأخطر)

هي فعلا حروب من نوع آخر، ورغم خطورتها لا يتكلم عنها الإعلام المحلي والدولي بالأهمية التي تستحقها، ويركز هذا الإعلام على الحروب التقليدية والمعروفة والتي تنقسم عادة إلى نوعين على الأقل. أولهما الحروب بين الدول، مثلا بين العراق وإيران ١٩٨٠-١٩٨٨ التي تُعرف بحرب الخليج الأولى. وبعد تحطيم حائط برلين ونهاية الحرب الباردة، أبرز الإعلام ما يقوله بعض الخبراء من أن هذه الحروب بين الدول انتهت إلى غير رجعة واصبحت "موضة قديمة"، وهذه المقولة جزء من نظرية "نهاية التاريخ" وحسم انتصار الليبرالية العالمية كما أكد لنا فرنسيس فوكوياما. البعض أوضح أنها على الأقل نهاية هذه الحروب بين الدول في مجموعة الدول المتقدمة مثل أوروبا. ولكن ظهرت لنا الحرب في قلب أوروبا نفسها مع غزو روسيا لأوكرانا في فبراير ٢٠٢٢، أي منذ ١٩ شهرا، وتستمر.

النوع الثاني من الحروب التي يركز عليها الإعلام هو الحروب الأهلية، أي داخل الدول نفسها، وهي في الحقيقة تستحق الاهتمام، لأنها موجودة عبر التاريخ حتى داخل القبائل وقبل ظهور النظام الدولي الحديث الذي يؤرخ له بمعاهدة ويستفاليا عام ١٦٤٨ ويستمر معنا حاليا. وبعض دوله عانت وتعاني الحروب داخل حدودها، كما نرى بالقرب منا في سوريا، ليبيا، اليمن، السودان وكذلك لبنان الذي عانى عدة حروب أهلية ومهدد بأخرى.

النوع الثالث من الحروب الذي أتكلم عنه والذي لا يعطيه الإعلام الاهتمام الذي يستحقه هو ما نستطيع أن نطلق عليه "الحروب الثقافية"، وقد ذكرنا بأهميتها بعض الشيء أحد أقطاب العلوم السياسية "صموئيل هنتنجتون" عندما تكلم عن الحرب بين الحضارات War Between civilizations، أي حسب هذه النظرية بين الأقاليم العالمية المختلفة، والتي يمثل كل إقليم منها حضارة محددة. وطبقا لهذه النظرية فإن

الحضارة الغربية تواجه الآن التهديد الأكبر من كل من الحضارة الكنفوشيوسية "أي الصين" والحضارة الإسلامية. وفي عموميتها المفرطة، نسي هنتنجتون في نظريته أن هذه الحضارات نفسها هي منقسمة في الداخل، مثلا كما رأينا في الحرب المدمرة لمدة ثماني سنوات بين العراق وإيران، حيث كان صدام حسين يسمي خصمه "بلاد الفرس" وهو يعلم جيدا أنه يحكم بلده العراق باسم السُنة، وهم الأقلية النسبية في بلد غالبيته من الشيعة.

هذه النقطة الأخيرة هي التي يجب تأكيدها، أي إن هذه الحروب الثقافية لا توجد فقط بين أقاليم عالمية سواء كان بين الشرق أو الغرب، أو بين الدول سواء كانت بين دول مسيحية وأخرى مسلمة يواجه كل منهما الآخر، ولكنها داخل مجتمعات الدول المختلفة، وهو النوع من الحروب الأخطر، لأنه يؤجج الصراع بين فئات المجتمع الواحد، وهذا الاستقطاب الداخلي ودرجات حدته يستنزف هذه المجتمعات من داخلها وذلك يثبت أن هذه الحروب الثقافية تعكس توجهات مدمرة لبعض الجماعات فمثلا لا يسأل أعضاء طالبان أنفسهم مثلا كيف سيؤدي منع المرأة من التعليم إلى منع وجود طبيبات وتضطر المرأة الأفغانية إلى عرض نفسها على طبيب ذكر وفي أكثر احتياجاتها العضوية خصوصية. وفي هذا اصدد يجب ألا ننساق وراء الاعتقاد بأن هذه الحروب الثقافية تقتصر على مجتمعات الدول النامية، وأنها انعكاس لظاهرة التخلف، ولذلك سأستعرض بعض ما يحدث في الولايات المتحدة، على أساس أنها للكثيرين قمة العالم ونموذجه.

هناك مثلا الصراع العام والممتد بين المعارضين للإجهاض والمؤيدين له، حتى بين السيدات والذي تأجج أخيرا في العديد من الولايات التي أصدرت قوانين تمنع الإجهاض بل والحظر على العيادات والأطباء إجراءها، واضطرت بعض الأمريكيات للهروب إلى المكسيك أو بعض الدول الأجنبية الأخرى للقيام بهذه العملية، وتنقسم شوارع بعض الولايات إلى المظاهرات بين الجماعات المختلفة من السيدات، وخاصة هؤلاء اللاتي يؤيدن منع الإجهاض ويسمين أنفسهن Pro Life أي الحق في الحياة،

والأخريات اللاتي يدافعن عن حق المرأة في تقرير مصيرها والاختيار الحر في أهم عناصر حياتها ويسمين أنفسهن Pro choice بل نعرف أن أمريكا المتقدمة هذه تعاني الاستقطاب السياسي الذي ظهر للعيان بصورة حادة مع وصول الرئيس الأمريكي السابق – ترامب – للرئاسة. وقد يحدث هذا فعلا، لأن مستوى التسليح في الجماعات المختلفة قد يؤدي إلى تحول هذه الحرب الثقافية إلى اقتتال فعلي. مثلا حاليا هناك لكل ١٥٥ أمريكيا ١٢٠ بندقية أو مسدسا، أي أكثر من عدد السكان لأن بعض الأمريكيين في حوزتهم أكثر من قطعة سلاح. وللمقارنة، في دولة صربيا. جزء من يوجوسلافيا. التي عانت الحرب الأهلية في تسعينيات القرن الماضي، فإن لكل ١٥٥ مواطنا هناك ٣٩ قطعة سلاح، أي ٣/١ أو ثلث المتوسط الأمريكي. بل نعرف أيضا أنه يوميا يموت حوالي ١٢٠ مواطنا أمريكيا بإطلاق النار، بينهم ١١ طفلا، وهذا المتوسط يعادل مائة مرة ما يحدث في بريطانيا مثلا. قد لا يكون عدد كل هؤلاء المقتولين انعكاسا للاستقطاب المجتمعي الأمريكي وحروبه الثقافية في اقتتال وتدمير، أي إن الأصل في هذه الحالة هو الاستقطاب المجتمعي. بينما الحرب الساخنة هي النتيجة والانعكاس لهذا الاستقطاب

د. بهجت قرني

(صندوق الأفكار.. التجربة الكورية)

في اللقاء الصحفي المشترك للرئيس عبدالفتاح السيسي والرئيس مون جاين إن، حرص الرئيس السيسي على تأكيد أهمية الاستفادة من التجربة الكورية في مجال التنمية الاقتصادية بمصر، وما تشهده من تطورات نوعية غير مسبوقة.

زيارة مون جاين إن لمصر هي أول زيارة لرئيس كوري جنوبي منذ ١٦ عامًا. وكان الرئيس عبدالفتاح السيسي قد زار كوريا الجنوبية في عام ٢٠١٦، وتولدت عن هذه الزيارة نتائج إيجابية كثيرة في مختلف مجالات التعاون.

الرئيس عبدالفتاح السيسي أوضح خلال المؤتمر الصحفي، الذي عقده مع الرئيس مون جاين إن أمس بقصر الاتحادية، أن مصر حريصة على تفعيل الشراكة الثنائية مع كوريا الجنوبية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية، وفتح الباب أمام الشركات الكورية للاستثمار بمصر في المجالات المختلفة، خاصة مجالات الطاقة والنقل وتكنولوجيا المعلومات.

لفت انتباهي خلال المؤتمر اعتزاز رئيس كوريا الجنوبية بمصر، وتثمينه دورها، وتقديره لما تتميز به من مزايا جغرافية كحلقة وصل بين القارات الثلاث (إفريقيا وآسيا وأوروبا)، أو مزايا تاريخية وحضارية باعتبارها دولة ذات حضارة عريقة، ونموذجًا للتسامح والتعايش.

الرئيس مون جاين إن أكد سعي بلاده إلى إقامة شراكة استراتيجية شاملة مع مصر، والتوسع في توقيع الاتفاقيات التجارية والاقتصادية التي تضمن ذلك، خاصة في مجالات النقل والتنمية المستدامة والاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، والتعاون في مواجهة التغيرات المناخية، استعدادًا لاستضافة مصر مؤتمر "COP 27" الذي من المقرر عقده في مدينة شرم الشيخ نهاية العام الحالي.

أعتقد أن التجربة الكورية يمكن أن تكون تجربة ملهمة لمصر الآن، في تجربتها الاقتصادية المتميزة التي يقودها الرئيس عبدالفتاح السيسي.

فقط يبقى التذكير بأن عدد ساعات العمل في كوريا الجنوبية يبلغ ٢٧٣٩ ساعة سنويًا، ليكون بذلك ضمن أعلى معدلات ساعات العمل دوليًا.

(نعم.. العقل السلفي خطر)

هل ثمة علاقة تحت الجلد بين قتل القُمص أرسانيوس بالإسكندرية، ومنع إدارة محل كشري لطفلة وأمها أن يأكلا قبل مدفع الإفطار، وفتوى بيع الطعام لكافر في رمضان المنشورة في جريدة ليبرالية لها دور تنويري واضح في مجتمعها؟

ربما هي مجرد مصادفات، لكن وقعها بالتتابع في زمن متقارب هو الذي جعل منها حالة استدعت السؤال وفرضت على المجتمع كله أن يشحذ عقله ويجيب.

وكما يقولون الشيطان يكمن في التفاصيل، والتفاصيل تشي بأشياء قبيحة وموجعة وخطيرة جدا، لا تحرض فقط على قتل مصري هنا أو تغتال حق مصرية هناك، وإنما تهدد مجتمعا ينبش الصخر ويحاول الفكاك من سلاسل حديدية تحجزه عن بناء جمهورية جديدة قوامها العدل والعقل والعمل الجاد، وتشده إلى جمود وتواكل وركود يباعد بينها وبين مكانة تعادل اسمها وتاريخها وما صنعه قدماء المصريين في واحدة من أهم حضارات الدنيا على كوكب الأرض. قد يكون قاتل "أبونا" الشهيد أرسانيوس وديد على كورنيش الإسكندرية مريضا نفسيا أو معتوها أو فاقدا أهليته لأي سبب أو حتى دون سبب، لكن لماذا اختار قُمصا ليكون ضحيته ولم يختر أول عابر سبيل صادفه قبل أن يلتقي بالقُمص، سواء كان رجلا أو امرأة، شيخا أو عجوزا شمطاء أو شابة غير محجبة أو متشردا مثله؟

هذه أسئلة بسيطة للغاية، تحاول تشخيص خلل التفكير في عقل مريض نفسي..

١- زِي القمص دال على ديانة لابسه فهل قصد المجرم أن يقتل مخالفا له في الدين، في لحظة غضب أو اضطراب نفسي مقرونة بغليان دم لم يستطع السيطرة عليها؟

٢- هل عثر القاتل على سكين حاد في كوم زبالة مصادفة فأخذه، وحين فاضت عليه مشاعر الغضب الكامنة في نفسه العليلة استخدمه؟ وهل السكين الذي يُلقى في الزبالة أصلا كان حادا، وهل تركته عوامل التعرية على حاله دون أن يصيبه الصدأ؟

٣- هل الستون عاما التي قضاها القاتل من عمره لم تهدئ من عصبيته وغضبه، ولم ترس به إلى تصرفات رجل مسن عركته الحياة وأفرغت انفعالاته الهائجة؟

تأخذنا هذه التساؤلات أخذا إلى درب وحيد وهو أن الجريمة لم تكن مجرد مصادفة عشوائية، وقطعا لا أقصد أنه خطط ودبر ونفذ عامدا قتل القُمص أرسانيوس دون غيره لأسباب شخصية. وإنما أتحدث عن مصادفة عقلية وافقت لحظة العنف عنده أي نرى في الإنسان المخالف في الدين عدوا محتملا يجوز قتله (وخلاص). يعني هي كده ولا تسألوني لماذا اخترته دون معرفة سابقة.

أي أن موافقة عامة مرتبطة بمفاهيم ونمط تفكير، ولا تخص نمط علاقاته الشخصية، قطعا هو عقل سلفي تربى وتعلم وعاش حياته كلها مقتنعا أن المخالف له في دينه كافر بشكل أو بآخر، وحين اختل عقله وتحكم فيه جنون القتل، قادته هذه الصورة المسيطرة على ذهنه إلى سفك دم يعرف دينه ولا يعرفه شخصيا.

هل السبب هو طبق الكشري ؟ وبالرغم من غياب الدافع والسكين وطلقات الرصاص إلا أنه أكثر خطورة في بيان حالة التديين التي تضرب عددا كبيرا من المصريين المسلمين، لأن عنفها مطمور ويبدو سهلا مثل تحية الصباح، ويمكن الاعتذار عنه أو إنكاره أو اللف والدوران حوله، وبالمناسبة التديين غير التدين، التديين حالة عصبية انفعالية خليط من الغضب والتشدد غارقة في المظاهر والشكليات والتلقين، التدين حالة

عقلية فيها تدبر وتفكير منظم يغلفه التسامح والعفو والمحبة وتحركه المفاهيم الكلية للدين.

وللأسف حالة التديين لها الغالبة، إذ أنفق عليها عشرات المليارات من الدولارات لما يقرب من نصف قرن، لتمويل جمعيات دينية ومشايخ جرى استقطابهم وتدريبهم، وطبع ملايين من شرائط الكاسيت والفيديوهات والسيديهات والكتب، وكلها وزعت مجانا محملة بأفكار شديدة التطرف عن علاقة الإسلام بالحياة والآخر، في الوقت الذي انهار فيه التعليم وركن العقل العام إلى الحفظ والتقليد دون النقد والتحليل، وانتشر السلفيون من القرى والمراكز إلى عواصم المحافظات والمدن الكبرى، بل إنهم تمركزوا في الإسكندرية قاصدين وأد ما لها من تراث حضاري مع الأجانب والآخر وحضارات البحر الذي تطل عليه والثقافات المتنوعة، وبالفعل نجحوا في تشويهها بالعشوائيات، أفكارا ومساكن وتصرفات.

وطغت ظاهرة قراءة القرآن في المحال وسيارات التاكسي والميكروباصات والموتوسيكلات. وقراءة القرآن عمل صالح ومحبب للنفس المؤمنة. لكن القراءة لها شروط حددها الله في كتابه الكريم، أن ننصت ونتدبر ونمتثل، وليس ونحن نأكل في مطعم ونحادث بعضنا بعضا أو نعمل على سيارة تحيط بنا ضوضاء وكلاكسات وزيطة الشوارع، ويزعمون أنها بركة، بينما لو دققنا النظر لأدركنا أنه استماع عابر ينقصه الاحترام الواجب والالتزام بشروط الإنصات.

من هنا جاء فعل إدارة محل الكشري، لا إفطار للزبائن إلا بعد أذان المغرب. لم يتصوروا وجود مخالف في الدين بينهم جائع وموجود في الشارع لسبب ما، ربما سيدة لها رخصة من الله تعفيها من الصوم لأيام أُخر، وأصلا هل ثمة إكراه في الدين، هل أمرنا الله أن نلزم الناس كرها بأن يتصرفوا وفق مفاهيم دينية في محل عام خاضع للقانون وليس للفتاوى؟ أليس من الأسهل على المحل أن يغلق أبوابه أو يعلق في مدخله لافتة للطلبات الخارجية فقط.

قطعا فتوى الجريمة بعدم بيع الطعام للكافر في شهر رمضان كان خطأ رهيبا غير مقصود. خطأ دال على عقلية المحرر الذي مرره، وربما لا يؤمن بهذه الفتوى أصلا ولا يعمل بها. وعدم توقفه عندها راجع إلى حالة يراها ومحيطة به وتتحرك بحرية.

نعم نحن في خطر، خطر هذه البيئة وهذا العقل.. ولا يقل تهديده عن الإرهاب لأنه يهئ له رافدا محتملا.

نبيل عمر

(اجتهادات.. معركة القناع)

تكشف الانتخابات معادن المرشحين، وربما تكون جولة الحسم في الانتخابات الرئاسية الفرنسية كاشفة للمدى الذي سيبلغه كل من ماكرون ولوبان في تغيير مواقف تتعلق بمبادئ لجذب أكبر عدد ممكن من أصوات الخاسرين في الجولة الأولى.

وقد بدأ كل منهما في تعديل خطابه الانتخابي، وربما تدفعهما حدة التنافس إلى مزيد، قد يستدعي ارتداء قناع اليسار، لأن ناخبي جاك ميلانشون، الذي خسر بفارق ضئيل، يُعدون خزان أصوات يمكن التنافس على جزء كبير منه. وربما نلاحظ شيئًا من هذا في مناظرة الأربعاء المقبل، التي يتوقع أن يكون مستواها أفضل من سابقتها، التي عجت بمهاترات قبل ٥ سنوات.

معركة صعبة على قناع يحتاجه كل منهما، وهو يخاطب ناخبين يعرف أنهم يرفضونه. كانت لوبان قد سبقت إلى «استعارة» بعض المواقف اليسارية خلال حملة الجولة الأولى، ضمن سعيها إلى تقديم صورة جديدة، فأضافت إلى برنامجها قضايا اجتماعية واقتصادية، ونجحت نسبيًا في تسويق هذه الصورة. واستغلت ترشح إريك زمور، فتركت له الخطاب اليميني الأكثر تشددًا، وأخذت خطوة نحو الوسط في القضايا التي دأبت على تناولها وهي قابعة في أقصى اليمين.

وستكون مهمة ماكرون صعبة في ضوء برنامجه الذي يعبر عن اليمين الليبرالي، لكنه سيركز على التحسن الذي حدث في سوق العمل من حيث عدد الوظائف التي زيدت في السنوات الأخيرة، وعلى خطته لبلوغ التشغيل الكامل، ولخفض الضرائب على الأسر والشركات الصغيرة.

وبرغم أن ارتداء المرشحين قناع اليسار لن يمكنهما من إرضاء أنصار ميلانشون، الذي تبنى برنامجًا اجتماعيًا أكثر تقدمية مما يمكن تنفيذه في الواقع الآن، ربما يكون ماكرون أكثر اطمئنانًا. فقد ناشد ميلانشون

أنصاره ألا يعطوا صوتًا واحدًا للوبان، وإن لم يطلب منهم التصويت لماكرون. ولكن يصعب تصور أن يلتزم كل أنصاره بالنأي عن لوبان، في ضوء تصويت بعضهم لها في جولة الحسم عام ٢٠١٧، لأن الراديكالية اليسارية تتقاطع جزئيًا مع التشدد اليميني.

ولكن، ألا يمكن أن يكون المقاطعون والمقترعون بأوراق بيضاء أكثر تأثيرًا في جولة الحسم من ناخبي ميلانشون؟ سؤال نعود إليه حين تصبح الصورة أكثر وضوحًا.

د. وحيد عبدالمجيد

مقالات عن الجمعية الجغرافية

(١٤٧ عامًا على تأسيس "الجمعية الجغرافية المصرية")

الأهرام: الجمعية سدت فراغًا عظيمًا في عالم التاريخ والجغرافيا

في ١٩ مايو من عام ١٨٧٥ أصدر الخديوي إسماعيل (١٨٣٠-١٨٩٥) مرسومًا بإنشاء جمعية علمية يكون دورها الرئيسي هو البحث في العلوم الجغرافية والتاريخية والصناعية والتجارية، وذلك عن طريق التنقيب في أقطار أفريقيا وما يجاورها من بلدان، خاصة منطقة منابع نهر النيل، من خلال القيام برحلات استكشافية لبعثات علمية تضم رحالة مصريين وأجانب متخصصين في دراسة العلوم الجغرافية، مثل التربة والمناخ والحيوانات والنباتات الإفريقية.

وإذ كان رأي الخديوي إسماعيل في تلك الحقبة الزمنية بضرورة وجود مكان تُستمد منه المعلومات والوثائق والخرائط بطريقة دقيقة وصحيحة، فما أحوج البشر في تلك الفترة المزدحمة بالمعلومات، والتي قد يجانبها الكثير من الصواب، بسبب كثرة المصادر نتيجة التقدم التكنولوجي الكبير الذي يعيشه العالم.

فهذه الجمعية، والتي قرر لها إسماعيل إعانة سنوية قدرها ٤٠٠ جنيه، قد قدمت العديد والعديد من الاستكشافات المهمة، وتحوي بين جدرانها كنزًا من المقتنيات والخرائط والوثائق، وسنعرض ما قدمته هذه الجمعية من خدمات جليلة وعظيمة على مدار أعوام، وذلك كله وفقًا لـ«الأهرام».

دعاء جلال

هذه العبارة قالها الخديوي إسماعيل ونادى بها دومًا، وكانت الجمعية الجغرافية حلمًا من أحلامه؛ لتصطف مصر إلى جوار الدول ذات الشأن العظيم في الأبحاث والاستكشافات العلمية والجغرافية، فأولى إسماعيل هذه الجمعية الكثير من اهتمامه ورعايته. وكان الغرض منها، كما جاء في عدد "الأهرام" بتاريخ ٢ أبريل ١٩٢٥، "البحث في المعلومات الجغرافية فتتناول جميع فروعها، ومن ثم الاجتهاد في اكتشاف أقطار إفريقيا التي لم يردها الرواد من قبل أو كانت غير معروفة تمامًا".

وظلت الجمعية تقوم بأعمالها تحت رعاية إسماعيل، وعُيِّن أول رئيس لها، وهو الجغرافي الألماني الشهير في ذلك الوقت جورج شوينفورت، حتى حدث التحول السياسي في مصر من الخديوية إلى السلطانية، ليصبح اسمها في عام ١٩١٥ "الجمعية الجغرافية السلطانية"، بعد صدور مرسوم من السلطان حسين كامل بتعيين الأمير أحمد فؤاد رئيسًا لها. وفي عام ١٩٢٢، وعندما تحول نظام الدولة إلى الملكية، أصبح اسمها «الجمعية الجغرافية الملكية المصرية»، إلى أن صار اسمها "الجمعية الجغرافية المصرية" بعد قيام ثورة ١٩٥٢.

ـ فؤاد رئيسًا للجمعية:

وفقًا لـ«الأهرام»، وفي العدد الصادر بتاريخ ٢٧ يناير ١٩١٦، صار الأمير أحمد فؤاد (١٨٦٨-١٩٣٦) رئيسًا للجمعية الجغرافية، فجاء فيها: «كانت الجلسة التي عقدتها الجمعية الجغرافية السلطانية مساء أول أمس الجلسة الأولى برئاسة صاحب السمو الأمير أحمد فؤاد بعد تعيينه بأمر سلطاني رئيسًا لهذه الجمعية». وقد قام جاك فوكار، يلقبه الكثيرون بمهندس الاستعمار الفرنسي لإفريقيا، بإلقاء كلمة في هذه الجلسة حول القارة الإفريقية وطبيعة أرضها وعادات شعبها في ذلك الوقت، وكيف

تحولت جغرافيتها بفعل البراكين، مما أدى إلى تحول مجرى الأنهار، مثل نهر النيل والنيجر وبحيرة تشاد وغيرها.

وشرح العلاقة بين التقلبات الجوية والحوادث التاريخية، وذكر بعض الموضوعات الجاري البحث عنها، ومنها الأقزام السود كما ذكرهم فوكار، ووصفهم بأنهم ذوو ذكاء فطري من بني الإنسان، يتسلقون الأشجار كالقردة، ومنهم الآن بقايا في الجابون والسنغال ونيجيريا.

وكانت الجمعية الجغرافية في عهد الملك أحمد فؤاد زاخرة بالمؤلفات والخرائط والوثائق شديدة الأهمية، ووفقًا لـ"الأهرام" في العدد الصادر بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٢٤: "ولقد قامت الجمعية الجغرافية الملكية المصرية بطبع الكثير من الأبحاث الجغرافية والتاريخية تحت رعاية جلالته، فسدت بذلك فراغًا عظيمًا في عالم التاريخ والجغرافيا، خاصة فيما له علاقة بمصر".

وذكر التقرير عددًا من هذه المؤلفات، ومنها كتاب "بعثة حربية فرنسية لدى محمد علي"، وهذا المؤلف يحتوي على صورة من خطاب بيد الكولونيل سيف "سليمان باشا الفرنساوي"، وكذلك على خطابات متبادلة بين الجنرال الفرنسي بليار وبين رئيس البعثة الفرنسية في مصر القائد بواييه، توضح موقف مصر من الحرب بين تركيا واليونان.

ومن أهم الكتب أيضًا كتاب «مصر المستقلة»، وهو عبارة عن مشروع عن استقلال مصر تم وضعه في عام ١٨٠١، ويحتوي على مجموعة من المستندات الموجودة في وزارة الخارجية البريطانية. أما كتاب «إنجلترا والحملة الفرنسية في مصر»، والموجود كذلك داخل الجمعية، ففيه يشرح مؤلفه فرانسوا شارلرو، وهو من كبار المؤرخين، اهتمام إنجلترا بمصر بسبب علاقتها بالمواصلات مع الشرق، خاصة الهند. وكذلك كتاب «استكشاف إفريقية في العصور الوسطى»، ويقع هذا الكتاب في جزأين يحتويان على خرائط غاية في الأهمية؛ الأول خاص بالاستكشافات داخل القارة، والثاني خاص بالاستكشافات الساحلية.

ـ المؤتمر الجغرافي الدولي وتكريم حسنين باشا:

وبمناسبة مرور خمسين عامًا على إنشاء الجمعية الجغرافية، قامت الجمعية بعقد المؤتمر الجغرافي الدولي العام بدار الأوبرا، ورصدت «الأهرام» فعاليات الاحتفال في عددها الصادر بتاريخ ٤ أبريل ١٩٢٥. ولقد دعت الجمعية كبار العلماء والرحالة المصريين والأجانب لحضور الاحتفال الخمسيني، وقدم بول بيليو، رئيس الوفد الفرنسي خلال المؤتمر، مذكرة تضمنت علاقة مصر بالشرق الأدنى قبل العهد المسيحي. ثم بدأ رئيس الجمعية في ذلك الوقت "فوكار" بإلقاء كلمة بدأها، وفقًا لـ"الأهرام": "ليس في العالم كله جمعية اجتمع فيها من الجغرافيين الذين رأوا مجاهل الأرض وغرائب النوع الإنساني كالذين اجتمعوا في الجمعية الجغرافية المصرية".

وبعد الانتهاء من كلمته قام الوزير الأمريكي المفوض مارتن هاول بإهداء الميدالية الأمريكية "إليشا كنت كين" إلى السياسي والمستكشف أحمد باشا حسنين (١٨٨٩-١٩٤٦)، وهي من أرفع الأوسمة الأمريكية التي يتم إهداؤها لعلماء ورحالة أغنوا العالم بأبحاثهم واستكشافاتهم.

وكانت صحيفة "الأهرام"، قبل ما يقرب من عامين من هذا التكريم لأحمد حسنين باشا، وتحديدًا في عام ١٩٢٣، وبعددها الصادر في ٢٠ نوفمبر، قد قامت بنقل محاضرة ألقاها أحمد حسنين تحت عنوان «محاضرة أحمد محمد حسنين بك الرحالة المصري.. وصف رحلته في صحراء لوبيا (ليبيا) وعر مناظرها "بالفانوس السحري". وكان لا يزال يُلقب بالبكوية في تلك الفترة، في دار الأوبرا المصرية، ونظمتها الجمعية الجغرافية، وحضرها الملك فؤاد وكبار العلماء والشخصيات العامة. وخلال هذه المحاضرة روى الرحالة المصري عن أخطر رحلة قام بها، وواجه فيها الموت والهلاك عدة مرات، وسنستعرض هنا، ووفقًا لما جاء ذكره في "الأهرام"، بعضًا من حديث أحمد حسنين عن رحلته في صحراء مصر الغربية.

فحكى كيف أن المستكشفين في الماضي كانوا يكتفون بتقديم ملاحظات على النتائج والاتجاهات التي توصلوا إليها عن طريق البوصلة، ولكن في وقتهم هذا صاروا يحملون معهم أحدث الأجهزة لضبط الأماكن وتحديد خطوط الطول والعرض. وأشار في خطبته إلى أنه، برغم هذا التقدم في الأجهزة، إلا أنه يوجد شيء واحد فقط بدائي ولا يمكن الاستغناء عنه من قبل الرحالة، وهو "الجمل"، الذي يُعد وسيلة الرحالة الوحيدة في الصحراء.

ويعترف الرحالة المصري بأنه، على الرغم من ضرورة مصاحبة متخصصين في جميع العلوم للمستكشف أثناء قيامه برحلته، إلا أنه قام بهذه الرحلة وحده مع قافلته المكونة من ١٥ رجلًا من غير المتخصصين، وبصحبتهم جميع الأدوات المهمة. ويقول حسنين: "واسمحوا لي يا مولاي أن أقول إنه لم يسبق لمستكشف اجتياز صحراء ليبيا من الشمال إلى الجنوب، وإنما آخر حد وصل إليه جهد المستكشفين الأوروبيين ما قام به الرحالة الألماني (روفلس) ببعثته العلمية التي سيّرها سنة ١٨٧٩، فقد وصل إلى واحات الكفرة، وكان يعتزم السير إلى دارفور من طريق القوافل المطروق، وهو الطريق الذي كنت أنوي سلوكه في بداية الأمر، ولكن العرب، لسوء حظه وحظ العلم، حطموا أدواته الهندسية ومزقوا أوراقه، فنجا بنفسه وقفل راجعًا إلى بني غازي خشية أن يقتلوه. غير أن سعيه لإنقاذ حياته لم يُعفه عن السعي لإنقاذ بعض النتائج العلمية لرحلته، وأهمها تحديد المواقع الجغرافية للكفرة، وقد عده العالم الجغرافي حتى الآن أصدق تحديد، ومنذ ذلك الحين رُسمت واحة الكفرة على الخرائط كما وصفها رولفس".

ولكن يفاجئ أحمد حسنين الحضور بأنه عندما عاد إلى هذه الواحة في رحلته اكتشف أن موقعها الحقيقي يبعد عن الموقع الذي حدده المستكشف الألماني. ويذكر أنه استخدم في القياس جهاز الـ"نيودوليت"، وهو، وفقًا لحسنين، من أدق الأجهزة الحديثة في ذلك الوقت لضبط خطوط الطول والعرض للمواقع الجغرافية.

ويضيف الرحالة المصري، كما جاء في تقرير "الأهرام": "وكانت نتيجة مباحثي المختلفة التي اتخذتها لضبط المواقع الجغرافية أنه تيسر لي تعيين مواضع الجهات التي مررت بها بدقة، وهي جهات لم يطأها قدم مستكشف من قبل، وأصبح متيسرًا بعد هذه الرحلة أن نضم لصحراء ليبيا، من القسم المتاخم لحدودنا والذي مررت به، خريطة دقيقة ستكون أدق خريطة عرفها العالم الجغرافي حتى الآن. وأذكر مع السرور أن الواحتين اللتين ساقني الحظ إلى العثور عليهما في وسط الصحراء، واحتي أركنو والعوينات، قد وقعتا داخل الحدود المصرية السودانية".

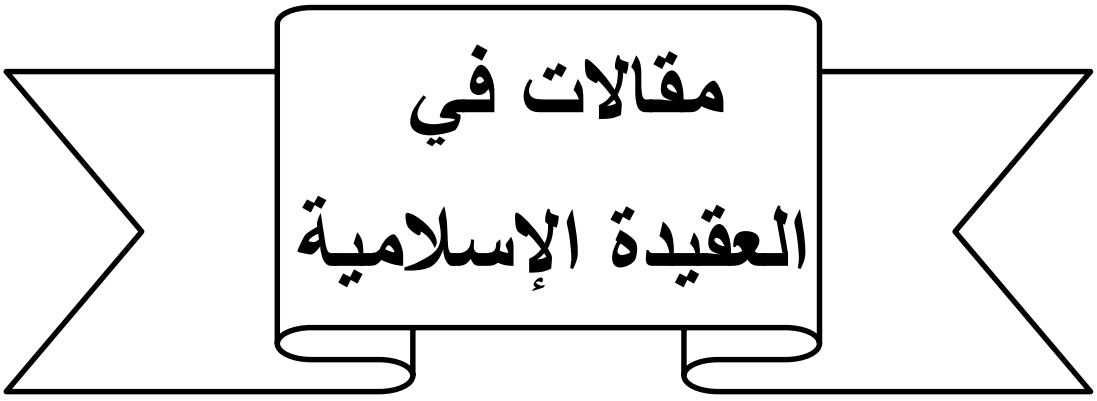
وأشار أحمد حسنين إلى أنه قام بجمع نماذج من جميع أنواع الحجارة التي مر عليها، ودون معلومات عن المواقع التي كانت موجودة بها هذه الحجارة، وكذلك دوّن معلومات عن الغابة المتحجرة والموجودة قرب بئر أبي سلامة، واستطاع أن يحصل على صور فوتوغرافية لجميع التكوينات الصخرية التي وجدها.

ـ متحف الجمعية الجغرافية الخديوية:

واستكمالًا لاهتمام الخديوي إسماعيل الشديد بأن تصبح هذه الجمعية حصنًا للوثائق والخرائط والمقتنيات النادرة العلمية والتاريخية، قرر إنشاء متحف يحفظ بداخله جميع الأبحاث والمخطوطات الأثرية. وقامت "الأهرام" برحلة داخل المتحف، ونقلتها لقرائها في تقرير بعددها الصادر بتاريخ ١٥ أبريل ١٨٩٨، وورد فيه: "زرت اليوم المتحف الجديد الذي أنشأته الجمعية الجغرافية الخديوية، وأودعت فيه ما جمعه حضرة سكرتيرها وما تبرع به عليها أعضاؤها والمحبون للعلم".

ورصدت "الأهرام" خلال زيارتها بعض أهم مقتنيات المتحف، مثل أشكال متنوعة لنباتات وحجارة من مناطق دارفور وكردفان بالسودان، ورسمة قديمة لمحمد علي باشا، والي ومؤسس مصر الحديثة، وكذلك نموذج حجري للقطر المصري يمتد من صحراء النوبة حتى الوجه البحري.

ويحتوي المتحف كذلك على خزائن تضم أصنافًا متنوعة من محاصيل السودان والحبشة، ونماذج من الملابس والنقود وأدوات الحرب. وتوجد أيضًا أقدم المصورات الجغرافية للقطر المصري وشمال إفريقيا، وكذلك رسم لبحيرة موريس (بحيرة قارون حاليًا) على ورق بردي، ويوجد أيضًا أول رسم علمي وضعه الرحالة الفرنسي دومون دورفيل للقطر المصري منذ ١٤١ عامًا. وقد ناشدت "الأهرام" القراء والحكومة مساعدة المتحف في التزود بكل ما هو قيم ونادر.


مقالات في
العقيدة الإسلامية

(قيم إسلامية.. العفو والإصلاح بين الناس)

بالصفح والعفو تقترب من مقام التقوى، قال الله تعالى: "وأن تعفوا أقرب للتقوى"، وتجلت رحمة النبي صلى الله عليه وسلم وشفقته عندما منّ على قومه وعفا عنهم بعد كفاح استمر بينه وبينهم إحدى وعشرين سنة، لم يتركوا فيها طريقًا للقضاء عليه وعلى أتباعه وعلى دعوته إلا سلكوه، فلما تم له النصر عليهم وفتح مكة، لم يزد على أن استغفر لهم، وأطلق لهم حريتهم، لأن الرسول الكريم لم يُرد بدعوته مُلكًا ولا سلطانا، وإنما أراد أن يكون هاديا وفاتحا للقلوب والعقول.

وللإصلاح بين الناس منزلة عظيمة في الإسلام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إصلاح ذات البين". وقال تعالى: "وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم" (النور ٢٢). فتصافحوا بالأيدي، وتبادلوا السلام، فالحمد لله على فضله وإعانته على الصيام والقيام والصدقة وقراءة القرآن، فإن ذلك خير من الدنيا وما فيها: "قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون" (يونس ٥٨).

ويعد إصلاح ذات البين من مكارم الأخلاق، التي حث عليها الشرع في أكثر من مناسبة، كما في قوله تعالى: "فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم" (الأنفال ١). ولأهمية هذه المكرمة جعل لها الإسلام جزءًا من مصارف الزكاة، تصرف على الغارمين الذين يسعون للإصلاح بين الناس، وإصلاح ذات البين شعبة إيمانية، تستل بها الضغائن وتصفو بها القلوب، قال عز وجل: "لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيمًا" (النساء ١١٤). والإسلام يحث المؤمن أن يجعل الإصلاح بين الناس أهم أهدافه في الحياة الدنيا، وأن تصلح نفسك وتطهر قلبك، وتصلح ما بينك وبين الناس.

د. مجدي عاشور

(شخصيات إسلامية : عبدالله بن الزبير)

عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي (٢هـ-٧٣هـ)، صحابي جليل وابن الصحابي الزبير بن العوام، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، خالته أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر، زوجة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، ومن زوجاته نفيسة بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وعائشة بنت عثمان بن عفان، وجدته لأبيه صفية بنت عبدالمطلب، عمة النبي محمد عليه الصلاة والسلام. حملت به أمه في مكة وهاجرت وهي حامل، فلما وصلت إلى قباء ولدته سنة الهجرة، وهو أول مولود وُلد للمهاجرين بعد الهجرة في المدينة. كان شديد الشبه بجده أبي بكر الصديق، وكان أحد شجعان الصحابة، فصيحًا، شهماً، شديد البأس. شهد معركة اليرموك مع أبيه، وشهد فتح إفريقية (تونس الآن) مع عبدالله بن سعد بن أبي السرح، وكان البشير بالفتح إلى الخليفة عثمان بن عفان، وقد أمره الخليفة عثمان أن يصلي بأهل داره أثناء حصاره، وكان يقاتل الجند الذين دخلوا ليقتلوا عثمان بن عفان حتى أصيب.

كما شهد عبدالله بن الزبير معركة الجمل مع أبيه الزبير بن العوام وخالته عائشة، وأصيب في هذه المعركة. وهو من رواة الحديث، فقد حفظ ابن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير، وحدّث عنه بجملة من الحديث، وعن أبيه، وعن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وخالته عائشة، وروى عنه أخوه عروة، وابناه: عامر وعباد وآخرون. كما أعاد ابن الزبير أثناء خلافته بناء الكعبة كما كانت في عهد سيدنا إبراهيم، وكانت قد تهدمت جزئيًا أثناء حصارها من قبل جنود يزيد بن معاوية.

وعن توليه الخلافة، فلقد كان ابن الزبير مقيمًا بالمدينة في خلافة معاوية ابن أبي سفيان، حتى توفي معاوية، وتولى يزيد بن معاوية الخلافة من بعده، فرفض ابن الزبير مبايعته، فأرسل إليه يزيد بحصين بن نمير الكندي ومعه جيش من أهل الشام، فاحصر ابن الزبير أربعة وستين يومًا، يتقاتلون فيها أشد القتال، حتى جاء نعي يزيد بن معاوية أول شهر ربيع الآخر سنة ٦٤هـ. فتوقف القتال، وأعلن الزبير أنه أحق الناس

بالخلافة، فبايعه أهل تهامة والحجاز، والبصرة، والكوفة، ومصر، واليمن، وخراسان أميرًا للمؤمنين، بينما بايع أهل الشام معاوية بن يزيد بن معاوية، الذي مكث في الخلافة مدة ثلاثة أشهر، ثم مروان بن الحكم. وكانت خلافته تسعة أشهر، وأعقبه عبدالملك بن مروان.

استمر عبدالله بن الزبير في الخلافة بعد يزيد بن معاوية لمدة تسع سنوات، حتى قُتل في الحرم المكي سنة ٧٣هـ، وذلك عندما أصر عبدالملك بن مروان أن يسترد الخلافة لبني أُمية، فحارب مصعب بن الزبير والي العراق وقتله، وأرسل الحجاج بن يوسف الثقفي إلى عبدالله بن الزبير بمكة، فحاصره وأنصاره في المسجد الحرام، أشد الحصار، حتى جُهد أصحاب ابن الزبير، وأصابتهم مجاعة شديدة، ونصب الحجاج المنجنيق ليضرب به المسجد الحرام والكعبة، حتى قُتل عبدالله بن الزبير، وبعث برأسه إلى عبدالملك بن مروان. وقال لأمه أسماء بنت أبي بكر: "كيف رأيتني صنعت بعدو الله؟" قالت: "رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك".

قتل عبدالله بن الزبير وعمره اثنتين وسبعين سنة ودفن بالحجون، وآلت إلى ذريته بعد ذلك سقاية زمزم نيابة عن خلفاء بني العباس واستمرت فيهم إلى اليوم. ويعتبر بعض المؤرخين من أهل السنة، كابن كثير وابن الأثير والطبري، أن خلافة أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير شرعية باعتبار أن معظم الأمصار الإسلامية خضعت له، ولذلك يذكر اسمه مع الخلفاء، ولُقب بـ "فارس الخلفاء".

د. محمد رضا عوض - أستاذ بطب الأزهر

(أَمّرْنا مُترفيها)

كيف يأمر الله عز وجل بتدمير قوم عن بكرة أبيهم، وهو سبحانه الذي أمر مترفي هؤلاء القوم بالفسق بينهم، فلما استجابوا لأمره أنزل بهم صنوف العذاب والدمار؟

أين معيار العدل هنا؟

حجة يتمسح بها عتاة المستشرقين دوما، إذ يرون فيها ركيزة قوية للانقضاض على العقيدة الإسلامية من ثغرة يجدون فيها مبعثا لتناقض. صحيح، وهل يحتاج المولى سبحانه لأن يسوق الحُجة كي يبرر أفعاله أمام خلقه، وهو الفعال لما يريد؟ منطق لا يستقيم مع (جوهر العقيدة الإسلامية) عن مفهوم الإله القوي (المجرد) غير المضطر إلى حجة كي يفرض إرادته في مُلكه! سؤال ظل يراودني لسنوات وسنوات، أصول وأجول بشأنه ذهابا وإيابا دون إجابة مقنعة: (وإذا أردنا أن نُهلك قرية أَمَرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) "الإسراء: "٦".

وظللت هكذا تلاطمني الأفكار وألاطمها، إلى أن ساقتني الأقدار إلى معلومة تبين لي من خلالها معنى آخر تماما ارتاح له ضميري، واكتشفت معه أنني مجرد جاهل ينعم بجهله، شأني شأن كثيرين غيري! فبداية، دعونا نعترف بأننا ما زلنا أمام معضلة حقيقية، طرفاها: نص بليغ متعدد وعميق المعاني، في مقابل منطق راحت معارفه اللغوية تتقزم بشكل عام مع مرور الزمن، فما عاد يستطيع فهم ما يُكتب على صفحات الجرائد، فما بالك بكتاب مُنزل من رب العالمين؟

أما المضحك المؤسف، فهو أن ذوات هؤلاء الجاهلين قد تضخمت لدرجة ما عادت تستقبل معها أي جديد، فكلما قرأ جاهل هنا أو جاهل هناك نصا من النصوص، تصور أنه التقط عين المعنى المراد، فبنى وجهة نظره استنادا على معارفه، وتخيل أنه قد امتلك زمام الحقيقة المطلقة، وأن ما دونها هو عين الخطأ، فراح يكيل الاتهامات لكل من

تعارض مع رؤيته أحادية النظرة أساسا! حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: (وإذا أردنا أن نُهلك قرية أَمَرنا مترفيها ففسقوا فيها)، قال: ذكر بعض أهل العلم أن "أَمَرنا" هنا بمعنى (أكثرنا). قال: والعرب تقول للشيء الكثير "أَمَر" لكثرته. فأما إذا وُصف القوم بأنهم كثروا، فإنه يقال: أَمَر بنو فلان، وأَمَر القوم يأمرون أَمَرا، وذلك إذا كثروا وعظم أمرهم، كما قال لبيد في ديوانه:

إن يُغبطوا يُهبطوا وإن أُمِروا وما يصـــــيروا للقلِّ والنقد

أشرف عبدالمنعم

(أنس بن مالك)

هو أنس بن مالك بن النضر بن عمرو بن الخزرج، خادم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه. وُلد قبل الهجرة بعشر سنوات بالمدينة، وتبدأ قصته مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه عندما قدم الرسول إلى المدينة، ذهبت أم سليم، والدة أنس، مع أهل المدينة لاستقباله، ثم قامت إليه فقالت: "يا رسول الله، إن رجال الأنصار ونساءهم قد أتحفوك غيري، ولم أجد ما أتحفك إلا ابني هذا، فاقبل مني يخدمك ما بدا لك".

عاش أنس بن مالك مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وأبرز أيام حياته حيث كان الرسول بالنسبة لأنس الأب والمربي والقدوة والأسوة الحسنة، فكان أنس حريصًا أشد الحرص على اقتفاء أثره وحفظ حديثه، فكان لهذه الفترة أبلغ الأثر في حياة أنس، نقل من خلالها للمسلمين أخلاق نبيهم في التعامل معه ومع زوجاته ومع مواليه ومع عامة الأمة، لذلك اكتسب حديث أنس بن مالك أهمية بالغة بالنسبة للمسلمين.

ومن وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم لأنس في المعاملات: "إذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك – سلّم على من لقيك من أمتي تكثر حسناتك – بت وأنت طاهر فإن مت مت شهيدًا – ارحم الصغير ووقر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة – إن قدرت أن تمسي وتصبح وليس في قلبك غل لأحد فافعل".

ولم يكن أنس بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم مجرد خادم، ولكنه كان أمين سره ومساعده وتلميذه وصاحبه ومرافقه. كما تعلم أنس بن مالك الصلاة من الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة، فكان أحسن الناس صلاة في سفره وحضره، وكان يصلي ما بين المغرب والعشاء ويقول: "هذه ساعة ناشئة الليل". كما شهد أنس بن مالك بيعة الرضوان، فكان ممن قال الله فيهم: "لقد رضي الله عن المؤمنين إذ

يبايعونك تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحًا قريبًا" (سورة الفتح، الآية ١٨).

كما كان أنس بن مالك مقاتلًا وأحد الرماة المصيبين، فغزا مع الرسول صلى الله عليه وسلم سبعًا وعشرين غزوة، أشهر الغزوات التي شهدها أنس هي الحديبية وخيبر وعمرة القضاء والفتح وحنين والطائف وما بعد ذلك، كما شهد حجة الوداع. كما شارك مع أبي بكر في حروب الردة، وكان ممن حضر موقعة اليمامة، وشهد الفتوحات في عهد عمر، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وكان مما أعلى شأن أنس بن مالك أنه سمع بعضًا من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يكن بينهما أحد، لذلك تفرد أنس ببعض الأحاديث التي لم يروِها سواه.

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قد دعا له فقال: "اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيت"، فكان لأنس بن مالك أولاد كثير حتى صعب عدهم، فقيل إنه وُلِد له من صلبه ثمانون ذكرًا وابنتان، ومات وله من ولده وولد ولده مائة وعشرون ولدًا على قيد الحياة. كما وعده الرسول محمد صلى الله عليه وسلم باللقاء مرة أخرى في يوم القيامة ووعده بالشفاعة. وكان أنس مجاب الدعاء، فما دعا لأرض بالمطر إلا ثار السحاب وغشيت الأرض الأمطار حتى في الصيف.

وتوفي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم في البصرة بالعراق يوم جمعة من سنة ثلاث وتسعين هجرية، الموافق ٧١٢م.

محمد رضا عوض

أستاذ بطب الأزهر

(خواطر الشعراوي "الجبار")

قال تعالى :

(هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون) "الحشر ٢٣"

ويحدثنا إمام الدعاة الشيخ الشعراوي – رحمه الله – عن اسم الله "الجبار" فيقول: جبر فلان فلانا أي أغناه من فقر، أو جبر فلان عظمة فلان أي أجبرها، وجبر الله سبحانه فلانا أي سد حاجته، وأجبره على الأمر أي أكرهه عليه.

ويقول الإمام: كلمة "جبار" بدون ألف ولام تستخدم كصفة من صفات الأفراد، وهنا تكون بمعنى القهر والطغيان، فهي في حق الإنسان صفة ذميمة، كما في قوله تعالى:

(وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد) "هود ٥٩"

ولذلك نجد الحق سبحانه ينفي عن نبيه يحيى عليه السلام هذه الصفة فيقول:

(ولم يكن جبارا عصيا) "مريم ١٤"

والجبر هنا هو الطغيان والقهر والتحكم في مخلوقات الله لمنافع وأهواء شخصية، أما الجبار بالألف واللام فهو اسم من أسماء الله الحسنى، وإنما سمي الجبار لأنه جبر الخلق على ما أراد سبحانه وتعالى. وهي من الصفات الواجبة لكماله المطلق لأنها تعني أن الحق جل شأنه كسر عباده، فهو القادر على الفقير حين شرع الزكاة والصدقات وجعل ... بعشر أمثالها وبسبعمائة ويضاعف لمن يشاء.

ويقول إمام الدعاة: من معاني الجبار أنه سبحانه وتعالى قاهر يدين له كل شيء و.... من سواه، فإذا نظرت إلى جبر المريض.... له أجرا إذا تقبل

البلاء بالصبر والرضا .... وجعل زيارته زيارة له، كما يجبر عباده... بأن يتولاهم برعايته وحفظه فيشعرون أنه معهم في كل وقت وحين، ولا يستعمل الحق جبروته في موضع إلا تحقيقا لخبر أو دفعا.... سبحانه مستحق للحمد على جبروته كما ... الحمد على رحمته ومغفرته وكرمه،.... الجبار الذي يقهر كل جبار متكبر.... من خسف بكل جبار متكبر الأرض،..... المخلوق الضعيف أن الجبار بمعنى.... فوض أمره غليه، وتوكل في جميع أحواله.... خيرا علم أنه مسديه، وإن كان ضرا علم... ويكشفه بلطفه وأفضاله.

(السلاح الفعّال)

التفاؤل هو أن ينتظر ويتوقع المرء كل ما هو خير وجميل في المستقبل، وهو شعور يمنح الطمأنينة والسلام والأمن النفسي. هذا الشعور ليس عشوائيًا أو تلقائيًا، بل قائم على الإيمان والعمل والوعي، وتلك ميزة لا يمتلكها إلا المخلصون، ولا يدركها إلا الخاصة.

والإيمان الحقيقي أساسه التفاؤل والأمل، فمهما تكن مصاعب الحياة فستهون مع العمل والأمل، حتى في الموت؛ فالمؤمن الحقيقي متفائل بأنه سينتقل إلى عالم أرحم وأرحب وأجمل في كل شيء، وتلك قضية أساسها أيضًا العمل، فبالعمل القائم على الإيمان والوعي يكون النجاح فيما هو متاح، وفيما هو غير مدرك أو متاح.

أقول ذلك ولا يغيب عن القارئ التدبير واللطف الإلهي بعباده وخلقه، وهو الإطار الحاكم في كل ما حدث ويحدث في الوطن والعالم. ومن هذا المنطلق الإيماني العملي الواعي، ورغم ما يحيط ببلادي من فتن ومؤامرات، وما تعانيه والعالم من تزايد الوفيات جراء فيروس كورونا، فالتفاؤل بما هو آتٍ جزء من الواقع المستند على عمل طويل دؤوب ومخلص خلال السنوات الماضية، أثمر في مختلف قطاعات الوطن، وأسفر عن التصدي للكثير من التحديات والأزمات، وما زال.

وتلك حقيقة، كما سبق أن ذكرت، قائمة على الإيمان بالله، ثم الانتماء لهذا الوطن، والعمل والوعي الشامل، وتلك معادلة النجاة على الأصعدة كافة. ولابد من التفرقة بين التفاؤل والاغترار بالقوة، والذي هو أساس التصدع فالانهيار؛ لأنه يترك الإيمان والعمل والإخلاص والوعي، ويرتكن لقوة تتجاوزها التحديات، ولا تصمد لتداعيها أمام أي تهديدات.

إن الإيمان والعمل والوعي هي السلاح السري الفريد والفعّال الذي يملكه الشعب المصري لردع جميع الأعداء، ويتجاوز بفضله التحديات، ويتصدى به للقديم والمستجد من مؤامرات.

محمد الأنور

(همسة دعوية.. البركة الخفية)

كبار السن أحوج من أطفالنا إلى التدليل، والاسترضاء، والعاطفة، والحنان، والرفق، والرحمة، والصبر، والسهر، والتضحية. والكلمة التي كانت لا تريحهم حال قوتهم الآن تجرحهم، والتي كانت تجرحهم الآن تذبحهم!!

قال تعالى: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما".

لقد فقدوا الكثير من حيوية الشباب، وعافية الجسد، ورونق الشكل، ومجد المنصب، وضجيج الحياة، وصخب الدنيا، وفقدوا والديهم، وفقدوا كثيراً من رفقائهم، فقلوبهم جريحة، ونفوسهم مطوية على الكثير من الأحزان. ولم يعودوا محور البيوت وبؤرة العائلة كما كانوا من قبل. فانتبه، ولا تكن من الحمقى فتشقى!!

قد يرقدون ولا ينامون، وقد يأكلون ولا يهضمون، وقد يضحكون ولا يفرحون، وقد يوارون دمعتهم تحت بسمتهم، وقد يؤلمهم بُعدك عنهم، وانصرافك من جوارهم، واشتغالك بهاتفك في حضرتهم.

يحتاجون من يسمع حديثهم، ويأنس لكلامهم، ويبدو سعيدا بوجودهم. وهم أولى من الأطفال بمراعاتهم، والحنو عليهم، والإحساس بهم. فحوائجهم أبعد من طعام وشراب وملبس ودواء، بل أهم من ذلك بكثير.. يحتاجون إلى بسمة في وجوههم، وكلمة جميلة تطرق آذانهم، ويدا حانية تمتد لأفواههم، وعقل لا يضيق برؤاهم. ويراوحون بين ذكريات ماضٍ ولى ويزداد بُعدا، وبين آمال مستقبل آت وقد لا يجيء. فلا يفتك تقدير هذا. ولديهم فراغ يحتاج عقلاء رحماء يملئونه. غادر بهم القطار محطة اللذة، وصاروا في صالة انتظار الرحيل، ينتظرون الداعي ليلبوه. وكبار

السن قريبون من الله، ودعاؤهم أقرب للقبول، فاغتنم الفرصة قبل نفاد الرصيد.

إن كبار السن: هم الأب، والأم، والجد، والجدة، وسواهم من ذوي القرابات ممن شابت شعورهم ويبست مشاعرهم. فاجعلهم يعيشوا أياما سعيدة، وليالي مشرقة، ويختموا كتاب حياتهم بصفحات ماتعة من البر والسعادة، حتى إذا خلا منهم المكان لا تصبح من النادمين. وهم كبار السن الآن، وسيذهبون، وعما قليل ستكون أنت هذا الكبير المسن. فانظر ما أنت صانع وما أنت زارع! فكن العِوض عما فقدوا، وكن الربيع في خريف عمرهم، وكن العكاز فيما تبقى. سلام على كبار السن، وسلام على من يراعون كبار السن .

(مجرد رأي.. مع الشعراوي والغزالي)

الشيخ محمد متولي الشعراوي هو الداعية وعالم الدين وأشهر من فسر القرآن في وسائل الإعلام في العصر الحديث بطرق مبسطة، مما جعل البعض يلقبونه إمام الدعاء. وُلد في ١٥ أبريل عام ١٩١١ وتوفاه الله في ١٧ يونيو ١٩٩٨. ومن أقواله:

ـ إذا أخذ الله منك ما لم تتوقع ضياعه فسوف يعطيك ما لم تتوقع تملكه.

ـ إن لم تستطع قول الحق فلا تصفق للباطل.

ـ إذا لم تجد لك حاقدًا فاعلم أنك إنسان فاشل.

ـ لا تقلق من تدابير البشر، فأقصى ما يستطيعونه هو تنفيذ إرادة الله.

ـ لن يحكم أحد في ملك الله إلا بمُراد الله.

ـ لا يقلق من كان له أب، فكيف يقلق من له رب؟

ـ لا تعبدوه ليعطي، بل اعبدوه ليرضى، فإن رضي أدهشكم بعطائه.

ـ أتمنى أن يصل الدين إلى أهل السياسة، ولا يصل أهل الدين إلى السياسة.

ـ الحلال لا يتعب، إنما يتعب الحرام.

الشيخ محمد الغزالي عالم ومفكر إسلامي مصري من المناهضين للتشدد والغلو في الدين، واشتهر بلقب أديب الدعوة. وُلد في سبتمبر ١٩١٧ وتوفاه الله في مارس ١٩٩٦. ومن أقواله:

ـ طالما أن الله يعلم نيتك، لا تهتم لسوء نيتهم.

ـ الألم، الضعف، والحزن مشاعر مؤقتة، بالاستغفار تعبر من بوابة أرواحنا وتمضي.

ـــ اسأل الله دائمًا وأنت مطمئن وشاكر لما قسمه لك.

ـــ أحسن نيتك يحسن الله حالك، وتمنى الخير لغيرك يأتيك الخير.

ـــ حتى يرتاح عقلك وقلبك، تأكد أنه لا يوجد خير في شيء أخذه الله منك.

ـــ الفقر فضيلة سخيفة لا يدعو إليها إلا رجل سخيف.

ـــ من السقوط أن يسخر المرء مواهبه العظيمة من أجل غاية تافهة.

ـــ في أحضان البطالة تولد آلاف الرذائل.

ـــ مر المسيح عليه السلام بقوم فقالوا له شرا، فقال لهم خيرا. فقيل له: إنهم يقولون شرا وتقول لهم خيرا؟ قال: كل واحد ينفق مما عنده.

(وصايا زوجية.. المودة.. خلق نبوي)

كثير من الأزواج يغفل جانباً مهما من احتياجات زوجته، فيظن أنه ما دام قد وفر المطعم والمشرب والملبس والمسكن وضرورات الحياة، فقد أدى دوره كاملاً، غير عابئ بجانب نفسي مهم، وإن كان بسيطاً من وجهة نظره، إلا أنه دائماً يفرق مع المرأة. وهذا الجانب هو جانب المودة و"الملاطفة".

والملاطفة، كما يوضحها الدكتور محمد المهدي، أستاذ الطب النفسي بجامعة الأزهر، هي التعامل بلطف ورقة وعذوبة ورومانسية واهتمام ومداعبة، وعمل كل الأشياء التي تشعر الزوجة بأنها محل الرعاية ومحور الاهتمام من زوجها، وأنه يعاملها وكأنها طفلته وحبيبته المدللة. وهي تشعر بمتعة هائلة وهي تتلقى هذا الفيض من المشاعر الإيجابية التي يحملها إليها زوجها عبر الملاطفة.

وقد أثبتت التجارب الحياتية قبل الدراسات النفسية أن مسألة الملاطفة لها أهمية كبيرة عند المرأة، وكأنها تعيد إليها تاريخ ملاطفة أبويها لها حين كانت طفلة أثيرة لديهم ومحبوبة. حتى المرأة التي حرمت الملاطفة في طفولتها يكون لديها حنين شديد إلى الملاطفة من زوجها، وكأنها تجبر نقصاً وجدانياً وتملأ فراغاً نفسياً طالما عانت منه، وحلمت بحبيب يحتويها ويلاطفها ويدللها ويشبعها محبة واهتماماً، ويشعرها بأنها أميرة وملكة متوجة وطفلة مرغوبة.

والملاطفة قد تكون في صورة كلمة حلوة، أو نظرة ودودة، أو لمسة حنونة، وهي تحفز الدوبامين (هرمون السعادة) والأوكسيتوسين (هرمون الحب) وتخفض الكورتيزول (هرمون التعاسة)، وتساعد على ضبط سائل الهرمونات في الجسد وتنشيط جهاز المناعة. لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "الكلمة الطيبة صدقة" و*"رفقاً بالقوارير"*.

ومن الملاحظ أن ينادي الزوج زوجته باسم تحبه، وأن يعاملها بمزيج من الرقة والاحترام أمام الناس. فهي لا تحتاج إلى الملاطفة فقط في علاقتها مع زوجها في الغرفة المغلقة، ولكنها تريدها أيضاً أمام الناس، حيث تعطيها ثقة بنفسها وتشجع الآخرين على احترامها وتقديرها، وتعرفهم مدى حب زوجها لها وتقديره إياها، فيمتنعون عن إيذائها ويحذرون من انتهاك حدودها، وتتفاخر بأن زوجها يحبها.

وقد جسد النبي صلى الله عليه وسلم النموذج الأعلى في ذلك، في سلوكه ومداعباته للسيدة عائشة رضي الله عنها. والمرأة التي يلاطفها زوجها تلمح في عينيها البريق والسعادة، وفي بشرتها النضارة، وفي حركتها الخفة والحيوية والنشاط، وكأن الملاطفة بعثت الحياة في كل خلية من خلاياها.

والملاطفة تغفر للزوج الكثير من الزلات التي تحدث لا محالة في الحياة الزوجية، وتجعل الزوجة في حالة وجدانية تسمح بتدفق عطائها المادي والوجداني بلا حدود لهذا الزوج الذي أيقظ فيها طفولتها وأنوثتها وجبر نقص الحب والثقة لديها.

(حديث الجمعة.. من مفاتيح الإجابة)

يقول رب العزة في كتابه العزيز:"وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين" (غافر: ٦٠)

ويقول سبحانه: "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون" (البقرة: ١٨٦)،

ويقول نبينا صلى الله عليه وسلم :"ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها. قالوا: إذن نكثر؟ قال: الله أكثر".

ولإجابة الدعاء مفاتيح، من أهمها إخلاص النية وصدقها مع الله عز وجل، ومن أهمها أكل الحلال. فقد سأل سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه سيدنا محمد □: "يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة." فقال صلى الله عليه وسلم : "يا سعد، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة."

فمن حلّت به فاقة أو ألمت به جائحة أو ضُيق عليه أمر، فأنزل حاجته بالله عز وجل كفاه وأرضاه، ولم يخب أبداً مسعاه. ومن أنزلها بالخلق ذُلّ وهان، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وتنكر له الأخ والصديق، وكانت عاقبة أمره عسراً.

ففوض الأمر لمن دبره، فلن ترى غير الذي قدّره، وتعرف على الله عز وجل في الرخاء، يعرفك في الشدة. وانزع عنك لباس الحرص والطمع والجشع، يسلم لك دينك وعرضك ومروءتك، وإياك أن تعتمد على الخلق في أمر مبدؤه ومنتهاه بيد الخالق وحده. ثق أن الله عز وجل لا يكلف بالمحال ولا بما هو غير مستطاع، والخلق غير ذلك، فكن له سبحانه يكن لك، وكن به يكن معك، وإذا كان هو معك فلا عليك بمن عليك ومن معك.

واعلم أن الأمر ليس في كثرة العمل ولا نوعه فحسب، إنما في صدق النية فيه. فلا تغالط نفسك عند تداخل النيات. فالحلال بيّن، والحرام بيّن، والمشتبهات إلى الحرام أقرب، والجنة أقرب إلى أحدنا من شراك نعله، والنار مثل ذلك. فالنجاء النجاء، النجاء النجاء، انجُ سعد فقد هلك سعيد. والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من وعظ بنفسه.

وقد ذكر أهل العلم أموراً تستمطر بها إجابة الدعاء، منها أن تبدأ الدعاء بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن الله عز وجل أكرم من أن يقبل الصلاتين ويرد ما بينهما. ومما تستمطر به الإجابة ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"إن لله ملكاً موكلاً بمن يقول: يا أرحم الراحمين، فمن قالها ثلاثاً قال الملك: إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فاسأل."

ومنها الدعاء بصالح الأعمال، والدعاء باسم الله الأعظم. فعن أنس رضي الله عنه، أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً، ورجل يُصلي ثم دعا:

"اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى."

(مجرد رأي : لا نوم في الجنة)

لم يذكر الحق سبحانه أهل الجنة في القرآن الكريم إلا بقوله: "متكئين على الأرائك". فلا هم جالسون أو نائمون. فيقول الحق: متكئين على سرر مصفوفة، ويقول: متكئين عليها متقابلين، ويقول: متكئين فيها على الأرائك.

السؤال: لماذا لم يقل سبحانه وتعالى جالسين أو نائمين؟

أولاً، لأنه لا نوم في الجنة. عن جابر بن عبدالله، سئل النبي □: "أينام أهل الجنة؟" قال: "النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون."

ثانياً، الجلوس غير محبوب أو مرغوب، وقد يكون مرغماً عليه مثل جلوس المتهم أمام المحقق أو أمر الرئيس للموظف بالجلوس. أما الاتكاء فلا يكون إلا عن راحة بال وطمأنينة، والإنسان لا يتكئ إلا في بيته، وكأن الجنة أصبحت بيته، كما أن الأرائك لا توجد إلا في البيوت والحدائق، وهكذا الجنة حين تصبح بيت أهلها.

صلاح منتصر

(ويرزقه من حيث لا يحتسب)

عجيب أمر تلك النوعية من الناس الذين ما أن تتغير أحوالهم والظروف المحيطة بهم أو حينما تدير لهم الدنيا ظهرها نجدهم يتحولون فجأة من النقيض إلى النقيض وقد اسودت الدنيا أمام أعينهم فيندبون حظهم العاثر، ويتناسون أن هناك من لا يغفل ولا ينام، وأن من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب، تذكرت حكاية التاجر الطيب الذي كان يركب سفينة تجارية مالت من كثرة ما تحمله من بضاعة فلما كادت تغرق اقترح ربانها أن يتم رمي بعض البضاعة في البحر وأجمع الكل على أن يتم التخلص من بضاعة هذا التاجر الطيب لأنها كثيرة وحينما رفض تنفيذ الاقتراح ثار عليه التجار وتآمروا ضده ورموه في البحر هو وبضاعته..

أخذت الأمواج بالتاجر وألقت به على شاطئ جزيرة مهجورة فسقط على ركبتيه ورفع يديه إلى السماء وطلب من الله المعونة.. ومرت عدة أيام كان التاجر يقتات خلالها من ثمار الشجر ويشرب من بركة مياه عذبة.. وكان ينام في كوخ ضيق بناه من أعواد الشجر وفجأت هبت ريح قوية حملت معها بعض أعواد الخشب المشتعلة فتحول الكوخ إلى كوم رماد وظل يبكي من شدة الحزن. وفي الصباح كانت المفاجأة.. فقد وجد سفينة تقترب من الجزيرة وينزل منها قارب صغير لإنقاذه.. وأخبره طاقمها بأنهم رأوا دخانا وعرفوا أن شخصا ما يطلب النجدة فجاءوا لإنقاذه.. وعلم منهم أيضا أن سفينة التجار غرقت في البحر فسجد التاجر يبكي وهو يقول: الحمدلله وليتنا ندرك نحن هذه الحقيقة. فإذا ساءت ظروفك لا تقنط من رحمة الله وتذكر أن الخير قادم وأن الله على كل شيء قدير.

أشرف مفيد

(من معجزات القرآن)

هل هناك كتاب حفظه الملايين عن ظهر قلب مثل القرآن الكريم؟ أليست معجزة أن يحفظ الأطفال سوره وآياته الصعبة؟ إن مؤلف أي كتاب لا يحفظ ما كتبه، لأنه كلام بشر، أما القرآن الكريم فسره أنه كلام الله.

تتعدد معجزات القرآن، ومنها معجزة العدد في آياته وكلماته، فنجد:

كلمة "الدنيا" ذكرت ١١٥ مرة، وكلمة "الآخرة" ذكرت أيضا ١١٥ مرة.

كلمة "الملائكة" ذكرت ٨٨ مرة، وعكسها كلمة "الشياطين" ذكرت أيضا ٨٨ مرة.

كلمة "محمد" ذكرت أربع مرات، يقابلها كلمة "شريعة" التي جاء بها محمد وذكرت أيضا أربع مرات.

كلمة "الناس" ذكرت ٥٠ مرة، وكلمة "أنبياء" أيضا ٥٠ مرة.

كلمة "فساد" ذكرت ٥٠ مرة، يقابلها كلمة "صلاح" ذكرت أيضا ٥٠ مرة.

كلمة "إبليس" ذكرت ١١ مرة، وكلمة "الاستعاذة منه" ١١ مرة.

كلمة "رجل" ذكرت ٢٤ مرة، وكذلك "امرأة" ٢٤ مرة، في إشارة واضحة إلى المساواة بينهما.

كلمة "الحياة" ذكرت ١٤٥ مرة، وكلمة "الموت" نفس الرقم ١٤٥ مرة.

كلمة "الصالحات" ١٦٧ مرة، وكلمة "السيئات" أيضا ١٦٧ مرة.

كلمتا "الجهر" و"العلانية"** ١٦ مرة.**

كلمتا "المصيبة" و"الشكر"** ٧٥ مرة.**

كلمتا "الهدى" و"الرحمة"** ٧٩ مرة.**

وبعض الكلمات تضاعف عدد ورودها لحكمة إلهية:

كلمة "جزاء" وردت ١١٧ مرة.

كلمة "المغفرة" ٢٣٤ مرة، أي ضعف الجزاء، لأن رحمة الله وغفرانه يسعان كل شيء.

كلمة "العسر" ١٢ مرة، بينما "اليسر" ٣٦ مرة، أي ثلاثة أضعاف، لأنه لن يغلب عسر يسرين.

ومن الملاحظات المهمة في الإحصائيات:

كلمة "الصلاة" ذكرت خمس مرات فقط.

كلمة "يوم" ذكرت ٣٦٥ مرة، كمثل أيام السنة.

سبحانك ربي ما أعظمك.

مع شكري للدكتور

محسن توفيق صاحب هذه الرسالة.

(الملافظ سعد)

في التراث الشعبي المصري مثل يقول "الملافظ سعد"، فيه تنبيه للناس، وحض لهم على تخير ألفاظهم وكلماتهم في خطابهم، فتصادف القبول والاستحسان، عكس لو كانت جافة ثقيلة، رغم أن المعنى المقصود قد يكون واحدا، وفي التراث الأدبي العربي كذلك يوجد باب للأجوبة الحسنة والكلمات الرقيقة، وتجنب الفظ الثقيل منها، مما يمكن أن يندرج بلغتنا تحت عنوان "الملافظ سعد"، ويروى أن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بقوم أوقدوا نارا يستضيئون بها ليلا، فقال لهم: السلام عليكم يا أهل الضوء، فكره أن يقول يا أهل النار، وسأل أبو بكر الصديق رضي الله عنه رجلا عن شيء فأجابه نافيا: لا رحمك الله، فقال له أبو بكر هلا قلت: لا ورحمك الله، لو استقمتم لقومت ألسنتكم.

وسئل العباس بن عبدالمطلب من أكبر أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله أكبر مني وأنا أسن منه، وأجلس الخليفة أبو جعفر المنصور، الأحنف بن قيس وكان سيد قومه، يوما بجواره على سريره، ثم طفق يستقبل وفود الرعية والناس الوافدين عليه، فإذا برجل حين جاء دوره فمثل أمام الخليفة أن صاح قائلا: يا أمير المؤمنين سلبني الأحنف ضيعتي (مزرعتي)، فالتفت المنصور إلى الأحنف، وقال له قم فاجلس بجوار خصمك حتى أحكم بينكما، فقال الأحنف يا أمير المؤمنين: ما هو لي بخصم، إن كانت الضيعة له فلست أنازعه إياها، وإن كانت لي فقد وهبتها له، وليست أقوم من مكان شرفني به أمير المؤمنين فأجلس في مكان دونه، من أجل ضيعة!

..د. يحيى نور الدين طراف

(الإمام مالك بن أنس)

بعد أن أسس الإمام أبو حنيفة النعمان أول المذاهب الفقهية لأهل السنة، جاء الإمام مالك بن أنس ليؤسس المذهب الثاني في الفقه الإسلامي، فهو ثاني أئمة السنة الأربعة.

وُلد الإمام مالك بن أنس عام ٩٣ هـ في المدينة المنورة، مما أتاح له تلقي العلم مباشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين.

عاصر أكثر من ثلاثمائة تابعياً وتعلم الحديث على أيديهم.

حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي في سن مبكرة، وتميز بقوة الحفظ وشدة الذاكرة.

كان شغوفًا بالتعلم حتى أصبح مدرسًا قبل أن يتجاوز السابعة عشرة من عمره.

شهد له سبعون شيخًا من العلماء بعلمه، منهم أستاذه يحيى الأنصاري ومحمد بن مسلم، وكان يجلس في مجلسه في نفس المكان الذي كان يجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تميز الإمام مالك بدمج علم الحديث وعلم الفقه، وكان صاحب علم غزير، صبر، ذكاء وهيبة.

الإمام الشافعي قال: "إذا ذكر العلماء فمالك النجم ومالك حجة الله على خلقه بعد التابعين".

والإمام أحمد بن حنبل وصفه: "سيد من سادات أهل العلم، وهو إمام في الحديث والفقه، ومن مثل مالك متبع لآثار من مضى مع علم وأدب".

الإمام مالك مثال للعالم الذي يجمع بين العلم والخلق الحسن، والحفظ الدقيق، والتثبت في نقل الحديث والفقه.

عماد حجاب

(كلمات ومعان)

- من أشد أنواع الظلم الاجتماعي هو بحث الأهل عن زوجة صالحة لابنهم السيء!

- ثلاثة أشياء لا تعود: الكلمة إذا خرجت والزمن إذا مضى والثقة إذا ضاعت.

- الحياة مثل السوق الكبير تتجول فيه وتأخذ ما يطيب لك من المعروض ولكن تذكر أن الحساب أمامك وستدفع ثمن كل شيء أخذته!.

- بر الوالدين قصة تكتبها أنت ويرويها لك أبناؤك.

- من الأدب ألا تسأل أحدا عن شيء يخفيه عنك فإن لم يكن ظاهرا لك فهو غالبا لا يخصك!

- الموت لن ينتظر استقامتك.. استقم وانتظر الموت.

- الأبكم يتمنى أن يرتل كتاب الله، والأصم يتمنى أن يسمعه.. والأعمى يتمنى أن يراه ونحن أهلكتنا هواتفنا!

- قال أهل العلم: ما ذكر الميت الصدقة إلا لعظيم ما رأى من أثرها بعد موته فاكثروا من الصدقة فإن المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته.

- قال أحد الحكماء لابنه: يا بُني إن علاقتنا مع الناس تدوم وتستمر بالتغاضي.. وتزداد انسجاما بالتراضي، لكنها تمرض بالتدقيق، وتموت وتنتهي بالتحقيق.

- بالابتسامة تتجاوز الحزن، وبالصبر تتجاوز الهموم، وبالصمت تتجاوز الحماقات، وبالكلمة الطيبة تتجاوز الكراهية.

- وتبقى ثقة الإنسان بالله تعالى هي مفتاح كل شيء عندما يدرك أن تيسير جميع أموره من الله، فتملأ قلبه السكينة والطمأنينة، ويصبح مقبلا على الحياة بعين الرضا.

نصر زغلول

(مع الدنيا)

تحدث العلماء والأدباء والحكماء والشعراء عن الدنيا حديث عارف بها، خبير بطبيعتها. فقال بعضهم: "من طلب الراحة في الدنيا – أي الراحة التامة الكاملة الدائمة – طلب ما لم يخلق، ومات ولم يرزق، لأن الله (عز وجل) يقول "لقد خلقنا الإنسان في كبد" (البلد ٤).

ويقول أبو البقاء الرندي:

لكل شيء إذا ما تم نقصـــان فلا يُغر بطيب العيش إنسان

هي الأمورُ كما شاهدتها دُول من سره زمن ساءته أزمان

ويقول البارودي:

إذا أحسَنْت يوما أساءت ضُحى غد

فإحسانها سيف على الناس جائرُ

ترب الفتى حتى إذا تـــــم أمره

دهتـــــه كما ربُّ البهيمة جازرُ

ويقول خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبدالعزيز (رضي الله عنه) في إحدى خطبه: "أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثا. ولم تخلقوا سدى. وإن لكم معادا يحكم الله بينكم فيه، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحُرم جنة عرضها السماوات والأرض، واعلموا أن الأمان غدا لمن خاف اليوم، وباع قليلا بكثير، وفانيا بباقٍ، حتى يرد على خير الوارثين، ثم إنكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله، قد قضى نحبه، وبلغ أجله، ثم تغيبونه في صدع – أش شق – من الأرض. ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وواجب الحساب، غنيا عما ترك، فقيرا إلى ما قدم".

ويقول الإمام الحسن البصري (رحمه الله): "يا ابن آدم، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا، يا ابن آدم، إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه، وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم عليه، الثراء هنا قليل، وابقاء هناك طويل، أُمتكم آخر الأُمم وأنتم آخر أُمتكم" هيهات هيهات. ذهبت الدنيا بحاليها، وبقيت الأعمال قلائد في أعناق بني آدم، فيا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة، أما إنه والله لا أُمة بعد أُمتكم، ولا نبي بعد نبيكم، ولا كتاب بعد كتابكم، أنتم تسوقون الناس، والساعة تسوقكم، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحقه آخركم".

ويقول عبدالحميد الكاتب: إن الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور، وجعل فيها أقساما مختلفة بين أهلها، فمن درّت له بحلاوتها وساعده الحظ فيها، سكن إليها، ورضي بها، وأقام عليها، ومن قرصته بأظفارها، وعضته بأنيابها، قلاها نافرا عنها، وذمها ساخطا عليها، وشكاها مستزيدا لها.

ويقول رب العزة (عز وجل) في محكم التنزيل: "إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون".

د.محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

(دنيا وآخرة.. دعاء الاسترحام)

يا رب، أمري بين يديك، فاقضِ فيَّ بما لديك. هذه خلاصة استرحامي إليك. يا رب، لا شيء في هذه الدنيا يعوضني عن رضاك عني، وإن أوتيت كل ما فيها. ويا رب، لا شيء في هذه الدنيا ينفعني إن غضبتَ عليَّ طرفةَ عينٍ أو أقلَّ من ذلك.

يا رب، أتجنب غضبك ما وسعني الجهد، وأسعى إلى رضاك ولا أملكه؛ أنت يا ربي تملكه، وتملك أن توجِّهني إليه وتحافظ لي عليه.

يا رب، رضاك ليس بالأمر الهيِّن، فاقدرني عليه، وأدمه لي ما دمت حيًّا، حتى ألقاك وأنت عني راضٍ.

يا رب، لا تضلني بعد إذ هديتني. أعوذ بك منك، يا حنان يا منان. ويا رب، هموم الدنيا تؤرقني وتلاحقني، وأنا أشكو إليك حيرتي وقلة حيلتي، فأعني عليها يا رب، وأنت نعم المعين.

ربنا، وسعت رحمتك كل شيء، فلتسعني رحمتك، وليشملني إحسانك وبرك وودك وحنانك وعفوك ومغفرتك وسترك. استر عليَّ في الدنيا، واستر عليَّ يوم لقائك، ولأكن، يا رب، ممن ذكرتهم في حديثك القدسي:

"يدني المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه: تعرف ذنب كذا؟ يقول: رب أعرف، رب أعرف. فيقول: سترتها عليك في الدنيا وأغفرها لك اليوم، ثم يُعطى صحيفة حسناته". يا رب، لا عاصم لأحد من كرب الدنيا ومن كرب يوم القيامة إلا من رحمت، فاعصمني وأقلني من عثراتي، وخذ بيدي إليك، ولا تتخلَّ عني، بل اجعل لي من لدنك وليًّا، واجعل لي من لدنك نصيرًا. وأنت تكفيني، يا رب: "وكفى بالله وليًّا وكفى بالله نصيرًا" (النساء: ٤٥).

يا رب، عشمي فيك يغلب على خوفي منك، وخوفي منك، يا ربي، شديد. وأكرر: "يا رب، أمري بين يديك، فاقضِ فيَّ بما لديك" من رحمة

وإحسان، وبر وحنان، ومغفرة ورضوان. لك العتبى حتى ترضى عني، ولا حول لي ولا قوة إلا بك، يا منان.

ويا رب، اقبل توسلاتي، وارحم ضعفي، واجبر كسري، وعاملني بقدرتك عليَّ وافتقاري إليك، وخلصني من ذنوبي وآثامي حتى آتيك، يا ربي، وما عليَّ من ذنب أو خطأ أو خطيئة.

يا رب، ماذا أنت فاعل بي؟ أنت الكريم، وأنت الحليم، وأنت الغفور، وأنت الشكور، وأنت مجيب السائلين، وأنت الله رب العالمين.

د. فتحي مرعي

(الاكتئاب المستتر)

الحزن حالة من حالات الإنسان؛ فالحياة ليست فرحة دائمة، ولا بهجة مستمرة، لذا فإننا لا نستطيع أن نقول إن الحزن هو الاكتئاب، فالاكتئاب أعمق من ذلك بكثير، وله كثير من الأعراض والعلامات. وقد وضعت الجمعية الأمريكية للطب النفسي ثماني علامات للاكتئاب، هي: ضعف الشهية مع فقدان الوزن، أو فرط الشهية مع زيادة الوزن، والأرق أو الإفراط في النوم لساعات طويلة، والتهيج الحركي أو قلة الحركة، وفقدان الاهتمام بالأنشطة المعتادة، أو نقص الشهوة الجنسية، وفقدان الطاقة، والإحساس بالتعب، والإحساس بعدم القيمة والأهمية، أو لوم وتأنيب النفس، أو الإحساس بارتكاب ذنب أو معصية لا يمكن تحديدها، وتراجع القدرة على التفكير أو التركيز، وأفكار متكررة تراود المريض عن الموت أو الانتحار.

لكن هناك نوعًا من أنواع الاكتئاب لا تتوافر فيه كل هذه الأعراض والعلامات، يُطلق عليه: "الاكتئاب المستتر". يشكو فيه المريض من ألم مزمن لا يستجيب للمسكنات، وعند إجراء فحص إكلينيكي للمريض فإنه يكون سليمًا، وعندما تُجرى له أبحاث معملية فإنها تكون في الحدود الطبيعية. فالمريض يشكو من التعب المستمر، والإرهاق الدائم، والإحساس بالتوعك.

وهناك أمراض عضوية تؤدي إلى أعراض تتشابه مع الاكتئاب المستتر، مثل الأنيميا بأنواعها المختلفة، حيث التعب والإرهاق الذي لا يفارق المريض. ويحدث ذلك أيضًا في الأمراض المعدية، وأمراض الغدة الدرقية والجاردرقية، وأمراض الغدة الكظرية، والتصلب المتعدد، وأمراض المخ العضوية، والتجمع الدموي تحت الجافية، وسرطان البنكرياس. وهذه هي الحالات التي تبدأ بالاكتئاب أو تتشابه معه، ومن ثم يجب فحص جميع المصادر العضوية للاكتئاب قبل البدء في العلاج الدوائي المضاد له.

ويقول الدكتور توماس هاكت، أستاذ الطب النفسي بالمدرسة الطبية بهارفارد، إن هناك أدوية تؤدي إلى أعراض وعلامات الاكتئاب، مثل

عقار «ريزربين»، وهو أحد أوائل الأدوية التي سببت الاكتئاب، وعقار ميثيل دوبا، وهذان العقاران يسببان اكتئابًا شديدًا. وهناك أدوية مثل البروبرانولول، وحبوب منع الحمل، والكورتيزونات، والباربيتورات، والديازيبام، لها القدرة على إحداث الاكتئاب. وغالبًا تعتمد شدة أعراض الاكتئاب على جرعة الدواء، ويمكن الحد من هذه الأعراض بتقليل جرعة الدواء.

د. يحيى سنبل

طبيب نفسي

(مقام الرجاء)

إذا دلف العبد من مقام التوبة إلى مقام الخوف، بقي أمامه مقام الرجاء. والرجاء هو الأجنحة التي يطير بها العبد التائب إلى طاعة مولاه رب العالمين، وهذا يعني أن الرجاء عمل. ولهذا يقول الإمام الغزالي:

"ينبغي أن يُقاس رجاء العبد في المغفرة برجاء صاحب الزرع الذي شقي وعمل في حقله، ولا يصدق اسم الرجاء إلا على انتظار محبوب تحققت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد، ولم يبقَ إلا ما ليس يدخل تحت اختياره، وذلك فضل الله تعالى بصرف المفسدات وقبول العمل".

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها

إن السفينة لا تجري على اليبس

ومقام الرجاء يلي رجاء الخوف ويعلوه، والعمل على الرجاء أعلى منه على الخوف؛ لأن أقرب العباد إلى الله تعالى هو أحبهم لله تعالى.

قال الحق عز وجل: "والذين آمنوا أشد حبًّا لله".

والحب يغلب عليه الرجاء أكثر مما يغلب عليه الخوف أو الخشية. وقد قال تعالى: "لا تقنطوا من رحمة الله"، وهذا تحريم لأصل اليأس.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله في الحديث القدسي فيما يرويه عن ربه: "أنا عند ظن عبدي بي". وقال علي بن أبي طالب لرجل أخرجه الخوف إلى اليأس من رحمة الله لكثرة ذنوبه: (يا هذا، يأسك من رحمة الله ذنب أعظم من ذنوبك). وقد قال تعالى:

"قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعًا، إنه هو الغفور الرحيم".

وقال عز وجل: "وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم". والله سبحانه وتعالى يقول: "وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون".

إن الفلاح هو ثمرة التوبة، وهو فلاح يستدعينا أن نتحدث عن الآية السبعين من سورة الفرقان. تقول هذه الآية:

"إلا من تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات، وكان الله غفورًا رحيمًا".

يقول العلماء: إن هذه هي أرجى آية من آيات الرحمة في القرآن؛ لأن الله عز وجل لم يُبشِّر التائب المصلح بأن يمحو سيئاته القديمة فقط، وهذا كرم رائع، إنما وعده أن يبدلها حسنات، وليس بعد هذه الرحمة مقام.

أحمد بهجت

(الشاذلي.. الاعتدال والصلاح)

في كتابه (تحفة النُظّار في غرائب الأمصار) ذكر ابن بطوطة أن العارف بالله أبا الحسن الشاذلي كان يحج كل عام، فلما كان في آخر سنة له قبل وفاته، طلب من تلميذه وصديقه أبي العباس المرسي، قبل التوجه للحج، أن يصطحب فأسًا وفأسيةً وحنوطًا، مما يُجهَّز به الميت. فقال له: لماذا؟ قال: في حميثرة سوف ترى. فلما بلغ جبل حميثرة بصحراء عيذاب، جنوب غرب مرسى علم بالبحر الأحمر، حفر قبرًا، ثم اغتسل الشاذلي وصلى ركعتين، فقبض الله روحه في آخر سجدة، ودُفن هناك.

أبو الحسن الشاذلي أحد أكبر أقطاب التصوف الإسلامي. اعتدتُ في قريتي أبو شوشة بصعيد مصر أن أرى مواكب المريدين يتجمعون، قبل أيام من عيد الأضحى، في طريقهم لزيارة مسجده وضريحه، والاحتفال بذكرى مولده الذي يوافق يوم عرفة، والتبرك بالإقامة أيامًا بهذه البقعة الصحراوية. مواكب تترى من جميع أنحاء مصر وخارجها، يجري تجهيز سيارات النقل الثقيل لتصبح سرادقات متحركة، بداخلها وسائل الإعاشة، وعشرات المحبين يرددون:

«شاذلي يا أبو الحسن.. تعيش ونزورك سنوي ونولّع نورك سنوي،

ويا ساكن حميثرة فوقك قبة منوّرة..

ارِ العطاشى يا أبو الحسن..

بكاسات يا شاذلي معطّرة».

يرجع نسب الشاذلي إلى الإمام علي كرم الله وجهه. وُلد عام ٥٧١هـ ببلاد المغرب، ثم انتقل إلى تونس وهو دون العاشرة. تتلمذ على يد الإمام عبد السلام بن مشيش، واعتكف بجبل زغوان قرب شاذلة، ليبلغ مكانة عالية في العلم والتصوف، ثم رحل إلى الإسكندرية، وأقام في كوم الدكة مع نحو أربعين من تلاميذه، من بينهم أبو العباس المرسي. انتشرت طريقته في

مصر والعالم الإسلامي. الحب مفتاح طريقته، في مقابل طريق المجاهدة المعروف لدى عموم المتصوفة؛ فالحب جناح الطيران إلى حضرة الرحمن.

في طريقته جمع الشاذلي بين العلم والحال، أي الظاهر والباطن، الشريعة والحقيقة. كان عالمًا بدقائق العلوم الظاهرة من حديث وتفسير وفقه وأصول ونحو وتصريف ولغة، وحِكم وآداب. أما علوم المعرفة بالله تعالى، فهو قطب رحاها وشمس ضحاها. اشتملت طريقته على الجذب والعناية، واحتوت على الأدب والقرب والتسليم والرعاية، وتيامنت عن شطح يؤدي إلى تعدي الأدب، وتياسرت عن صحو يفضي إلى الحجاب عن أولي الألباب. ودلّت على حقائق التوحيد وأسرار المجاهدة، وتسامت عن انقباض يوقع في الانكماش وسوء الظن، ويحجب عن روح الرجاء ولذاذة الشوق، وتناءت عن انبساط ينزل صاحبه عن مقام الاحتشام والحياء. فاستوت عند نقطة الاعتدال. يقول:

«إذا عارض كشفك الكتابَ والسنةَ، فتمسّك بالكتاب والسنة، ودع الكشف، وقل لنفسك: إن الله ضمن لي العصمة بالكتاب والسنة».

انتشرت الطريقة الشاذلية في العالم، لاسيما في الغرب، لأنها طريقة تقوم على تحصيل العلوم والمعارف، بحسب الشيخ المحفوظ بن بيّه، الأمين العام لمنتدى أبو ظبي للسلم، لافتًا إلى أن العلامة الشيخ عبد الله بن بيّه، رئيس مجلس الإمارات للإفتاء ورئيس منتدى أبو ظبي للسلم، والذي يُعد أحد أبرز علماء الإسلام في زماننا هذا، يتبع الطريقة الشاذلية لذلك السبب.

قال مكين الدين الأسمر: "الناس يدعون إلى باب الله تعالى، وأبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يدخلهم على الله". وقال ابن دقيق العيد: "ما رأت أعرف بالله منه". ووصفه الدكتور عبد الحليم محمود بأنه القطب الأكبر، والعلم الأشهر، المشتهر في الدنيا قدرُه، لا يختلف في غوثيته اثنان. طريقه ترياق شافٍ لأدواء العباد، وذكره رحمة نازلة في كل ناد. سرى سره في الآفاق، قضى عمره في العبادة وقصده لانتفاع أهل السعادة.

كان الشاذلي منغمسًا بإيجابية في الشأن العام، أبلى بلاءً حسنًا في نهايات الدولة الأيوبية، هو وغيره من العلماء – على شاكلة العز بن عبد السلام، والأخميمي، وابن سراقة، والقشيري – في تعبئة الجماهير وإعدادهم لمواجهة الصليبيين والمغول، مثلما كان يحث الحكام على العدل والرشد، والبعد عن الظلم، لأنه سبب خراب البلاد ودمارها. كان يبغض الفساد والاستعلاء والتجبر على الناس، ويقول: "من لم يزدد بعلمه وعمله افتقارًا إلى ربه، وتواضعًا لخلقه، فهو هالك".

لذلك دعا إلى الأخذ بالأسباب لصلاح الدنيا والآخرة، ورفض لبس الخِرَق (جمع خرقة) أو التقشف المبالغ فيه كما يفعل بعض المتصوفة، بل طالب بالاعتدال في كل شيء. يقول: "أما اللباس اللين، وأكل الطعام الشهي، وشرب الماء البارد، فليس القصد إليه بالذي يوجب العتب من الله إذا كان معه الشكر لله. ولا تُسرف بترك الدنيا فتغشاك بظلمتها، أو تنحل أعضاؤك لها فترجع لمعانقتها، بعد الخروج منها بالهمة أو الفكرة أو الإرادة أو الحركة.. فاعرف الله وكن كيف شئت".

كان هذا العارف بالله كريمًا يكره البخل، مكافحًا يشتغل بالزراعة، ويحث على السعي في طلب الرزق، ولا يرضى لتلاميذه بالتعطل والسؤال، إيمانًا بأن الإسلام لا يرضى بالتواكل والكسل، وبأن يكون المرء عالة على غيره، يتكفف الناس سواء أعطوه أو منعوه. صارت حروف الشاذلي ألحانًا للذكر، وكلماته النورانية دستورًا في الطريق إلى الله، تعزف نشيد الروح، وتعبر بحار الألم، وتخط للمجتمعات طريق الصلاح والسلام، بعيدا عن الجور والارتكاس.

د. محمد حسين أبو الحسن

(بن بيه.. والجهاد الأكبر)

باتت إشكالية الجهاد إحدى علامات الربط الجائر بين الإسلام والعنف لدى بقية شعوب الأرض، برغم أن الغالبية الساحقة من أتباع الإسلام أبرياء من اجتراح العنف، لكن شرذمة من الحركات المتطرفة اختطفت الدين وشوّهت صورته، حرّفت مفاهيمه، وأخطرها الجهاد، كفّرت المجتمعات وشنت الحروب وارتكبت أبشع الآثام. أما الآخر فلم يكن – في أحيان كثيرة – مسالماً: فقد تعرض العرب والمسلمون لحملات كراهية وعدوان عسكري وحصار اقتصادي وإخضاع سياسي، وأُلصقت تهمة الإرهاب بالإسلام. وفي سابقة تاريخية، أن يُتهم دين بالإرهاب!

أصبح مفهوم «الجهاد في الإسلام» مصطلحًا ثقافيًا يخضع لتفسيرات أقرب إلى التلفيقات الأيديولوجية. جرى خلط مروع بين العنف والجهاد نتيجة الفهم المشوّش لفرضية الجهاد. لذا تحاول ثلة من العلماء والمفكرين ضبط المفاهيم لقطع الطريق على مروجي التكفير والعنف والإرهاب، ومن أبرز من تصدوا للمهمة العلامة الشيخ عبد الله بن بيه، رئيس مجلس الإمارات للإفتاء، ورئيس منتدى أبو ظبي للسلم.

إن تأويلات النصوص الدينية والأصول الفكرية بنى لغوية وأصولية وكلامية، لا تتم في الفراغ، بل تتأثر بالفضاء السياسي-الثقافي، مما يجعل الفهم المغلوط للمفاهيم هو البنية التحتية لتجذير ثقافة العنف بكل صورها: استباحة الدماء المعصومة، استحلال الأموال والديار بغير حق، كما نشرت الجماعات الجهادية الذبح والرعب – شعار داعش: "جئناكم بالذبح" – وألحقت أكبر الضرر بصورة الإسلام: الدين والأمة والحضارة والتاريخ. تهتم هذه الجماعات بالإمساك بقوة الدولة، لا تنوير المجتمع، وتضيق بالتعايش مع الآخر، فهي تفسر النصوص الدينية بطريقة معوّجة أو تنزلها على وقائع لا تنطبق عليها، نزعة قتالية تقوم على إعادة تأويل الإسلام في سياق سياسي مستجد، تمزج مفهومي العدو القريب والبعيد،

وتلوي أعناق النصوص ليصبح الجهاد إلزاميًا على جميع المسلمين، ما يؤجج العنف المسلّح تحت ستار الجهاد، ضد المسلم وغير المسلم.

لهذا، يفكك العلامة بن بيه مغاليق الجهاد، مبينًا أن تحريف مفهومه من أشنع الأخطاء في فهم الشريعة. وشدّد على أن الجهاد في سبيل الله ليس مرادفًا للقتال؛ فليس كل جهاد قتالًا، وليس كل قتال جهادًا. الجهاد في أصله وسيلة للسلم، لأنه اسم جامع لكل القربات إلى الله: بر الوالدين، إعمار المساجد، عمارة الأرض، مساعدة الضعفاء، الدفاع عن الوطن، وهكذا. هذا هو "الجهاد الأكبر" في الإسلام، إنه شجرة جذعها الحوار والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة لتوصيل حقيقة العقيدة إلى العقول، الإسلام دعوة ونداء، تحدّدًا موضوعيًا وتاريخيًا من خلال خطاب إلهي يتوجه إلى عقول قادرة وإرادات حرة، والدعاء والنداء لا يُفرضان على الناس فرضًا، ولا يُكره عليهما أحد،"فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر".

يوضح بن بيه أن «الجهاد التالي» لم يُشرع إلا للدفاع عن النفس والدين والوطن، وليس لإكراه الناس على الإيمان، وإعلان الجهاد القتالي كأداة دفاعية. ومباشرته محصورة بيد الحكام وولاة الأمر، وإلا كانت النتيجة سقوط المجتمع في الفوضى والدمار. فالقتال ليس سبيلًا للدعوة، ولم ولن يكون إحدى أدوات تحصيل اليقين والتصديق القلبي (الإيمان). القتال فعل سياسي لا ديني، حتى فتح مكة كان حرب تحرير سياسية، فلم يُفرض المسلمون الإيمان بدينهم على أهل مكة، وقد عبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك الموقف السامي قائلاً لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

والثابت في الإسلام أن العلة المبيحة لقتل الغير هي العدوان، وليس الكفر؛ فلا عدوان إلا على المعتدين الظالمين. فلم يكن القتال غاية للإسلام أو المسلمين (في المدينة المنورة)، وإنما كان سبيلًا لكسر الطوق الظالم عن المستضعفين الذين يئنون تحت ظلم المشركين. فلا حروب دينية في الإسلام، ومن ثم تعد آية "لا إكراه في الدين" إحدى قواعد الدين وركنًا من أركان سياسته.

يقاوم العلامة بن بيه التجهيل التضليلي فيما يخص مفهوم الجهاد، منبّهًا إلى أن الإسلام حرّم قتل النفس الإنسانية البريئة أيا كانت ديانتها. يقول الله سبحانه وتعالى: "من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا". وعندما يصنّف الإسلام هذا القتل بأنه جريمة ضد الإنسانية جمعاء، فإنه لا يحصر النفس الإنسانية بالمسلمين أو المؤمنين برسالات سماوية، بل يشمل الناس جميعًا.

وعندما يقول الإسلام بالكرامة الإنسانية، فإنه يعني أن الكرامة هي للذات الإنسانية، بصرف النظر عن الدين والمعتقد واللون والجنس والعنصر، سواء كان الإنسان مؤمنًا أو غير مؤمن. وذاك ما يجب على المسلم مراعاته والالتزام به كل الالتزام. تأسيسًا على أن أبسط تعريف للمسلم، على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم، هو: "من سلم الناس من لسانه ويده"، أي من أي من سلوكياته الضارة، قولًا أو فعلًا. بل إن الرسول نفسه عليه الصلاة والسلام تتحدد مهمته – بمنطق القرآن – بأنه مُذكّر بدين الله، وليس بمسيطر على القلوب. إن "تصويب المفاهيم" حجر الزاوية في فكر الإمام عبد الله بن بيه، لتنجلي حقيقة الإسلام دين الرحمة والعدل والموعظة الحسنة، لا الإكراه والقتال والقتل. فالقهر لا ينتج إيمانًا، بل نفاقًا، وهو ما يرفضه الإسلام. وما أحوج المسلمون والعالم لرؤى العلامة المجدد بن بيه.

د. محمد حسين أبو الحسن

(الوصية البليغة)

هذه وصية بليغة من كتاب «روضة العقلاء» نقلتها بتصرف، في زمنٍ عزّت فيه الوصايا، وقد كتبها الخطّاب بن المعلى المخزومي لابنه، فقال:

يا بُنيّ، عليك بتقوى الله وطاعته، وتجنّب محارمه، وإيّاك وهَزْرَ الكلام وكثرةَ المزاح، فإنّ ذلك يذهب البهاء ويوقع الشحناء. ألقِ صديقك وعدوّك بموجة الرضا، وكفَّ الأذى، وقلّل الكلام، وأفشِ السلام. وإن تكلّمت فاختصر، وليكن مجلسك هادئًا، وحديثك مقسومًا. وإذا وعدت فحقّق، وإذا حدّثت فاصدق، ولا تجهر بمنطقك كمنازع الأصم، ولا تُخافت به كتخافت الأخرس، وتخيّر محاسن القول بالحديث المقبول.

واعلم أنّ الجشع يدعو إلى الطمع، والتعفّف خُلُق كريم، ومن تعدّى القدر هوى، والصدق زين، والكذب شين. وتشبه بأهل العقل تكن منهم، وإيّاك وإخوان السوء، فإنهم يخونون من رافقهم، وقومُهم أعدى من الحرب.

يا بُنيّ، إن زوجة الرجل سكنه، فإذا أردت الزواج فاسأل عن أهل زوجك، فإن العروق الطيبة تُنبت الثمار الحلوة. جعلك الله، يا بُنيّ، ممن يقتدي بالهدى، ويأتمّ بالتقى، ويحبّ الرضى. والله خليفتي عليك، والمتولّي أمرك.

وأقول لكل أب: أيها الأب الكريم، ابنك فلذة كبدك، وأمانة في عنقك، وزينتك وذخرك في الدار الآخرة؛ إن يكن صالحًا فمثل ثواب عمله يكون لك. فينبغي أن تقوم عليه في أدبه، وتنظر في أَوَدِه، وتُلهمه حلمك، وتمنحه علمك حتى يقوى فكره؛ فكلّكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته. وخير ما ورث الرجالُ بنيهم أدبٌ صالح، وطيب ثناء، خيرٌ من الدنانير والأوراق في يوم شدة ورخاء.

محمد مدحت لطفي أرناؤوط

موجه عام سابق بالتعليم بالشرقية

(كتابات رمضانية.. بنت الشاطئ تستقبل "الهلال".. وداوود بركات يكشف سر "الصوم" هل هلاله! الصوم ولماذا نصوم؟)

وعلى رؤيته بدأ المسلمون في شتى أنحاء الأرض موسمهم الديني الكبير، ويلتقي الحاضر بالماضي عبر اثنتين وألف وأربعمائة دورة للسنة القمرية، من ليلة القدر، وتلتقي أمة القرآن من مشرقها إلى مغربها على تباعد الديار وثنائي الأقطار.

في غرة الشهر، يدور منذ سنوات نقاش حول شهود هلاله، وترتفع أصوات من هنا وهناك، تنكر أن نجري على سنة الرؤية شهودًا بالبصرة، وتدعو إلى الأخذ بعنصري الوسائل في ثبوت الرؤية: الرصد والحساب الفلكي. وتجد مثل هذه الأقوال من أبناء الجيل مسمعًا، من حيث لا يفهمون وجه الإصرار على شهود الهلال، ونحن ننتمي إلى زمان غير زمان الآباء والأجداد، وقد يعجبون لسذاجة الوسيلة التقليدية للرؤية البصرية عن اقتناع منهم بمجافاتها لروح العصر وتخلفها عن ثورة التكنولوجيا.

وفيما أعلم، ليس من حرج على المسلمين في أن يأخذوا بجديد الوسائل في ضبط مواقيت عبادتهم، إلا أن يحول دون ذلك صريح نص من الكتاب أو السنة. ونحن نقيم شعائر الصلاة على ضبط الساعة الآلية، وقد كان السلف يقيمونها على الظواهر الطبيعية لحركة الضوء والظل على مدى اليوم، ولا يزال تلاميذ المدرسة الإسلامية يتعلمون مواقيت الصلاة عليها:

ــ الصبح: من مطلع الفجر إلى شروق الشمس.

ــ الظهر: من ارتفاع الشمس في كبد السماء إلى أن يصير ظل كل شيء مثله.

ــ العصر: إلى غروب الشمس.

ــ المغرب: إلى مغيب الشفق الأحمر.

ـ العشاء: إلى بزوغ نور الفجر.

كذلك لا يتحرك المسلمون من شهود الهلال بغير الرؤية البصرية، فالمراصد الفلكية ليست جديدة علينا، كما يظن البعض ممن يجهلون تاريخ أمتهم. ففي ظلمات العصور الأوروبية الوسطى، كانت ربوع الإسلام عامرة بالمراصد، من المشرق الآسيوي في نيسابور وأصفهان إلى المغرب الأقصى في مراكش والأندلس ومصر، على رؤية الهلال شهودًا، مع يقين علمهم بأن الهلال يولد بالحساب الفلكي قبل أن يرى بالبصر، وهو ما لم يجهله الصحابة. ففي صحيح مسلم عن أبي البختري أنهم خرجوا للعمرة، فلما نزلوا ببطن نخلة تراءوا الهلال، فقال بعض القوم: "هو ابن ثلاث"، وقال بعض القوم: "هو ابن ليلتين"، ولقيهم ابن عباس فذكروا له ما اختلفوا فيه، فقال: "أي ليلة رأيتموه؟"، فحدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الهلال: "إن الله مدره للرؤية، فهو لليلة رأيتموه".

ومضت الأجيال على صريح نص الآية: "فمن شهد منكم الشهر فليصمه"، والحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام: "صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته".

ثم إن للقضية وجهًا آخر لا يتصل بالحرج الديني، بل يتعلق بهذا الهلال الذي اتخذته الأمة الإسلامية شعارًا لها مميزًا، وشعوب أمتنا قد فرقت بها السبل وتوزعت شتى المذاهب والنظم والأوضاع، ولم يبق لها من لواء جامع لشتاتها المبعثر سوى عقيدتها الدينية، ولا يهون على أمة أن تفرط في شعارها المميز، إذا ارتبط بعقيدتها التي هي وحدتها وسر بقائها.

ولست في الحق أدري، هل يتعلق تقدمنا العلمي وتفوقنا التكنولوجي بمجرد العدول عن شهود الرؤية إلى إثباته بالرصد والحساب الفلكي؟ لقد غزت أسواقنا وبيوتنا الأجهزة العصرية، فيما أغنت عنا شيئًا في هواننا على عالم اليوم، وفي العصر الوسيط حققت أمة الهلال الحضاري دون أن تفرط في لواء عقيدتها، أو تتخلف عن موكب شهود الرؤية لهذا الهلال الذي عرفته الدنيا شعارًا لها.

(إن في ذلك لعبرة لأولى الألباب)

الصوم في عرف سيدنا أو أستاذنا صاحب القاموس هو "ترك الأكل"، وعند اللغويين الذين يعشقون الشروح والإفاضة فيه هو "الإمساك عن الشيء والترك له". وأما عند أسيادنا الفقهاء فهو "ترك الطعام والشراب والنكاح". أما كلمة "صوم" عند الباحثين عن أصول اللغات، فمأخوذة عن "السنسكريتية" لأن الهنود هم أقدم الأمم في التعبد بالصوم، ومعناها في السنسكريتية "قهر الجوع"، وعنهم أخذ السريان والكلدان، وعن هؤلاء أخذ اللفظة العبريون والعرب، وكلهم إخوة بالوطن واللغة.

واتسعت هذه الكلمة عند جميع الأمم والشعوب، فقالوا في تفسير الآية: "إني نذرت للرحمن صوماً"، أي صمتًا، وقالوا إن الذي يعزز هذا التفسير الآية: "فلن أكلم اليوم إنسًا".

أما اللغة الغربية، فانظر عندهم تجد بلزاك الفرنسي وصفه بأنه دخل بعقله الثاقب إلى قلب المرأة فأخرج أصدق الصور عن ميولها وعواطفها، وانظر إليه يقل لك في وصف "العانس": مهما بالغت في إخفاء سرها، فإن شيئًا واحدًا يقطع عليها، وهو "الصوم عن الكلام"، والغرب تسمي الصامت صائمًا لإمساكه عن الكلام، وتسمي الصوم القيام بلا عمل حتى الريح إذا ركدت، قالوا: "صامت الريح".

الأديان في الإنسانية كثيرة، يدنو عددها على الألوف، منها الإلهية ومنها الوثنية، ولكن الناس جميعًا يصومون ويكادون يصومون لغرض واحد وغاية واحدة، إلا أصحاب مذهب واحد منهم، وهم عدد قليل في بلاد إيران والهند، بهم طائفة البارسي. هذه الطائفة إذا أرادت التقرب إلى إلهها كما يتقرب الناس جميعًا إلى ربهم بالصوم، أكثرت من الأكل وأصناف الطعام بحجة أن الأكل يقوي الجسم، وأن الجسم القوي تقوى

فيه الروح على مقاومة الأرواح الشريرة، ويقوى فيه العقل على قراءة الكتب المقدسة وعلى القيام بالأعمال الصالحة.

هذه هي الطائفة الوحيدة الشاذة عن الإنسانية كلها، لا يناقض مذهبها جميع المذاهب فقط، بل يناقض جميع المذاهب والأديان، لا سيما اليهود الذين يحرمون في صوم "أب" لذكرى هدم هيكلهم قراءة الكتاب المقدس، لأن قراءة الشرائع تدخل الطرب والسرور على النفوس، بحاجة إلى الحزن والبكاء على هدم هياكلهم وزوال ملكهم، ليجيب الله دعوتهم.

البارسي يخالفون أهل الأرض في ذلك لأن الدينيين عند الأمم القديمة وفي عصور التاريخ الأولى قالوا إن المراد من الصوم هو أن يعاقب الإنسان نفسه عما أغضب به الإله أو الآلهة، لأن غضب الآلهة يتطلب الانتقام، فإذا أحل الإنسان العقاب بنفسه دفع ذلك الغضب عنه، واستنزل بعد العفو والرحمة. وقال الأطباء يؤيدون كلام الدينيين أن الصوم واجب لصيانة الصحة، فهو كما قال بلزاك: "قوام الجسد والحارس من المرض"، ولم يهمل دعاة الاشتراكية كلمة "الصوم" من أحاديثهم، فقال أستاذهم برودهوم: "الضرائب على المزارع لا تقل ولا تنقص عن أن تشبه صوم المرضع يجف به لبنها".

أما فلاسفة الأخلاق فهم من أكبر دعاة الصوم، كرجال الدين، وغليك حجتهم وبرهانهم في هذا الباب: "إن الإنسان بحاجة إلى إرادة قوية، وإلى قوة أدبية في نفسه، حتى يستطيع التحكم بشهواته وميوله وبقوة طمعه وطلب منافعه، حتى إنه يعمى عن الشر إذا دفعه الطمع إلى حر المنافع. فلا مندوحة عن ترويض النفس على كبح جماحها، وأكبر ما يجمح إليه النفس هو المأكل والمشرب، فالصوم يروض الإنسان على جموح هذه الميول الغريزية، ويعلمه كيف يلجمها، فهو إذن أكبر معلم لضبط النفس، وضبط النفس أشد ما يحتاج إليه كل إنسان ليصلح بناء الهيئة الاجتماعية، لأن الإنسان في غريزته هو أضوى أنواع الحيوان، فهو شره لولا اللجام الأدبي يلجمه".

أقدم شريعة من شرائع الأمم نصت على الصوم والتقشف وأمرت بهما هي شريعة "ماني"، وقد صام... الذي يشبه "صوم العذراء"، فلا يأكلون اللحوم...

سواها، بل يكتفون بالخبز يبلعونه بالماء، ويحثون الرماد على رؤوسهم. ولما كثرت أعيادهم بعد ذلك جعلوا الصوم سنة في كل عيد من تلك الأعياد، بفارق كبير في المدة يتراوح بين ثلاثة أيام إلى ستة أسابيع. وعنهم نقل الإغريق واليهود والنصارى هذه السنن إلى أن جاء الإسلام فرفع الصوم إلى أعلى مراتب الدين.

الصوم عند الأمم كلها مختلف باختلاف أمزجتهم وأديانهم. فصوم اليهود لم يكن أمرًا دينيًا بحتًا، بل كان مرتبطًا بعادات وتقليعات اجتماعية محددة.

أما الإغريق فكانت نساؤهم يغالين بالصوم دون الرجال، فيجلسن إلى الأرض حزينات باكيات طوال يومين، وكان الكثير من شعوبهم وطوائفهم يصومون أيّامًا معدودة قبل الإقدام على محاربة أعدائهم. والمأثور عن كهنة جزيرة كريت أنهم كانوا ينذرون الصوم الدائم، فلا يأكلون لحماً ولا سمكًا ولا شيئًا مشويًا على النار طوال حياتهم. وهكذا كان براهمة الهندوسية، ويصوم الصينيون استدرارًا للمطر والفيضان، وسود إفريقيا استيفاءً للأسرار.

وأخذ النصارى الصوم تقليدًا لأن المسيح صام أربعين يومًا. وهذا هو صوم موسى وإيليا وداود، ثم زادوا على هذا الصوم صوم الأربعة، أي أربعة فصول السنة، فكانوا يصومون ثلاثة أيام في مفتتح كل فصل، ثم نقل هذا الصوم إلى ذكرى مقتل الشهداء، إذ كانوا يجتمعون على قبورهم للصلاة، ثم جاء صوم ذكرى الميلاد، وصوم ذكرى الرسل، وصوم ذكرى العذراء، وبلغت أيام الصوم في السنة عند الإغريق والقبط والشرقيين النصارى حوالي ١٣٠ يومًا موزعة على أيام الدورة الشمسية. وكان ذلك على مظاهر الحزن والبكاء لأن المسيح – كما جاء في الإنجيل – وبخ الكهنة والفريسيين الذين كانوا يريدون صومهم وتقشفهم "الرياء" فقط،

بقوله لهم: "أيها المراؤون"، وفي الحديث النبوي: "ليس في الصوم رياء".

قال الشاعر العربي في وصف المرء بصومه:

صلى وصـــــام لأمر كان يطلبه

فلما انقضى الأمر لا صلى ولا صام

قال أبو عبيدة في تفسير الحديث الشريف: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به. الله تبارك وتعالى خص الصوم بأنه له، وهو يجزي به، وإن أعمال البر كلها لله، وهو يجزي بها، لأن الصوم لا يُرى ابن آدم بلسانه ولا فعله، فتكتبه الملائكة، إنما هو في القلب، وإمساك عن حركة المطعم والمشرب.

والذي أختتم به هذه الكلمة للصائمين: جعل الله صومكم مباركًا، وأجاب دعاءكم بالخير والغبطة.

د. بنت الشاطئ

(هذا هو الإسلام تكريم الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم)

كذلك من وجوه تكريم الله – عز وجل – لنبيه محمد. صلى الله عليه وسلم أنه سبحانه أوجب على كل مسلم طاعة هذا النبي الكريم في كل ما أمر به، وفي كل ما نهى عنه.

ومن الآيات القرآنية التي أكدت ذلك قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا). (سورة النساء الآية ٥٩).

وطاعة الله وطاعة رسوله متلازمان، قال تعالي: (من يطع الرسول فقد أطاع الله).

ومعنى طاعتهما: التزام أوامرهما واجتناب نواهيهما.

والمراد بأُولي الأمر، على الأرجح، الحكام، وطاعتهم إنما تكون في غير معصية الله، فإذا أمروا بما يتنافى مع تعاليم الدين فلا سمع لهم على الأمة ولا طاعة.

وقوله سبحانه: (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر). بيان لما يجب على المؤمنين أن يفعلوه إذا ما حدث بينهم اختلاف في أمر من الأمور الدينية.

والمعنى: فأن تنازعتم واختلفتم أيها المؤمنون أنت وأولوا الأمر منكم في أمر من أمور الدين: (فردوه إلى الله والرسول)، أي فردوا ذلك الحكم أو الأمر الذي اختلفتم فيه إلى كتاب الله وإلى رسوله – صلى الله عليه وسلم – بأن تسألوه عنه في حياته، وترجعوا إلى سُنته بعد مماته.

وفي قوله تعالى: (فردوه إلى الله والرسول) دليل على أن سُنته – صلى الله عليه وسلم – يعمل بها ويمتثل ما فيها، ففي الحديث الصحيح قال:

صلى الله عليه وسلم، ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم.

وروى أبو داوود عن أبي رافع عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا ندري ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه".

وعن العرباض بن سارية أنه حضر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يخطب الناس وهو يقول أيحسب أحدكم متكئا على أريكته قد يظن أن الله لم يحرم شيئا إلا ما في هذا القرآن ألا وإني والله قد أمرت ووعظت ونهيت عن أشياء إنها لمثل القرآن.

واسم الإشارة في قوله: (ذلك خير وأحسن تأويلا) يعود إلى الرد على الكتاب والسنة وقوله (تأويلا) من آل هذا الأمر إلى كذا أرجع إليه، فيكون المعنى: ذلك الذي أمرتكم به من رد ما اختلفتم فيه إلى الكتاب والسُنة خير لكم وأحمد مغبة، وأجمل عاقبة.

وقد بين - سبحانه – في آية أخرى أن طاعة رسوله – صلى الله عليه وسلم – إنما هي طاعة له فقال: (من يطع الرسول فقد أطاع الله، ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا) (سورة النساء الآية ٨٠).

أي: من أطاعك يا محمد فقد أطاع الله، ومن أعرض عن طاعتك وعصى أمرك، فعلى نفسه يكون جانيا، لأننا ما أرسلناك على الناس حافظا ورقيبا لأعمالهم، وإنما أرسلناك مبلغا ومنذرا.

هذا والذي يتدبر القرآن الكريم يجد عشرات الآيات القرآنية، تأمر بطاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وتنهى عن معصيته. ومن هذه الآيات قوله تعالى: (أطيعوا الله والرسول، فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين)

(آل عمران: الآية ٣٢).

وقوله – سبحانه – (وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله إن الله شديد العقاب) (سورة الحشر: الآية ٧).

وقوله – عز وجل -: (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) (سورة النور: الآية ٥١).

وقوله تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) (سورة الأحزاب: الآية ٣٦).

أما الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في وجوب طاعته – صلى الله عليه وسلم – فهي كثيرة. وحسبك منها ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عيه وسلم قال: "كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى.

بقلم/ د. محمد سيد طنطاوي

شيخ الأزهر الشريف

(أسماء الله الحسنى)

من حين لآخر يخرج علينا من يريد أن يفرض فكره ورأيه في مسألة شرعية خطرت في باله، فعاش معها واستغرق فيها حتى رأى أنها الحق وحدها، وأن ما سواها باطل، وأن الأمة خفي عليها الأمر حتى خطر ببال هذا أو ذاك ذلك الرأي أو تلك الفكرة، والمصيبة ليست في التفكير ولا في الدفاع عن رأي يقتنع به صاحبه ويرى أن الأدلة تؤيده في ظنه، وإنما المصيبة الكبرى والبلية العظمى هي أنه يرى فكرته ورأيه هي الحق، وأن ما سواها هو الباطل، ويبدأ في التعالي ورفض كل الآراء من سواه، وينتقد في شعوره الداخلي إلى ما كان يذكره العلماء دائمًا في قولهم: والله أعلم.

والجانب السلبي في هذا التكبر العاصي يتمثل في إشغال بال الناس بقضايا تشكك عزائمهم في كل الثوابت، وتحول أمر الدين عندهم إلى محض ظن من ناحية، وإلى تشتيت الأفكار وانشغال القلب والعقل من ناحية أخرى، وإذا لم يكن من سلبية سوى هذا لكفى، وتزيد المعالجة الإعلامية التي تميل إلى الإثارة دون الإنارة الأمر تعقيدًا.

١- قال تعالى في سورة الأعراف:

"ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون" (١٨٠).

وقال تعالى: "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى" (الإسراء ١١٠)، وقال تعالى: "الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى" (طه ٨)، وقال سبحانه وتعالى: "هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى" (الحشر ٢٤).

وروى الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا،

من أحصاها دخل الجنة". وفي رواية أخرى عند البخاري ومسلم: "من حفظها". وفي رواية الترمذي، وهي: وسردها بدءًا من لفظ الجلالة الله وانتهاءً بالصبور.

وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم الجزء ٥/١٧: "اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه تعالى، وليس معناه أنه ليس له تعالى أسماء غير هذه التسعة والتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة، وله أسماء أخرى كثيرة"، ولهذا جاء في الحديث الآخر: "أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وذهاب همي وجلاء حزني"، أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه، وابن أبي شيبة في مصنفه، والطبراني في معجمه.

٢- وأسماء الله سبحانه وتعالى منها: ما هو أسماء جمال، ومنها أسماء جلال، ومنها أسماء كمال. فأسماء الكمال كالأول والآخر والمحيي والمميت والضار والنافع، وأسماء الجمال مثل الرحمن الرحيم والعفو الغفور، وأسماء الجلال كالمنتقم الجبار المتكبر.

وعند المعترض كيف يُسمى الله بالمميت والضار؟ يجيب عن ذلك أئمة الإسلام. يقول الإمام الألوسي في تفسيره لقوله تعالى في سورة الأعراف: "ولله الأسماء الحسنى"، من أسمائه تعالى ما لا يجوز إطلاقه على غيره سبحانه وتعالى، كـ"الله" و"الرحمن"، وما يجوز كالرحيم والكريم، ومنها ما يباح ذكره وحده كأكثرها، وما لا يتاح ذكره وحده كالمميت والضار، فلا يقال: يا مميت أو يا ضار، بل يقال: يا محيي يا مميت، يا نافع يا ضار.

وقال الإمام النسفي في تفسيره مجلد ٤٨/٢: من أسمائه سبحانه وتعالى ما يستحقه بحقائقه، كالحي قبل كل شيء، والباقي بعد كل شيء، والقادر على كل شيء، والعليم بكل شيء، والواجد الذي ليس كمثله شيء، ومنها

ما تستحسنه النفس لآثارها كالغفور والرحيم والشكور والحليم، ومنها ما يوجب الإجلال كالعظيم والجبار والمتكبر.

٣- قال فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف في كتابه "أسماء الله الحسنى" بشأن حكم الاجتهاد في هذه الأسماء: واعلم أن الأسماء الحسنى توقيفية، كما يشير إليه تخصيصها بعدد التسعة والتسعين. قال الخطيب الرازي في كتابه "لوامع البينات": مذهب أصحابنا أن الأسماء توقيفية، وهو اختيار حجة الإسلام الغزالي، ولذا لا يسمى الله عارفًا ولا لبيبًا ولا مدركًا، كما يسمى عالمًا، مع أنها مرادفة لغة للعلم الذي وصف الله به نفسه في القرآن.وقال العلامة الألوسي: "إن العلماء اتفقوا على جواز إطلاق الأسماء والصفات على الباري سبحانه وتعالى إذا ورد بها الإذن من الشارع، وعلى امتناعه إذا ورد المنع عنه، واختلفوا حيث لا إذن ولا منع، ولم يكن إطلاقه موهمًا نقصًا في حقه سبحانه وتعالى، بل كان مشعرًا بالمدح، فمنعه جمهور أهل الحق مطلقًا للخطر، واختار جمع من المتأخرين مذهب الجمهور، وأما موهم النقص فلا يجوز إطلاقه عليه سبحانه وتعالى بحال".

٤- ومن ذلك كله يتبين أن من يريد الضجيج حول الموروث المحفوظ للأمة إنما هو رأي يلزم به نفسه، ولا يحل له أن يشغل بال الأمة، وأن يلفتها عما هي فيه من المحن، ولقد أصدر مجمع البحوث الإسلامية بيانًا حول هذه القضية يؤكد ما ذكرناه، فعلى المجتهدين الجدد أن يتقوا الله سبحانه وتعالى في أمتهم، وينبغي على الناس أمام هذه الحالة أن يحفظوا أسماء الله الحسنى، وأن يعلموها أبناءهم.

د/محمد سيد طنطاوي...شيح الأزهر

(رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ)

هذا النص القرآني الكريم جاء في أواخر الربع الثالث من سورة "إبراهيم"، وهي سورة مكية، وآياتها اثنتان وخمسون (٥٢) بعد البسملة، وقد سُمِّيَت بهذا الاسم تكريمًا لأبي الأنبياء إبراهيم – عليه السلام – الذي جاء ذكره في الآيات (٣٥-٤١) من هذه السورة المباركة. ويدور المحور الرئيسي لسورة "إبراهيم" حول قضية العقيدة، شأنها في ذلك شأن كل السور المكية.

هذا وقد سبق لنا استعراض هذه السورة الكريمة، وما جاء فيها من ركائز العقيدة والإشارات العلمية، ونركز هنا على ومضات الإعجاز العلمي والتاريخي في الآيات (٣٥-٤١) منها، والتي جاء فيها على لسان عبد الله وخليله إبراهيم – عليه السلام – قول ربنا – تبارك وتعالى:

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ، رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ، رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ، رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ، رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) (إبراهيم: ٣٥-٤١).

من أوجه الإعجاز العلمي والتاريخي في هذه الآيات

أولًا: في قوله – تعالى –: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا) (إبراهيم: ٣٥).

إجابةً لهذا الدعاء جعل الله – تعالى – الحرم المكي بلدًا آمنًا، بمعنى أن كل من دخل إلى هذا الحرم صار آمنًا على نفسه، مطمئنًا على ماله، ولو كان مطلوبًا للثأر فلاذ بالحرم وكان من بقايا إجلال الناس لهذا المكان الذي حرّمه الله – تعالى – يوم خلق السماوات والأرض. أما اليوم فمن اقترف جرمًا فيه من جرائم الحدود أُقيم عليه الحد الشرعي.

والأمن في الحرم المكي ليس للإنسان فقط، بل هو أيضًا لجميع الكائنات من حيوان ونبات وجماد، فقد حرّم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يُعضد شوكه، أو أن يُقلع حشيشه، أو أن يُقطع شجره الفطري، أو أن يُنفَّر صيده، أو أن تُلتقط لقطته إلا لمن أراد أن يُعرِّف بها. وقد لاحظ المراقبون أن الحيوانات الضارية لا تصطرع مع بعضها البعض، ولا مع غيرها في الحرم المكي، بل تخالط من الحيوانات ما تعودت على افتراسه خارج حدود الحرم المكي، فإذا رأته في هذه البقعة المباركة لم تتعرض له بأذى.

ويروي لنا التاريخ أن كل جبار قصد الحرم المكي بسوء أهلكه الله – تعالى – ولم يمكنه من تحقيق هدفه، وذلك مثل ما حدث مع أصحاب الفيل.

وربنا – تبارك وتعالى – قد تعهد بحماية بيته العتيق وحرمه، فقال – عز من قائل –: (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) (الحج: ٢٥).

وتحقيقًا لهذا الوعد الإلهي فإن العقوبة تُعجَّل لكل من انتهك حرمة في الحرم المكي. وتأكيدا على حماية رب العالمين لهذا الحرم الشريف قال المصطفى – صلى الله عليه وسلم –: «الدجال يطوي الأرض كلها إلا مكة والمدينة». وقال – صلوات الله وسلامه عليه – في يوم فتح مكة: «لا تُغزى مكة بعد هذا اليوم أبدًا».

ومن الشواهد المادية على كرامة الحرم المكي توسطه اليابسة، وانتفاء الانحراف المغناطيسي على مسار خط طول مكة المكرمة، وحماية الله –

تعالى – له من كل من الهزات الأرضية المدمرة والثورات البركانية العنيفة، على الرغم من قربه من البحر الأحمر.

ثانيًا: في قوله – تعالى –: (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) (إبراهيم: ٣٥).

واستجابةً لهذه الدعوة من نبي الله إبراهيم – عليه السلام – فإن الله – تعالى – حفظه وحفظ بنيه من عبادة الأصنام، فكان منهم عدد كبير من الأنبياء الذين آمنوا بالتوحيد الخالص لله – تعالى – أمثال ساداتنا إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، ويوسف، وبقية الأنبياء، إلى خاتمهم أجمعين، سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد – صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين.

ثالثًا: في قوله – تعالى –: (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ) (إبراهيم: ٣٦).

ومن الثابت تاريخيًا أن البشرية بعد إيمانها بالتوحيد الخالص لعشرة قرون كاملة بين آدم ونوح – عليهما السلام – ظلت تتردد بين التوحيد والشرك، وبين الإيمان والكفر، من زمن نبي الله نوح – عليه السلام – وحتى اليوم، وسوف تظل كذلك إلى قيام الساعة، تحقيقًا لقول ربنا – تبارك وتعالى – على لسان عبده ونبيه إبراهيم: (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ).

رابعًا: في قوله – تعالى – على لسان عبده ونبيه إبراهيم – عليه السلام –: (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (إبراهيم: ٣٦).

في هذا النص الكريم تأكيد على أن عددًا من ذرية إبراهيم – عليه السلام – سوف يلتزم نهجه، وأن عددًا آخر لن يلتزم نهجه، وقد تحقق ذلك بالفعل. وفي النص أيضًا تأكيد أن من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه، كما أشار نبينا المصطفى – صلى الله عليه وسلم –، وهي حقيقة من حقائق الشرع الحنيف، لأن الله – تعالى – يفاضل بين عباده المكلفين على أساس من تقوى الله والعمل الصالح، وليس على أساس النسب، كما

يدعي اليهود بأنهم شعب الله المختار وأبناؤه وأحباؤه مهما كانت أعمالهم.

خامسًا: في قوله – تعالى – على لسان عبده ونبيه إبراهيم – عليه السلام –: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي) (إبراهيم: ٣٧).

فمن الدقة المطلقة في هذا النص القرآني الكريم ورود التعبير (من ذريتي)، لأن فرعًا واحدًا من ذريته هو الذي أُسكن عند بيت الله الحرام، وهو فرع سيدنا إسماعيل الذي خُتم ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد – صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أنبياء الله أجمعين.
سادسًا: في قوله – تعالى –: (بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) (إبراهيم: ٣٧).

ولم يقل: "بوادٍ غير ذي نبت"، لأن الزرع لا يتحقق إلا في الأماكن الآهلة بالسكان، الذين منهم من يستطيع القيام بالزراعة إذا توافرت شروطها. ولما لم يكن في الحرم المكي كله أي مقيم ساعة أن أمر نبي الله إبراهيم – عليه السلام – بوضع زوجه السيدة هاجر – عليها رضوان الله – ورضيعها إسماعيل – عليه السلام – عند قواعد البيت الحرام، فقد انتفت إمكانية وجود أية زراعة، ولم تنتف إمكانية وجود بعض النباتات الفطرية، لأن لفظة (نبات) كلمة عامة تشمل كل ما تنبته الأرض بالفطرة أو بالزراعة.

سابعًا: في قوله – تعالى –: (رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) (إبراهيم: ٣٧).

وهذا النص القرآني الكريم يمثل دعوة أطلقها نبي الله إبراهيم – عليه السلام – منذ نحو أربعة آلاف سنة، فاستجاب الله – تعالى – دعوته وتحققت، ولا تزال تتحقق إلى اليوم، وإلى ما شاء الله – سبحانه وتعالى –، فمن الثابت تاريخيًا أنه لم يكن هناك ساكن واحد في وادي مكة زمن بعثة نبي الله إبراهيم – عليه السلام –، واليوم وصل تعداد سكانه المقيمين قرابة مليون نسمة، ووصلت أعداد الحُجَّاج والمعتمرين إلى

عشرات الملايين في كل عام. ولا تزال قلوب مئات الملايين من المسلمين تهفو لزيارة مكة، سواء استطاعوا تحقيق ذلك أو لم يستطيعوا.

والتعبير القرآني: (... رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ...) أي تسرع الخطى إليهم شوقًا وتلهفًا ومحبةً وتوددًا، وهي بشرى انتشار السلام بين جميع أجناس الأرض، وهو ما تحقق بالفعل.

ثامنًا: في قوله تعالى: (... وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (إبراهيم: ٣٧).

هذا النص القرآني الكريم هو من بقية دعاء إبراهيم – عليه السلام – لمن أسكن من ذريته بوادي مكة، وقد استجاب الله – سبحانه وتعالى – لهذا الدعاء، فرزق أهل هذا الوادي غير ذي الزرع ثمارًا تُجبى إليه من كل أماكن الأرض، ليكون ذلك عونًا لهم على طاعة الله – تعالى – وعبادته، وعلى الاستمرار في رعاية بيته الحرام، وخدمة الحجاج إليه والمعتمرين به. وكانت هذه الثمار، ولا تزال، يؤتى بها من جميع بقاع الأرض إلى أهل مكة المكرمة، وإلى من جاورهم من أهل الجزيرة العربية.

تاسعًا: في قوله – تعالى –: (رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ، وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) (إبراهيم: ٣٨).

وفي ذلك تأكيد إحاطة علم الله – تعالى – بكل شيء، والعلوم المكتسبة تؤكد حتمية وجود مرجعية للكون في خارجه (لا يحدها أي من المكان أو الزمان، ولا يشكلها أي من المادة أو الطاقة)، وهذه المرجعية لوجودها خارج الكون فلا بد أن تكون محيطة بكل صغيرة وكبيرة من أمور الكون والكائنات جميعًا، ومنها الإنسان، الذي يعلم ربنا – تبارك وتعالى – ما يخفى كل فرد منا وما يعلن. كذلك تشير المعارف المكتسبة إلى أن نسبة المعروف من مادة الكون المنظور هي في حدود (٤.%) فقط، والباقي يُعرف باسم المادة الداكنة (الخفية). كذلك فإن نسبة المعروف من طاقة الكون لا تكاد تتعدى (٣,٧%) فقط.

عاشرًا: في قول إبراهيم – عليه السلام –: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) (إبراهيم: ٣٩).

وفي هذه الآية الكريمة إشارة إلى قدرة الله على إعطاء الذرية لمن يشاء، حتى في السن الطاعنة في الكبر، وهو ما حدث مع كل من أنبياء الله: إبراهيم، وزكريا، وأيوب (عليهم السلام)، ..... ممن استجاب الله – تعالى – دعاءهم، وهو – تعالى – سميع مجيب الدعوات.

حادي عشر: في قوله – تعالى – على لسان عبده ونبيه إبراهيم – عليه السلام –: (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ، رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) (إبراهيم: ٤٠-٤١).

وفي هاتين الآيتين الكريمتين إشارة مرة أخرى إلى أن نسل إبراهيم – عليه السلام – لن يكون كله مقيمًا للصلاة، ولذلك قال: (ومن ذريتي). وفيه أيضًا تذكرة بضرورة طلب المغفرة للوالدين وللمؤمنين باستمرار، خاصة في يوم الحساب.

هذه الوقائع لم يرد لها ذكر في كتب الأولين، وإن جاءت إشارات متناثرة في العهد القديم إلى "جبال باران" أو جبال "فاران"، وهي جبال مكة المكرمة التي وضع عندها نبي الله إبراهيم زوجه السيدة هاجر ورضيعها إسماعيل، كما جاءت إشارات مبهمة إلى بئر زمزم، لكن ورود الواقعة في القرآن الكريم بهذا التفصيل الدقيق يُعد إعجازًا تاريخيًا متفردًا، كما أن الدقة العلمية البالغة التي صيغت بها وقائعها تُعد من صميم الإعجاز العلمي في كتاب الله.

وهذا الإعجاز التاريخي والعلمي مما يشهد للقرآن الكريم بأنه كلام رب العالمين، الذي حفظ صفاءه الرباني وإشراقاته النورانية كما أوحاه ربنا – تبارك وتعالى – إلى خاتم أنبيائه ورسله – صلى الله عليه وسلم –، وتعهد بحفظه في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، فحُفظ على مدى تجاوز الأربعة عشر قرنًا دون أن يُضاف إليه أو يُحذف منه حرف واحد، وتعهد سبحانه وتعالى بحفظ القرآن الكريم تعهدًا مطلقًا، حتى يبقى هذا الكتاب

المجيد شاهدًا على الخلق أجمعين إلى ما شاء الله بأنه كلام رب العالمين، وشاهدًا للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة. فصلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(حوارات معاصرة.. التوجيه التشريعي لتعدد الزوجات)

تعدد الزوجات موضوع قديم ولكنه متجدد دائمًا، وما صادف موضوع من معارضة وتأويلات مثله. وأخيرًا باغتته حملة شديدة من كل الجوانب، ما بين معارض لحق الرجل المسلم القادر العادل بأن يجمع في عصمته عند الضرورة أكثر من زوجة بحد أقصى أربع زوجات، بحجة أن ذلك ليس حقًا مزاجيًا.

وما بين مؤيد لذلك حتى من النساء، فيقلن إن الله سبحانه أباح التعدد، وما أباحه الله جل وعلا وحلله فيه خير للبشرية، لقوله تعالى: (قل أحل لكم الطيبات... الآيات)، وما دام الحق قد أباح ذلك، فإن فيه الخير، علمناه أم لم نعلمه، أقررنا به أم لم نقره، لأن إنكار ذلك والسعي إلى تأويله أو دحضه هو عين الإعراض ورفض لمنهجه سبحانه وتعالى. وهناك حجج أخرى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها، هذا فقط داخل الأمة الإسلامية، أما عن خارجها فكلنا يعلم مدى مهاجمة الغير له وتأويلهم إياه بما يساء به إلينا.

وحتى لا يُساء إلى ديننا الحنيف في الداخل والخارج، وخاصة في هذا المنعطف الخطير الذي يمر به المسلمون، فلابد من تحديد التشريع الإسلامي الحنيف حين أقر التعدد وأجازه للرجل، إنما كان ذلك إذا دعت الدواعي وتوافرت الشروط، وأهمها أن تدعو إليه حاجة معتبرة شرعًا لدى الفرد أو المجتمع، وأساس ذلك هو "وجوب العدل بين الزوجات إذا تعددن، لأن الأصل في الزواج الواحدة لا أكثر من ذلك"، لقوله تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً...) (سورة النساء: آية ٣).

تى إن أحد علماء الأزهر الآن، وهو الدكتور حامد السايح، ذهب إلى رأي فريد في فهمه لهذه الآية الكريمة، فهي في اجتهاده تدل على عدم التعدد قط إلا للأرامل أمهات اليتامى فقط، دون غيرهن، حفاظًا على مصلحة

اليتيم، إلخ. وقد أحيل هذا الرأي إلى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف لدراسته ومدى اعتباره.

ويذهب جمهور الفقهاء والباحثين إلى أن التعدد من الأمور الجائزة شرعًا في ضوء الضوابط والمقاصد الشرعية، وذلك في قوله تعالى: (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) (النساء: ١٢٩).

وكما نعلم فإن الهدف من الزواج الشرعي هو إعفاف النفس وإنجاب الذرية وتبادل المودة والرحمة والقرار النفسي، كما قال الحق جل وعلا: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ...) (سورة النحل: ٧٢)، وقوله تعالى في موضع آخر: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ...) (سورة الروم: ٢١).

بعد الزواج قد تجد مفاجآت تفقد الحياة الزوجية ثمارها، لعيوب بالمرأة قد لا يحتملها الزوج. في هذه الحالة يجد المسلم مخرجًا بالزواج بأخرى مع بقاء الأولى أو عدم بقائها حسب رغبتها. وقد يتعرض المجتمع لظاهرة تزايد الإناث على الذكور تزايدًا فاحشًا، كما يحدث عقب الحروب مثلاً، أو قد يزيد عدد الإناث بزيادة مطردة عن الذكور كما في مصر الآن، مثلاً، أو يحتاج بلد للإنجاب لتوفير الأيدي العاملة والكوادر لتنفيذ خطط التنمية كما يحدث الآن في دول الخليج وغيرها، بدلًا من العمالة الأجنبية التي تريد القفز على هذه المجتمعات.

وأي فرد أو مجتمع يلجأ إلى هذا التوجيه التشريعي العظيم يقي نفسه من عدة آفات، منها:

ـ مكافأة الحرمان، وذلك إذا كثر عدد الإناث وقل عدد الذكور.

ـ محاربة الانحراف والرذيلة، واليأس من الزواج لأسباب كثيرة، أهمها الظروف الاقتصادية، وقد يؤدي ذلك إلى فساد اجتماعي. كما أن في ذلك صيانة للأخلاق.

أما عن مقولة إن في التعدد إهانة للمرأة المسلمة، فالعكس صحيح، لأن فيه تكريم للمرأة إذا دعت الضرورة لذلك، كما أن التعدد يحصل من جنسها. فمثلاً، لو زاد عدد الإناث على الذكور بنسبة ٤٠%، فالاقتصار على واحدة يعرضهن للحرمان واليأس والانحراف المزري.

وهب أن بلداً كمصرنا الآن مثلاً بلغت فيه نسبة العنوسة بين الشابات نسبة مخيفة تعد بالملايين، فأرى أن التعدد، خاصة من الشابات العانسات إذا رغبن في ذلك، من أنجح الحلول لخفض نسبة العنوسة، وذلك مع الضوابط التي أشرنا إليها آنفًا، هذا فضلاً عن عدم المغالاة في المهور وتكاليف الزواج وضرورة تيسيرها.

كما أنه ليس في مبدأ التعدد إسراف في المتعة، بل هو تسامٍ بها وتنسيق على وجه يدفع الفساد، خاصة أن التعدد كما ذكرنا لم يبحٍ بغير ضوابط وضمانات خلقية ومادية (كالحاجة إليه ووجوب العدل). ومع ذلك فإن التعدد، وحتى الآن، في المجتمع المسلم لا...

يتجاوز نسبة الـ٣% أو يزيد قليلاً، خاصة في الدول الإسلامية الفقيرة، كما أن التعدد ليس أنانية، بل يستفيد منه النساء أكثر من الرجال.

ويتبقى أن نعلم أن الخروج عن (التوجيه التشريعي العظيم)، والذي قننه العليم الخبير بأحوال العباد وما يصلحهم إلى يوم الدين وهو الله عز وجل، خطأ وظلم عظيم كبير، وأن الله سبحانه لم ينزل شريعته لتخضع لواقع الناس، بل ليخضع لها واقع الناس، لأن الشريعة الغراء هي الميزان (والحكم) العدل. وأن الخروج عن ذلك، كما يحدث في المجتمعات غير المسلمة، هو الفساد بعينه، من علاقات جنسية لم تخضع لضوابط أو معايير خلقية. بل إن هذه مسألة لها أوثق الصلة بالحرية الشخصية، التي أدت إلى المخادنة وزواج المثليات. إذ يكفي في وقوع ذلك توافق رغبتين

آثمتين، وما ذلك إلا لإشباع الرغبات؛ فالرجل يخادن من يشاء من النساء، والمرأة تخادن من تشاء من الرجال، حتى ولو كانوا متزوجين أو كن متزوجات. بل إننا نسمع الآن عن "تبادل الزوجات" – قمة الفسق والإفساد في الأرض – وللأسف فقد انتقلت العدوى إلى مجتمعاتنا الإسلامية باسم التحرر وعدم القدرة على الزواج، وإن كانت ما زالت في نطاق ضيق، إلا أن في ذلك هدمًا للمجتمعات.

والمهم أن كل ذلك يحدث نتيجة الخروج عن (التوجيه التشريعي السليم) في تطبيقه الحكيم، وفي نصوصه ومفهومه، والذي ترتب عليه الكثير من الآفات مثل:

ـ تفكك الأسرة.

ـ كثرة المواليد غير الشرعيين.

ـ تفشي الأمراض الخطيرة – والعياذ بالله... إلخ.

اقرأ معي أخي في الإنسانية قول الحق جل وعلا:

(وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكَ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)، إلى أن قال عز من قائل:

(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) صدق الله العظيم.

بقلم المستشار: البيومي محمد البيومي

نائب رئيس مجلس الدولة وأستاذ السياسة الشرعية

(البيوت الآمنة)

هذه بعض الوصايا لقلوب مطمئنة وبيوت آمنة وحياة سليمة:

ــ لا تجعل رصيدك من الإيمان صفرا.. فالقلوب المفلسة هي اليائسة.

ــ لن ينفعك أحد... لو سقطت من عين الله الأحد... فليكن همك نجاة نفسك عندما يكثر سقوط غيرك.

ــ لا يهولنك اشتداد الظلام.. فشمعة من النور تبدد ظلام الدور.. فكن شمعة دارك بدلا من أن تلعنك ظلامك.

ــ إذا لم تستطع في المحنة أن تكون نعيم بن مسعود الذكي أو أبو بصير القوي فكن صاحب القلب النقي.

ــ لا تحتقرن جهدا.. فصغار الحشرات أكلت عصا سليمان، والأرضة قضت على صحيفة قريش يوم حاصروا النبي وصحبه في الشِعب.. فابذل للدين ولو قليلا.. فعما قليل تصر القطرات بحرا.

ــ لا تجالسن القانطين اليائسين كثيرا.. فالقلوب أوانٍ مستطرقة.. ونحن أحوج ما نكون الآن إلى القلوب المشرقة.

"ولو شاء ربك ما فعلوه" فانشغل بمن يعود الأمر إليه.. عمن لا يملك النفَس الذي يخرج من رئتيه.

ــ اجعلوا بيوتكم عند المحن كبيت أبي بكر.. الرجل يبذل، والزوجة تعين، والولد يأتي بالخبر، والبنت تحمل الزاد إلى الغار، وأصغرهن تقوي ظهورهن بالدعاء.. ليتنا نعيد إلى البيوت النور.. فقد اصابها لفقدانه السأم والفتور.

محمد مدحت لطفي أرناؤوط

(صناعة المعروف)

المعروف هو فعل الخير وإسداءه للعباد، سواء كان هذا الخير مالاً كالصدقة والإطعام وسقاية الماء وسداد الديون، أو جَهَداً كما في الإصلاح بين المتخاصمين والشفعة وبذل الجاه، أو علماً، أو سائر المصالح التي يحتاجها الناس، كحسن المعاملة وإماطة الأذى وعيادة المرض. قال تعالى:

"لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس"

وأوضح الدكتور عادل هندي، مدرس مساعد بكلية الدعوة، أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا إلى صناعة المعروف والتزمها منهجًا في حياته. فقيل لعائشة: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وهو قاعد؟ فقالت: (نعم بعدما حطمه الناس) أي بكثرة حوائجهم.

وبيّن عليه الصلاة والسلام أن:

"على كل مسلم صدقة". فقالوا: يا نبي الله، فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق. قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف. قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة.

وقال أيضًا:

"إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه".

وإجمالاً، قال صلى الله عليه وسلم: "كل معروف صدقة". ومن المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك.

ولصناعة المعروف ثمار يانعة في كسب قلوب العباد، كالرجل الذي كان له مال عند أبي جهل، وأتى النبي له به منه، فعاد الرجل وقد اطمأنت نفسه برسول الله. كما أنه يكون سببًا في مغفرة الذنوب والنجاة من الهلاك، مثل البغي التي سقت كلبًا، فشكر الله لها فغفر لها.

وقال صلى الله عليه وسلم:

"إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وإن أول أهل الجنة دخولا أهل المعروف".

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس".

لذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم من يقصر في صناعة المعروف، قائلاً:

"ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم"، فذكر منهم رجل منع فضل ماء، فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداً.

(أفكار عابرة.. حياة أفضل!)

أخي الإنسان الطيب:

إليك بعض النصائح من واقع الحياة، حاول أن تستفيد منها للعيش في حياة أفضل، خاصة بعد سن الستين. ابتعد عن الوحدة، ولا تسمح للاكتئاب أن يسيطر عليك، وعِش حياتك بثلاثة أشياء: الطاقة، والحماس، والعاطفة. خصص وقتًا للغذاء الروحي (الصلاة وقراءة القرآن)، واقضِ بعض الوقت مع أشخاص أعمارهم تجاوزت الستين، وآخرين أعمارهم أقل من ٦ أعوام (الأحفاد).

أكثر من تناول الأغذية الطبيعية، واشرب كميات كبيرة من المياه يوميًا، ولا تجعل الأفكار السلبية تسيطر عليك، ووفر طاقتك للأمور الإيجابية. واعلم أن الحياة مدرسة، والمشاكل عبارة عن مسائل رياضية يمكن حلها.

ابتسم دائمًا، فالحياة قصيرة، فلا تقضيها في كره الآخرين، ولا تأخذ جميع أمورك بجدية. كن سلسًا وعقلانيًا، فليس من الضروري الفوز في جميع المناقشات والمجادلات. انسَ الماضي بسلبياته حتى لا يفسد مستقبلك، ولا تقارن حياتك بحياة غيرك، ولا شريك حياتك بالآخرين، فالوحيد المسؤول عن سعادتك هو أنت. سامح الجميع دون استثناء، وأحسن الظن بالله، فمهما كانت الأحوال جيدة أو سيئة، ثق بأنها ستتغير. وعملك لن يعتني بك في وقت مرضك، بل أصدقاؤك، لذلك اعتنِ بهم وحافظ عليهم ولا تفقدهم، فالصاحب الجدع رزق من الله، تجده أمامك وقت الشدة والضيق، يشاركك الفرحة والأمل.

أيضًا، تخلص من جميع الأشياء التي ليس لها منفعة، فالأفضل قادم لا محالة. ومهما كان شعورك فلا تضعف، بل تفاءل دائمًا، وانطلق في الحياة، وكن سعيدًا قدر المستطاع، وأعطِ كل يوم شيئًا مميزًا لمن حولك، فالحياة قصيرة.

نصر زغلول

(الغزالي.. المنقذ من الضلال)

تميز العصر العباسي الثالث بالإسراف في التفكير وجموح الخيال، فامتلأت الساحة بمئات الفرق والمذاهب والاتجاهات الفكرية، وأحس رجال الدين بالخطر، فارتدى البعض تاج القداسة ليفرق بين المؤمنين والمبتدعين، ومن رأى فيهم زنادقة كالفرابي وابن سينا. في هذا المحيط، برز أبو حامد الغزالي، فصاح مدوياً لاستعادة الدين بروحه الأولى، من خلال إحياء علوم الدين وتجديد روح الإيمان، وأقام صروحًا من الفلسفة الأخلاقية الدينية من أنقاض الأبنية الفكرية السائدة، حتى خلد اسمه بلقب "حجة الإسلام".

وُلد الغزالي عام ٤٥٠هـ في طوس بخراسان، وكان والده فقير اليد غني الروح، فارق الحياة وهو طفل، فتعهده أحد أصدقاء والده علمًا وخلقًا. نشأ شغوفًا بالمعرفة، فهاجر إلى جرجان ودرس العلوم الفلسفية والتقليدية، وأصبح لاحقًا كاتب الصوفية الأول، مؤمنًا بأن معارف الباطن طريق للهداية، لأنها صلة مباشرة بالحقائق الخالدة وأسرار النورانية، أساسها المحبة المتبادلة والإلهامات المشرقة.

فجأة انقطع الغزالي عن الدرس والإفتاء، ملازمًا الفراش دون سبب واضح، حار فيه الأطباء وقالوا إن حالته صعبة. لكنه نهض فجأة، وذهب إلى الحج معلنًا انقطاعه لعبادة الله، في رحلة لمعالجة صراعه الداخلي بين الإيمان والشك. فقد كان الغزالي شديد التأمل، يشك في كل علم درسَه، وفي مظاهر الحياة وغاياتها، ثم التمس الهداية عن طريق العقل والحواس. كتب ليقنع نفسه ويرضي شكوكه، فكان "المنقذ من الضلال" تأريخًا لمسيرة البحث عن اليقين، ومزيجًا من الشك والإيمان؛ فالشك طريقه إلى الحق، ومن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال.

اتخذ الغزالي من الشك معرجًا للعلم والإيمان، متقدمًا بذلك على أئمة الفلسفة الأوروبية مثل ديكارت وهيوم، إذ صار الشك أحد طرائق العلم المعاصر وسبيلاً للتجديد والابتكار.

حظي الغزالي بمكانة سامقة في العالم الإسلامي، متوجهاً إلى الله طالبًا النجدة واليقين والسلام، فاختبر رحيق الرضا، واعتبر الحب الإلهي غاية الحياة وسر سعادتها. وقال إن "الحياة محبة وعبادة"، مميزًا بذلك بين فلسفات المادية الغربية التي ركزت على القوة والإرادة فقط.

مع ذلك، ترك هجوم الغزالي على الفلسفة آثارًا جانبية؛ فقد حرم بعض علماء الدين البحوث العقلية واتهّم بعض الفلاسفة بالإلحاد. ولكن على الجانب المضيء، قرب الغزالي الفلسفة وبحوثها الدينية إلى عامة الناس، فأباح العلم للجميع، وأزال عن الفلسفة طابعها الأرستقراطي الغامض، واستفاد علماء الكلام والفقهاء من الفلسفة لتدعيم حججهم.

كان الغزالي رجل دين وفيلسوفًا للروح والقلب، مقوّمات معرفته لا تُوزن إلا بموازين الدين، وتراثه لا يقاس إلا بالأقيسة الروحية القلبية. ربط الأخلاق بالدين وجعلها روح الدين وغايته، ونظر إلى الحياة الدنيا وسيلة لا غاية، معطيًا الفضيلة والخلق الأسمى مكانة مركزية لتحقيق السعادة للإنسان والمجتمع.

بهذا، يظل الغزالي أكبر كاتب أخلاقي عرفه الفكر الإسلامي، وربما أحد أكبر كتّاب الأخلاق الدينية عالميًا، إذ قدّم نموذجًا فريدًا للجمع بين العقل والروح، وبين الدين والأخلاق، مع الحفاظ على ثبات المبادئ الروحية وسط تحديات الحياة.

.. د. محمد حسين أبو الحسن

(الإمام عبدالحليم محمود حقق المعادلة بنجاح..شيخ الأزهر..عالميا وسياسيا ومتصوفا)

ثلاثون عاما مضت على رحيله، ومائة على موله.. ومع ذلك فالمناسبة الزمنية ليست دافعنا فقط لأن نكتب عنه.. فإعادة قراءة العلماء المخلصين للوطن والعلم والدين يجوز أن تتم في كل حين.

وإذا كان جسد الإمام والشيخ الجليل عبدالحليم محمود قد فني، فمن المؤكد أن أفكاره وآثاره لا تزال باقية، تمنحنا إشارات لطريق "الإصلاح" باقية، وتحدد خطوات النجاح للأمة والأفراد، والأهم أنه يلقن كل المطالبين بفصل الدنيا عن الدين وحبس العلماء فوق المنابر أو داخل أسوار المساجد دروسا كثيرة.

اكتشفنا أنه كان شيخا للأزهر مؤازرا للجيش، ورافعا للروح المعنوية للمحاربين، ومتنبئا بنصر أكتوبر، ومشاركا في الكفاح من أجل القدس وفلسطين ومحاربا لفكر الشيوعية ومقاوما للانصهار في الحضارة الغربية، ومعينا للفقراء، ومدافعا عن الأزهر، والشريعة الإسلامية.

كما كان داعيا إلى الله وصوفيا أصيلا، وفقيها وعالما مستنيرا أشعر أننا كنا نحتاج إليه، وأظن أن رصيده يسمح بخدمة كل المسلمين.

الإصلاح يبدأ من الدين:

شغلته قضية الإصلاح. والموقف من الحضارة الغربية، كما شغلته قضية التطور والمناداة به حتى في الدين فماذا كانت آراؤه.

بداية رفض الشيخ عبدالحليم محمود الآراء الداعية لأخذ الحضارة الحديثة كلها، أو رفضها كلها، أو أخذ الصالح ورفض الطالح، ويقول في كتابه "منهج الإصلاح الإسلامي في المجتمع" إن أخذ الحضارة الغربية كاملة يعني أننا نتجاهل ديننا ومبادئه وقيمه، وإهمالها كلها أمر لم يستطع

أحد أن يحققه لا في الأفراد ولا الدول، أما الانتقاء منها فأمر سيتم الاختلاف حوله لتحديد ما هو الصالح وما هو الطالح!

وهنا نجده يذكرنا أن الحضارة الحديثة في جانبها المادي "المعامل والمصانع والكيمياء والطب"، اعتمدت بالنسبة للمنهج على الاستقراء أي تتبع الجزئيات للوصول إلى نتيجة كلية، وهو ما يعادل منهج السمع والبصر، أي المنهج الإسلامي الذي سار عليه الإسلام والمسلمون قبل نشأة الحضارة الأوروبية، فالسير وراء الملاحظة والتجربة هو منهج الإسلام، وقد اعترف الغربيون أنفسهم بذلك (ليس لروجو بيكون ولا لفرنسيس بيكون، الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي، فلم يكن روجر بيكون إلا رسولا من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوروبا المسيحية.

أما بالنسبة للموضوع فيقول بريفولت في كتابه "بناء الإنسانية" إن العلم الأوروبي مدين للعلم الإسلامي العربي، في كثير من موضوعاته فقد كان هناك الكندي في الرياضيات، وجابر بن حيان في الكيمياء، وبن سينا والرازي في الطب.

وموضوع الطبيعة وقوانينها واكتشافاتها ليست إلا – كما قال الشيخ محمد عبده – سنن الله الكونية، المطلوب من المسلم تتبع آياته في الأنفس وفي الآفاق، والخوض فيما أكد أنه سخره لنا من أرض وسماء وبحار وأنهار، فالإسلام يدعو لأن نكون في الجانب المادي أقوى ما نكون. فإذا كان المسلمون قد تأخروا في هذا الجانب فليس ذلك ذنب القرآن الكريم ولا ذنب الإسلام، وإنما هو ذنب تكاسلهم وخمولهم.

لذا. يكمل الشيخ عبدالحليم محمود. حينما نسير في الحضارة المادية مكتشفين ومخترعين فلا يصح أن يقال إننا أخذنا الحضارة الأوروبية، وإنما يقال: إننا تابعنا خطوات أسلافنا ولنتذكر أن الرقي المادي لا جنس له. وحول التطور" كان رحمه الله يراه فكرة ذات خطر على الجو الإسلامي. وكان يراها ملائمة للثقافة النظرية في أوروبا لأنها من صنع البشر فتكون نسبية وقابلة للتطور، أما الدين فلا يقبل بالتطور، العقيدة لا

تقبل التطور فالإيمان بالله ووحدانيته لا يختلف مع الزمان ولا المكان، والأخلاق الإسلامية أيضا لا تقبل الاختلاف مع البيئات أو الأزمان، أما التشريع فالبعض يعتقد أنه متطور، والحقيقة أن التشريع مبادئ ووسائل، قد يترك الإسلام بعض الوسائل غير محددة حسب البيئة أو الزمن، ولكن المبدأ واحد لا يتغير، فمثلا مبدأ الشورى لم يحدد وسيلته الإسلام، ولكنه أقره كمبدأ أساسي.

وبالنسبة للاجتهاد فهو ليس اختراعا أو تطورا وإنما هو محاولة جاهدة وكادحة، مستمرة للوصول إلى ما كان عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم – لو كان موجودا، ويستشهد بقاعدة "إذا صح الحديث فهو مذهبي" كتأييد لرأيه.

وكان الإمام يرى تحقق الإصلاح في المجتمع بتحقق الإصلاح في شخصية المسلم ذاته ويضع لذلك منهجا يعتمد على العلم والتعلم والعبادة.

مواقف جريئة جدا:

المواقف الجريئة والشجاعة أكثر ما تكون مطلوبة من علماء الدين الذين يحملون رايته، ويتولون مناصبه. ولدينا العديد من تلك المواقف للإمام عبدالحليم محمود يذكرنا لنا الدكتور عبدالغني عبدالحميد الذي ألّف كتابا بعنوان "الإمام النوراني الزاهد".

وقف إلى جانب الطيارين في شركة مصر للطيران حين رفضوا حمل الخمور على طائرات الشركة، وانتصروا لموقفهم بسبب فتواه "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق".

تصدى للوجودية والشيوعية والإلحاد. كما رفض الفلسفة المادية والحضارة الغربية وإن لم يرفض التقدم العلمي الغربي.

الشريعة على المذاهب الأربعة:

- طالب بتطبيق الشريعة الإسلامية وعمل على تقييمها على المذاهب الأربعة. وأخرجها مطبوعة في كتب.

- لم يحارب التيارات الإسلامية حتى المعادية للتصوف الذي يتخذه منهجا وسلوكا. وتوسع في نشر الكتب الإسلامية بأسعار زهيدة ولجميع التيارات.

- أدخل البنات في التعليم الجامعي الأزهري بعد أن ظل الأزهر يغلق أبوابه طوال قرون أمام المرأة، ولكنه جعل تعليم البنات منفصلا عن تعليم البنين.

- حافظ على الرسم العثماني في المصحف الشريف وتصدى لمحاولات التحريف والتصحيف.

- رفض الحوار الإسلامي – المسيحي إلا بعد اعتراف الكنيسة بأن الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – خاتم الرسل، وأن الإسلام منزل من الله للعالم أجمع.

- رفض التصديق على أحكام الإعدام الصادرة ضد الجماعة الإسلامية، والتكفير والهجرة وغيرهما وطالب بمحاكمة مدنية بدلا من العسكرية، وبالفعل أعيدت محاكمتهم وتخفيف حكم الإعدام.

- رفض كل قانون يمس شرع الله ومنه تقييد الطلاق، وتقييد تعدد الزوجات.

- أعلن عن الجهاد المقدس لاسترداد القدس من أيدي اليهود.

- شارك في الإعداد لحرب أكتوبر، وتحديد ساعة الصفر التي انطلق فيها الجنود المصريون يعبرون القناة، كما زار الجبهة والجرحى في المستشفيات أثناء الحرب وبعدها.

شيخ الأزهر.. رئيس وزراء:

- رفض أن يكون شيخ الأزهر مرؤوسا وتابعا لوزير الأزهر، وقدم استقالته فاضطرت الحكومة لتصحيح الموقف وساوت بين شيخ الأزهر ورئيس الوزراء.

- دفع بعناصر إسلامية مميزة لكي ترشح نفسها في المجالس النيابية للمشاركة في الحياة السياسية، ومن هؤلاء كان الشيخ صلاح أبو إسماعيل عضو مجلس الشعب الذي كان صوتا إسلاميا قويا في الدفاع عن الشريعة الإسلامية.

- نجح في اختراق قرار منع الشيخ محمد الغزالي من الخطابة في المساجد، وصلى وراءه الجمعة في جامع عمرو بن العاص الذي كان مهجورا ومهملا.

رؤيا الرسول وكرامات النور:

عندما تكون "الخلوة" صادرة عن نفس مطمئنة، وقلب مفعم بالحب الإلهي، وعقل يمتلئ إيمانا واستسلاما فلابد أن تكون مصحوبة بالفيوضات والكرامات.

يقول الدكتور منيع عبدالحليم محمود إن الصلاة والإبكار كانت تشغل ليل والده حتى صلاة الفجر. وكان يعطي اهتماما خاصا لأوراد الصلاة على الرسول – صلى الله عليه وسلم – ويكثر منها في أحوال الدعاء والاضطرار إلى الله سبحانه وتعالى فيردد صيغ الصلوات التي ذكرها الصالحون. أو يقول صيغة أُلهم كلماتها وهي "اللهم صل صلاة جلال وسلم سلام جمال على حضرة حبيبك سيدنا محمد، واغشاه اللهم بنورك كما غشيته سحابة التجليات. فنظر إلى وجهك الكريم، وبحقيقة الحقائق كلم مولاه العظيم، الذي أعاذه من كل سوء. اللهم فرِج كربي كما وعدت أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء – وعلى آله وصحبه وسلم. آمين. وكان رحمه الله يمر فعلا بكرب شديد، وبينما هو مستغرق في إعادة الصياغة السابقة مرات ومرات فإذا بحروفها تتلألأ أمامه نورا ساطعا على الورقة المكتوبة بها فعلم أن الفرج قريب، وهذا ما تحقق بالفعل ويكمل الدكتور منيع. كان والدي يرى الرسول – صلى الله عليه وسلم – في رؤى كثيرة منها الرؤيا التي كانت بشارة بالنصر على إسرائيل في حرب ٧٣، إذ رأى أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعبر القناة ومعه بعض صحابته مع الجيش المصري، فسارع من شدة

فرحه بإبلاغ الرئيس السادات بها. ثم أذاعها في خطبة الجمعة بالجامع الأزهر الشريف.

السادات ينعيه: "كان قويا وجريئا":

بالرغم من أن الشيخ عبدالحليم محمود كان كثير المعارضة للرئيس الراحل محمد أنور السادات لدرجة أنه أشهر في وجهه سلاح الاستقالة من منصب شيخ الأزهر مرتين، الأولى: عندما صدرت قرارات رئاسية تمس كيان الأزهر وتقيد اختصاصات شيخه، والثانية: حين رفض قانونا للأحوال الشخصية يقيد تعدد الزوجات. ويقيد الطلاق، ولم يتراجع الإمام إلا بعد تراجع الدولة، إلا أن الرئيس السادات تأثر لوفاته وعبّر عن ذلك بكلمات سجلها التاريخ كبرقية عزاء قال فيها "وإني لاذكر بكل تقدير وإجلال لفقيد مصر والأمة العربية والإسلامية، جهاده في سبيل الإسلام.. فما وهن ضد ظلم، بل كان قويا جريئا مدافعا عن الإيمان والمُثل العليا، ويذكر الأجيال بماضي الأمة العربية والإسلامية المجيد وحاضرها المشرق في ظل إيمان قوي ومنهج سليم، وضرب مثلا قويا في الصبر والتضحية.

التصوف بالكتاب والسُنة:

"التصوف الإسلامي" كان شغل الإمام الشاغل فاختاره أولا موضوعا لرسالة الدكتوراة التي حصل عليها بمرتبة الشرف الأولى من جامعة السوربون بفرنسا والتي قضت بطبع الرسالة على نفقتها الخاصة تقديرا لروعتها والجهد المبذول فيها ولكن ماذا عن باقي علاقته بالتصوف؟

الدكتور بكر إسماعيل يقول ختم الإمام حياته بالتصوف وكتب فيه الكثير من المؤلفات تناول فيها قضايا التصوف والمدارس الصوفية وكان يرى أن الطريق الموصل للحق هو السير على أثر أقدام الروحانيين الذين وصلوا بالعبادة والزهد والمعرفة إلى اليقين.

الكفاح بسلاح الاستقالة:

استغل مناصبه لانتزاع الحقوق وخدمة الدعوة والإسلام، فبمجرد أن تم تعيين الشيخ عبدالحليم محمود عميدا لكلية أصول الدين في عام ١٩٦٤. قام بإصدار قرار بإلزام الطلبة بحفظ القرآن الكريم ووضع خطة جديدة للدراسة ترتقي بمستوى الكلية وتؤهلها لأن جامعة إسلامية، وفي عام ١٩٦٨. عندما عين أمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية بحث عن توصيات مؤتمرات المجمع السابقة، والتي لم تتخذ ليعمل على تنفيذها ومنها طبع مصحف الأزهر الشريف، وتقنين الشريعة الإسلامية على المذاهب الأربعة، كما أنشأ مكتبة أزهرية كبرى بجوار الأزهر.

أما عندما تم اختياره ليكون وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر فقد قام بالآتي ضم ألفا وستمائة مسجدا كانت أهلية وشبه معطلة، وعين لكل مسجد إماما ومؤذنا وقارئا وعمالا، كما أنشأ عدا كبيرا من المساجد واهتم بتجديد المساجد التاريخية ووضع منهجا لحفظ القرآن الكريم في جميع قرى مصر ومدتها لطلبة المعاهد والمدارس والجامعات وطالب برد أوقاف الوزارة من الإصلاح الزراعي فنجح في ذلك وأنشأ هيئة كبرى لإدارة هذه الأوقاف وأنشأ مساجد الوزارة فصولا للتقوية في العلوم ينتفع بها طلبة المرحلتين الإعدادية والثانوية.

أما الكفاح الأكبر فكان بمجرد توليه منصب شيخ الأزهر في عام ١٩٧٣، إذ حارب من أجل استرداد مكانة الأزهر، وصلاحيات شيخ الأزهر، وكان قد تم تهميشها بعد صدور القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ فراح يطالب بهدوء وإلحاح لإعادة المشيخة لوضعها الطبيعي بعد أن أصبحت في يد وزير شئون الأزهر، ولما لم يجد استجابة قدم استقالته، فأعاد المسئولون الاختصاصات وطلبوا منه العودة إلى منصبه فعاد.

أقواله ونصائحه

- إن الفقه الإسلامي قانون الحياة بالنسبة للمسلم.

- جميع التكاليف الدينية سواء كانت أوامر أو نواهي، تتجه بالمسلم إلى شهادة التوحيد.

- إن هذه الأمة بالغة ما اراده الله لها إذا كان لعلمائها رأي فيما يعرض لهم من أمور الحياة.

- لابد من العمل على نشر السُنة وإذاعتها ومحاولة الإكثار من النفوس التي تتشربها وتحققها وتتمثلها وتحياها.

- متابعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – شرط جوهري في التصوف.

- الإسلام يدعو المسلمين إلى أن يكونوا أقوى دولة في العالم. فإذا ما ضعفوا كانوا آثمين ومقصرين.

- المسلم يجب أن يفخر حقيقة بدينه وبنظمه وبرسوله وبأمته.

- وجود الله لا ينبغي أن يوضع موضع البحث، فالدليل على الله هو الله.

- مازالت "لا إله إلا الله" وستظل تفيض بالنور والقوة على كل من آمن بها فردا أو جماعة.

- الاجتهاد في الإسلام أن يحاول المجتهد ما استطاع أن يربط بين حادثة جديدة، وبين قاعدة إسلامية موجودة.

- الاجتهاد ليس اختراعا أو ابتداعا وإنما هو محاولة "كادحة" للوصول إلى ما كان عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم – لو كان الرسول موجودا.

- شخصية المسلم لا تتحقق دون عنصر العبادة.

- ماذا فعل المسلمون من أجل الإسلام؟ لا شيء.

- التليفزيون من أكبر الأدوات في مجال إصلاح الأخلاق أو إفسادها.

- ليس مثل القرآن الكريم مؤثر في إصلاح المجتمع.

- الصلاة هي انفصال عن كل ما سوى الله من أجل الاتصال بالله.

- الإسلام بريء من المبادئ الخيالية أو المستحيلة التحقيق.. لقد تحقق الإسلام في أشخاص وتحقق في مجتمع.

- باب "الفيوضات الإلهية" مفتوح على مصراعيه، والقرب منه ميسور، وإذا سجد الإنسان لله رفعه الله إليه. قربه منه، وغمره برضوانه.

القرآن الكريم في الكونجرس الأمريكي

آيات القرآن الكريم تملأ أرجاء الكونجرس الأمريكي، وحالة من الانصات وحبس الأنفاس تسيطر على أعضائه وهم يستمعون لصوت الشيخ الحصري استعدادا لسماع شيخ الأزهر الدكتور عبدالحليم محمود.. فما هي قصة هذا الحدث؟

الدكتور منيع عبدالحليم الأستاذ بجامعة الأزهر وهو ابن الإمام عبدالحليم محمود رحمه الله يقول: تلقى الدكتور عبدالحليم دعوة من تجمعات المسلمين بكاليفورنيا، فسافر إلى هناك، وكان أول شيخ يسافر إلى أمريكا ويدخل البيت الأبيض ويلتقي بالرئيس الأمريكي جيمي كارتر في حوار مطول تناول خطر الشيوعية، ودور الإمام في التصدي للمد الشيوعي والذي طالب أمريكا بتقديم مساعدات للدول النامية لتتمكن من مواجهة الفكر الشيوعي.

وكان من المقرر أن يلقي محاضرة أمام أعضاء الكونجرس الأمريكي.. فقام الشيخ الحصري وكان مرافقا له وبدأ في تلاوة القرآن الكريم لمدة نصف ساعة وسط إعجاب وانبهار الحاضرين وبعدها جاءت المحاضرة حول الإسلام ورسالته الداعية للنهوض بالأمم والشعوب.. وأيضا العلاقة بالآخر كيف تكون؟

أما الحدث التالي فكان داخل مقر الأمم المتحدة حيث كان الشيخ عبدالحليم على موعد مع كورت فالدهايم الأمين العام وأثناء حفل الاستقبال المعد له، حان آذان الظهر فأذن الشيخ الحصري، وصلى شيخ الأزهر بالمسلمين إماما، وطالب بتخصيص مصلى للمسلمين، وفعلا تم عمل مسجد بمبنى الأمم المتحدة.

أما زيارته للدول الإسلامية، فكان رئيس الجمهورية يستقبله عند سلم الطائرة، رغم أن ذلك يعد خرقا لنظام البروتوكول الرئاسي، وكان من هؤلاء الرؤساء الجنرال ضياء الحق، الذي قال: إن الأزهر في العالم كله أزهر واحد، وفي العالم الواسع لا يوجد سوى إمام واحد هو الإمام عبدالحليم محمود.

تحقيق/ علاء مصطفى عامر

(الإمام الطبري)

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، وكنيته أبي جعفر، من كبار أئمة أهل السنة والجماعة، مؤرخ ومُفسر وفقيه مسلم، صاحب أكبر كتابين في التفسير والتاريخ، ويعتبر من أكثر علماء الإسلام تأليفًا وتصنيفًا، ولقبه إمام المؤرخين وإمام المفسرين.

وُلد سنة ٢٢٤هـ - ٨٣٩م بآمُل عاصية إقليم طبرستان بإيران، ووجهه والده منذ الطفولة إلى حفظ القرآن الكريم، وظهرت عليه في طفولته سمات النبوغ الفكري. قال الطبري عن نفسه: "حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا في التاسعة"، لما حصل الطبري على مبادئ العلوم في بلده وسمع من شيوخها، رحل إلى بغداد والبصرة والكوفة لملاقاة شيوخها واستكمال دراسته، ممنيا نفسه لقاء الإمام أحمد بن حنبل، ولكن قبل وصله إليها بقليل بلغه نبأ وفاته.

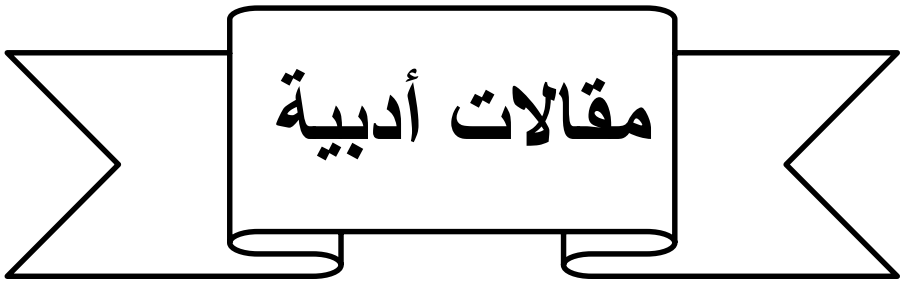
وكان الطبري على جانب كبير من الورع والزهد والحذر من الحرام، والبُعد عن مواطن الشُبه، واجتناب محارم الله تعالى، والخوف منه، وكان من كبار الصالحين، وكان يمتنع عن قبول عطايا الملوك والحكام والأمراء. ترك الطبري ثروة علمية تدل على غزارة علمه، ومن هذه المؤلفات: جامع البيان في تأويل القرآن، المعروف بتفسير الطبري، و"تاريخ الأُمم والملوك" المعروف بتاريخ الطبري، وعشرات من المؤلفات الأخرى. وقال عنه الإمام الذهبي: "الإمام الجليل، المفسر أبو جعفر، صاحب التصانيف الباهرة، من كبار أئمة الإسلام المعتمدين. له كتاب التفسير، ولم يصنف أحد مثله".

وقد حضر مجالسه العديد من أشهر علماء عصره والذين تتلمذوا على يده، ولكنه تعرض لمحنة شديدة في أواخر حياته بسبب العصب المذهبي، فلقد وقعت ضغائن ومشاحنات بين الطبري ورأس الحنابلة في بغداد أبوبكر بن داوود، أفضت إلى اضطهاد الحنابلة لابن جرير، وكان المذهب الحنبلي في هذه الفترة هو المسيطر على العراق عامة وبغداد خاصة،

وتعصب العوام على ابن جرير ورموه بالتشيّع، وغالوا في ذلك حتى منعوا الناس من الاجتماع به، وظل ابن جرير محاصرًا في بيته حتى توفي في بغداد عام ٣١٠ هـ الموافق ٩٢٣ م عن ستة وثمانين عامًا في عصر الخليفة العباسي المقتدر بالله، بعد أن ترك تراثًا خالداً.

د. محمد رضا عوض

أستاذ بطب الأزهر


مقالات أدبية

(بعد ستين عامًا ما زالت "أرض النفاق".. أجمل ما كتب يوسف السباعي)

قال عنه مرسي سعد الدين: السباعي لم يكن مجرد كاتب رومانسي، بل كانت له رؤية سياسية واجتماعية في رصده لأحداث مصر.

قدّم ٢٢ مجموعة قصصية، وأصدر ١٦ رواية، آخرها العمر لحظة عام ١٩٧٢، كما نال جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧٣، وعددًا كبيرًا من الأوسمة.

ومن أشهر أعماله السقا مات، ورد قلبي، وبين الأطلال، وفداكِ يا ليلى، ونادية. وقد اخترت من بين هذه الأعمال رواية "أرض النفاق" لأنها تتناول بالنقد الساخر الأوضاع الاجتماعية التي كانت سائدة في نهاية الأربعينيات، وكثير من النقاد اعتبروها مبشِّرة بقيام ثورة يوليو، حيث صدرت أول مرة عام ١٩٤٩، ومنذ ذلك الوقت وهي تمثل أفضل ما كتبه يوسف السباعي.

أرض النفاق هي الرواية الوحيدة التي أهداها يوسف السباعي لنفسه، ومن أكثر الروايات المحببة لديه، فيقول في الإهداء:

"إلى خير من استحق الإهداء، إلى أحب الناس إلى نفسي، وأقربهم إلى قلبي، إلى يوسف السباعي. ولو قلت غير هذا لكنت شيخ المنافقين من أرض النفاق."

ويقول السباعي عن روايته:

"أهو الغرور الذي دفعني لكي أهدي كتابي إلى نفسي؟ أم هي الأنانية؟ لا أكذبكم القول.. إنني – ككل إنسان – أناني مغرور.

ولكني أؤكد لكم أن هذا لم يكن الدافع إلى هذا الإهداء الجريء، وأسميه جريئًا؛ لأنه بلا شك جرأة مني، وأنا المنافق الذي طالما بدوت أمام الناس

متواضعًا، منكرًا لذاته، أن أفضح نفسي فأخصها دون بقية خلق الله بإهداء الكتاب، وأتهمها علنًا بأنها أحب الناس إلي!

ــ ما الذي دفعني إلى هذه المغامرة؟

لِمَ لمْ أهدِ الكتاب إلى عزيز لدي؟ والأعزاء كثيرون في أرض النفاق، فأوفّر على نفسي ما قد يوجه إليّ من لوم وسخرية؟

دفعني إليهما أمران: أولهما أني لا أود أن أكون كما قُتل في الإهداء أول المنافقين في أرض النفاق، وأني لا أرغب في أن أُتهم بأني أنهى عن خلق وآتي مثله، أو أني آمر الناس بالبر وأنسى نفسي، فأبدو على حقيقتي أنانيًا مغرورًا.

وثانيهما أني أود أن أكرم نفسي وهي على قيد الحياة، فأشد ما أخشاه ألا يكرمني الناس إلا بعد الوفاة. ونحن شعب يحب الموتى، ولا يرى مزايا الأحياء حتى يستقروا في باطن الأرض.

إني أريد كل شيء، أريد ما بالدنيا وأنا في الدنيا. أما الخلود والذكرى والتاريخ، فما حاجتي لها وأنا عظام نخرة أذوي في قبر بقفرة؟ ما حاجتي إلى تقدير الأحياء وأنا بين الأموات؟ ما حاجتي إلى أن يذكروني في الدنيا وأنا في الآخرة، ويجدوني في الأرض وأنا في السماء؟!

إني أبغي المديح الآن، والتقدير الآن، وأنا أسمع وأحس. فما أمتعني شيء كسماع المديح والتقدير. قولوا عني مخلصين، وأنا بينكم، إني كاتب كبير قدير شهير، وإني عبقري، ألمعي، لوذعي.

فإذا ما مت، فشيّعوني بألف لعنة، واحملوا كتبي فاحرقوها فوق قبري، واكتبوا عليه: هنا يرقد أكبر حمار أضاع عمره في لغو وهذر.

إني لا شك رابح كاسب؛ لقد سمعت مديحكم وأنا حي محتاج إليكم، وصممت أذني عن سبابكم وأنا ميت. أغناني الله عنكم وعن دنياكم.

ــ هل علمتم لِمَ أهديت الكتاب إلى نفسي؟

لأني أحب نفسي وأقدّرها، ولدي الجرأة على أن أقول ذلك.

إليكم الكتاب بعد هذا. لقد حاولت جهدي أن أكون في كتابته كما كنت في إهدائه غير منافق، وأن أكتب فيه بما استطعت من الصراحة.

ولست أزعم أني نجحت تمامًا، فهناك موضوعات لم أستطع طرقها، وهناك سطور شطبتها بعد أن كتبتها، ولكن لم يكن من ذلك بدّ، على الأقل لكي يمكن للكتاب أن يرى النور، ولكي يمكن لكم أن تقرؤوا الكتاب.. هل فهمتم؟"

أنانيًا مغرورًا.. الرواية تحكي قصة إنسان طيب لا حول له ولا قوة، لا يستطيع أن ينال حقه الطبيعي في الحياة من جانب زوجته أو جيرانه أو رئيسه في العمل، ثم يقابل "العالِم" الذي يصنع في معمله حبوب الصراحة والكذب والنفاق، وكلما تعاطى البطل هذه الحبوب تغيرت حياته، وحدث فيها تصادم أو وفاق مع من حوله، وكانت حبوب النفاق هي التي غيرت حياته وجعلته إنسانًا!!

(صلاح جاهين والشعر الشعبي)

تأثر صلاح جاهين منذ قراءته لكتابي "الأدب الشعبي" و"فنون الأدب الشعبي" لأحمد رشدي صالح في أواخر الخمسينيات بما أنتجته قريحة الموهوبين من نساء الشعب ورجاله المجهولين الذين عاشت كلماتهم مواويلهم وعديدهم وتهنئتهم للولد والبنت.

وقد تأثر أكثر ما تأثر بتركيب أشعارهم، خاصة في الحب والرثاء، حيث يعتمد البناء اللغوي على التكرار مع بعض التنويع، مثل هذه العدودة أو المرثية الفلكلورية، وهي رثاء لامرأة ماتت دون أن تنجب:

مال الوليه نعشها مايل؟

مالهاش ولد بين الرجال شايل

ما الوليه نعشها بيميل؟

ملهاش ولد بين الرجال بيشيل

.....

حاسب عليها يا مدليها

مالهاش ولد إوعك تعريها

حاسب عليها يا منزلها

مالهاش ولد إوعك تبهدلها

وقد استخدم جاهين هذا النفس وهذه الحيلة الجمالية السائدة في الشعر الفلكلوري كله، عدا المواويل والسير، في رثائه لبيرم في قصيدته "بكائية" (١٩٦١):

جايه عروس الشعر من البغاله

بملاية لف وكف متحني

شافت صوان وحبال وناس شغاله

وأنا بابكي جنب الباب ومستني

والشمس تقطر حزن ع الصبحيه

مين الي مات يا شب يا بو دموع

قالت عروس الشعر للموضوع

مين اللي مات يا شب، قلي لي يا خويا

قالت عروس الشعر.. لا يكون ابويا

أنا قلت أبونا كلنا يا صبيه

.....

ده القبر ده.. والا كمان منفى

طالع عليه الشوك والحلفا

ده القبر ده.. والا كما تبعيده

حدفوه عليها كلمتين في قصيده

بيرم.. فتحت ديوانه رد عليا

وفي أغاني الحب التي كتبها صلاح جاهين في الفترة نفسها نجد تأثير الأدب الشعبي وكتابه الذي أسس له أحمد رشدي صالح، واستثمره عمليا صلاح جاهين وفؤاد حداد، ومن قبلهما بيرم.

ولكن هذا حال لم يأت أوان حديثه بعد، لنعد إذن لصلاح وأغانيه. من منا لا يتذكر "شوف صباح" وقد قدم سيد مكاوي نسختها الشعبية في "أنا هنا يا ابن الحلال":

أنا هنا يا بن الحلال

لا عايزه جاه ولا كتر مال

باحلم بعش املاه أنا

سعد وهنا

مليت لك القله

عطشان تعالى يا جميل يالله

مليت لك الأبريق

عطشان تعالى والسلامة طريق

أنا ورا الشباك

سهرانك باستناك

علمت قلبي هواك

من قبل ما تجيني ولا اتملى

وان جيتني يا مهني

ندرن عليا العين والنني

وان جيت تدق الباب

ندرن عليا القلب شيله حجاب

فرشت لك رمشي

اخطر عليه وامش

م الشوق ما بانامش

باستنى.. حتى العمر مستني

في الغيب أنا شايفاك

قلبي انكشف عنه الحجاب ولقاك

في الغيب أنا شفتك

قلبي شاور لي عليك وعرفتك

انت اسمراني جميل

لك غيه في المواويل

والقلب لك بيميل

من قبل ما يكون لي نصيب وياك

وانا هنا...

وكما استخدم فؤاد حداد الموال القصصي بطريقته الخاصة، فاستبقى إيقاعه وطوله وقصصيته، وخرج على مواضيعه التقليدية من قصص الحب والبطولة، وبدلها بعوالم وبلغة سيريالية. كذلك فعل صلاح جاهين ما يحلو له بالموال القصصي التراثي فجرده من طوله وقزمه لموال خماسي، أي موال من خمسة سطور، واحتفظ له بالطابع الغرامي، لكنه استبدل بحكايات ياسين وبهية وأيوب وناعسة أقاصيص حب من الشرق والغرب. ولم يحتفظ من تراث المواويل إلا بموال حسن ونعيمة، لكنه كثفه في خمسة سطور كما يفعل بمادة الشعر في رباعياته. وكما فعل في قصص الحب العشرة في هذه القصيدة الفريدة المكونة من عشرة مواويل غنائية قصيرة من حيث الشكل، قصصية طويلة من حيث الموضوع.

وياما في الجراب يا حاوي:

أهل الهوى

(١)

اللحم طين العروق دود من ديدان الطين

أدم وحوا على أرض العدم حاطين

عاقبهم الرب.. أخرجهم من الجنة

آدم عمل حضن حوا جنته وغنى

الناس بتتهنى مهما يكونوا منحطين

(٢)

الولف لو شاف وليفته ورا الجبل هدمه

يا ميت ندامه على جبلين واصطدموا

اتهد منهم جبل اسمه هابيل وانهار

قابيل أخوه اللي قاتله سكب دموع أنهار

واللي افتتن بالنهار.. بالليل يا ندمه

(٣)

مرات عزيز مصر شابه وجوزها راجل كهل

يوسف حليوه فلسطيني عديم الأهل

فؤادها قاد نار وصار تحت النهود لاعب

تهبش في يوسف وتترجاه وتداعب

والعقل صاعب لكين خلق المتاعب سهل

(٤)

وفي التاريخ كليوباتره الاسمرانية

كانت غرامها غرام اسكندرانية

غرام عنيف له حفيف تعبان ولسعه نار

من عشقها لحسنها خافت عليه يحتار

واختارت الانتحار – المعجبانية

(٥

من برق سيف الجدع – يطلع صباح أمله

عنتر معنتر لكين مسكين أبوه همله

بسيف قذف في بحر الدم غذاه عوم

ولجل عبله وقبلة منها.. ساد القوم

والحر له يوم يدوق الشهد من عمله

(٦)

عالم الهمس من غير أمس من غير غد

الشمس ليلى.. القمر ليلى.. السؤال والرد

ليلى ومجنونها قيس هايم يقول ليلى

دي مهما كانت لغيري وقسمتي مايله

الروح ما دام طايله.. ما يهمش تنول اليد

(٧)

عنتر من الغرب. أسمر يندهوله عطيل

كلل على ديدمونه وشالها في عينيه شيل

بياض عيونه لمع من ضي حلاوتها

أولاد حرام غيروه بالغيرة موتها

والغيرة غشوتها ما تفرق نهار من ليل

(٨)

كل الأحبة على حبال الهوى طالعه

فاكرين نجوم السما شبابيك غرام والعه

انظر لروميو الجريء طالع يشوف جولييت

تعرف بإن الغرام يكره بيبان البيت

وان كنت حبيت ما تهزم قلبك القلعه

(٩)

الريح تباريح جريح ما ينتهيله أنين

حسن قتيل من سنين ونعميه في المجانين

على كل ملقف هوا تستنى تستنى

يجيلها صوت كله موت ويئن له أنه

والحب له ناس في جنه وناس غلبانين

(١٠)

كان ياما كان فيه ملك لكن مالوش أحباب

عشق رمى التاج وعاش العمر كله شباب

فيه ناس يقولوا عليه مجنون وناس جاحد

وانا أقول ابيع عمري كله بيوم غرام واحد

ده الحب والحق واحد يا أُولى الألباب

(لم يُفلِح النثر.. في إقناع الوزراء.. فهل ينجح الشعر؟)

وهذه ليست مجرد أبيات من شعر متقن، لكنها عاشت وبقيت درسًا يُلقَّن لمن لا يتعلم من الحكام والحكومات خطرَ المخاطر، ولا يتفهمها أو يتجاهلها، متخيلًا أن تناسيها سيحل المشكلات مع توالي الزمن؛ فإذا بالزمن يأتي كل يوم بتعقيدات من «مستصغر الشرر» نيرانًا لا تُبقي ولا تذر.

أرى تحت الرماد وميض جمر

فإن النــار بالعوديــن تُذكــى

فإن لم يُطفِهــا عُقــلاءُ قــوم

فقلتُ من التعجب ليتَ شعري

ويوشك أن يكون لها ضــرام

وإن الحــرب أولهــا كــلام

يكون وقودهــا جُثــثٌ وهــام

أأيقــاظُ أميــةَ أم نِيــام؟

إنه الشاعر المُدرِك للمخاطر، والذي رأى كيف أن أطلال الحكم الأموي تلاهت عن مشكلات المجتمع، وعن الخصم العباسي المتربص، وعاشت في وهم استقرار غير مستقر، وتلاهت بصراعات صغيرة بين جماعاتها، ناسيةً بيتَ شعرٍ آخر:

ومن رعى غنمًا في أرضٍ مُسبِعة

ونام عنها تولى رعيها الأســـــدُ

وجاء الأسد متمثلًا في جيش عباسي أتى برماح فارسية ليطيح، وبقسوة شديدة، بأطلال الحكم الأموي.

وانهارت دولة بني أُمية على أيدي أبنائها؛ كانوا فاسدين فأفسدوا كل شيء، وضعفاء فأغمضوا أعينهم عن الخطر، وقضوا أوقاتهم في إفساد وفساد، وصراعات صغيرة. وتجمعت جماعة الكبار من بني أُمية فذهبوا أذلاءَ متهالكين إلى الخليفة العباسي، الذي كان بالأمس خصمًا، وطلبوا عذره وبايعوه، فأبدى قبولًا لبيعتهم وأجلسهم إلى سماطه. لكن شاعرًا عباسيًا كان قد ناله أذى من ظلم وفساد المهزومين صاح في الخليفة محذرًا:

لا يغرنك مـــا ترى من رجال

فضعِ الســـيفَ وارفعِ السوط

إن تحـــــت الضلوع ماءً رويًّا

حتى لا نرى على ظهرها أمويًّا

فتذكر المنتصر غيظه القديم، وأمر بالجالسين من الأمويين فقطعت أجسادهم بالسيوف، وطرحوهم أرضًا وفوقهم السماط، وجلس مع ندمائه العباسيين يأكلون ويشربون ويستمتعون بمنظر بقايا الأمويين وهي تتململ وتلفظ ما تبقى لديها من أنفاس.

ولستُ أريد أن أُشابِه بين ما كان وبين ما هو كائن، ولا أريد أن أحذِّر أو أنذر، ولا حتى أطلب إلى أحد أن ينتبه؛ فالغافل عمّا هو فيه من أوضاع توقظ حتى الحجر الأصم، يصعب أن يستيقظ، أو لعله يتناوم، متخيلًا أن الجماهير نائمة، بل هي متناومة، وسوف يستيقظون حتمًا، سيستيقظون. والشاعر (والويل لهم من شعراء يأتون في كل زمان) ينادي بأعلى صوت:

صـــحا كل شعـــبٍ فاســترد حقوقه

فمتى يا مصرُ يصحو شعبك المتناوم؟

انتبهوا.. ليس من النائم، وإنما المتناوم. وحتى البعض الذي يدعو للتصالح مع الإخوان الإرهابية، ربما لكي يبايعهم إن أتوا، سيكون مصيره مُقطَّعًا بالسيف تحت السماط.

والآن، فهل أضع للسادة في حكومتنا جدول أعمال؟ لعلهم يتذكرون أو يتفكرون، ولا يتناومون.

الفقراء، يا سادتي، كانوا جوعى، والآن، ومع التهاب الأسعار، وجنون الأسواق، وضعف الحكومة، يتحول الفقر إلى جوع مُدمِّر، وقد يتحول الجوع إلى غضب، والغضب إلى..؟

والدولار وأزمته يزيدان الأسعار التهابًا، ويأتيان بجموع غفيرة إلى ساحة الفقر. والعلاج أن نقلل استيراد ما هو غير ضروري، لكن وزراءنا، إما عن قناعة أو عن ضعف، لا يجرؤون (أكرر: لا يجرؤون) على إيقاف استيراد طعام السادة، كلاب السادة وقطط السادة، ولا الاستاكوزا، ولا الأجبان الخاصة بالمليارات. وفي مصر شاهبندر للتجار، لست أعرف من أين يستمد جرأة يشخط بها في الوزراء فيرتجفون، ويأمر باستمرار استيراد ما هو غير معقول فيستوردون.

والأقباط. وحتى إذا كانت مسألة الكنائس ستحل، فإن الأزمة الحقيقية تبقى كامنة في مسائل غير مُعلَن عنها. دعونا نسميها «اللي بالي بالك»، تتعلق بالتوظف والترقي والوجود في مؤسسات بذاتها، ومجرد وجود، وغيرها. ولأن «اللي بالي بالك» غير مُعلَن، فيمكن حله أيضًا بشكل غير مُعلَن، فتهدأ فتنة كامنة، وستظل موجعة، ولا حل لها إلا بأن تُحل، فنغلق أبوابًا يحاول بها خصوم مصر وأعداء رئيسها اتهامنا بالتمييز الديني، وهو اتهام يقيم في أيامنا هذه الدنيا كلها ولا يُقعدها.

والآن، يا وزراءنا، أعيدوا قراءة ما سبق من أبيات شعر، وحاولوا فهمها. فإذا كانت ثقافتكم الإنجليزية تحتاج إلى مترجمين، فإنني أنصحكم بلا ترجمة: انظروا للناس وحاولوا، فقد تنجحون في بعض التعرف على حقيقة مشكلاتهم، وقد تتأثر مشاعركم الرقيقة بقليل من ألمٍ يأتي من سياساتكم في إفقار الفقراء، وقد يدفعكم إلى مواقف تمتلك شجاعة الانحياز للفقراء ولو بأقل قدر، فتكونون منحازين بذلك إلى مصر الشعب ومصر المستقبل.

د. رفعت السعيد

(مي زيادة .. وفقًا للأهرام)



(٨٠ عامًا على رحيل صاحبة "صالون الثلاثاء")

الأهرام تنعي مي زيادة: «أشهر أديبات الشرق».. كتبت "العصفورية" وأنقذتها لباقتها:

امرأة فتحت أبواب بيتها لعمالقة ورواد الأدب والشعراء والمثقفين في مصر والعالم العربي، ليتحول إلى محراب أدبي متنوع، مي زيادة (١٨٨٦-١٩٤١)، الأديبة والشاعرة التي كان لحياتها نصيب من عنوان أحد إبداعاتها الأدبية، «مد وجزر»، فكان مشوارها تجسيدًا لهذا المعنى؛ فقد شهد الكثير من المد والجزر، والعلو والهبوط، والتقدم والتقهقر، والحزن، والقليل جدًا من الفرح، حتى كانت نهاية حياتها بشكل مأساوي يقارب أحداث الروايات السينمائية الحزينة.

كانت ولا تزال الآنسة مي – كما كان يُطلق عليها – وبعد مرور عقود على وفاتها، تدور حول حياتها الأدبية والعاطفية الكثير من الحكايات والأقاويل. وبالعودة إلى ما نشرته الأهرام في ٢٠ أكتوبر ١٩٤١ تحت عنوان: «الآنسة مي»، ومما ورد فيه: «نُعيت إلينا أمس أديبة من أشهر أديبات الشرق، وكاتبة من خيرة كُتّاب العرب، وخطيبة طالما تاهت بها أعواد المنابر، توفاها الله إلى رحمته يوم أمس في مستشفى المعادي عقب مرض هدّ قواها وأطفأ نور ذكائها اللامع، فذهبت إلى ملاقاة ربها بعد حياة أفنتها في الدرس والتأليف».

ووفقًا للأهرام، فإن مي وُلدت في مدينة الناصرة بفلسطين من أب لبناني وأم فلسطينية، واستكملت مراحلها التعليمية ما بين فلسطين ولبنان، حتى حضرت إلى مصر بصحبة والديها.

وحول هذه الرحلة المبكرة، توضح الكاتبة نوال مصطفى من خلال كتابها «مي زيادة.. أسطورة الحب والنبوغ» هذا التنقل الدائم لمي بأنه كان السبب في جعل شعور «اللامنتمية» مصاحبًا لها، وتذكر أن مي عبّرت عن ذلك في إحدى مقالاتها فقالت: "أين وطني؟! وُلدت في بلد،

وأبي من بلد، وأمي من بلد، وسكني في بلد، وأشباح نفسي تنتقل من بلد إلى بلد، فلأي هذه البلدان أنتمي، وعن أي هذه البلدان أدافع؟!".

وبالعودة للأهرام، فعندما هبطت أسرة مي بمصر: «انصرفت إلى الدرس والمطالعة والتبحر في مختلف العلوم والفنون، وكانت أولى جولاتها الكتابية في جريدة والدها المحروسة». وكانت نوال مصطفى قد ذكرت أن والد مي عمل في مصر مع علي إدريس راغب باشا، صاحب جريدة المحروسة، وقامت مي بتدريس اللغة الفرنسية لابنتيه، فتوطدت العلاقة بين العائلتين، وبعد فترة منح الباشا الجريدة لوالد مي، وبدأت هي تكتب بابًا ثابتًا في الجريدة تحت عنوان "يوميات فتاة".

وعن بداية انتشار اسم مي زيادة بالوسط الأدبي، توضح الأهرام: «وما فتئت تدرس وتطالع كتب الأدب والفلسفة حتى أخذ نجمها يتلألأ في سماء الأدب، وطار صيتها وامتدت شهرتها إلى جميع بلاد الشرق والغرب، لأنها إلى جانب تضلعها من اللغة العربية كانت تجيد كل الإجادة اللغات الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والألمانية والإسبانية، ولها مساجلات طريفة في مختلف الموضوعات مع كُتّاب تلك البلاد. ومن أشهر مؤلفاتها: "باحثة البادية"، و"مد وجزر"، و"ابتسامات ودموع"، وديوان شعر باللغة الفرنسية». وكان هذا الديوان هو أول ديوان شعر صدر لمي بعنوان «زهرات الحلم» عام ١٩١١، وكان باسم «إيزيس كوبيا» وليس مي زيادة.

صالون الآنسة مي:

وتستكمل تغطية الأهرام يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٤١ سرد السيرة الذاتية لمي زيادة، وتشير إلى أهم حدث ثقافي وأدبي كانت تقوم به زيادة، وهو «صالون مي»، فكتب في إحدى الفقرات: «ولعل صالونها كان أشهر صالونات الأدب؛ كان يجتمع فيه بعد ظهر الثلاثاء من كل أسبوع صفوة الكُتّاب والشعراء والعلماء ورجال السياسة والفكر من أهل مصر وضيوفها النازلين فيها أو المارين بها، وكانت مي تتصدر هذه الاجتماعات وتوجه الأحاديث والمناقشات في لباقة وظُرف».

وفي تطرقها لهذه المرحلة من مشوار مي زيادة الأدبي، تشير نوال مصطفى إلى أن الأديبة الراحلة تأثرت بالصالونات الثقافية في فرنسا، وكانت بداية صالون مي في شهر مايو عام ١٩١٣، ومقره منزل مي زيادة. وأوضحت نوال مصطفى أن هذا المنزل الكائن بشارع علوي بمنطقة وسط البلد كان إهداءً من صحيفة الأهرام لزيادة تقديرًا لظروف معيشتها البسيطة.

وبدأت مي في دعوة الأدباء لصالونها بعد الكلمة التي ألقتها في الجامعة المصرية نيابة عن الشاعر جبران خليل جبران (١٨٨٣-١٩٣١) في حفل أقيم لتكريم الشاعر خليل مطران (١٨٧٢-١٩٤٩)، ولفتت الأنظار إليها بعد إلقائها كلمة خاصة بها بعد أن أنهت كلمة جبران خليل جبران. وبذكائها الشديد لاحظت انبهار الحاضرين بكلمتها وطريقة إلقائها، فدعت الجميع للحضور في لقاء أدبي بمنزلها يوم ٢٤ أبريل ١٩١٣.

واستعانت نوال مصطفى بوصف كبار الأدباء لكيفية إدارة مي لهذا الصالون، فيقول الكاتب أحمد حسن الزيات (١٨٨٥-١٩٦٨) إن مي تشارك في كل علم، وتفيض في كل حديث، وتختصر للجليس سعادة العمر كله في لفتة أو لمحة أو ابتسامة. ويصفها الأديب عباس محمود العقاد (١٨٨٩-١٩٦٤) فيقول: كان ما تتحدث به مي ممتعًا، ووهبت ما هو أدل على القدرة من ملكة الحديث، وهي ملكة التوجيه وإدارة الحديث بين مجلس المختلفين في الرأي والمزاج والثقافة، ولم يشعر أحد بتوجيه الكلام منها.

محاضرة أنقذتها من "العصفورية":

ويتطرق الأهرام لنهاية مي المؤلمة، فيقول: «ومنذ بضع سنوات توفي والدها، ثم توفيت والدتها، فظلت وحيدة واشتد بها الحزن، فانصرفت إلى العزلة وداهمها المرض، فانقطعت عن الكتابة والتأليف. وبعد علاج طويل في لبنان أصابت بعض التحسن فعادت إلى مصر، وقد ألقت محاضرة في قاعة الجامعة الأمريكية أعادت إلى الذاكرة وقفات مي

على المنابر، ثم عادت صحتها فساءت، ونُقلت منذ أيام إلى مستشفى المعادي، حيث فاضت روحها أمس، مذكورة بنبوغها وصفاتها العالية، مأسوفًا على أدبها الجم وذكائها الممتاز».

ولكن وراء وفاتها تفاصيل مأساوية رأى الأهرام أن يتحدث عنها تقديرًا وإجلالًا للأديبة الكبيرة. فإثر مؤامرة للاستيلاء على أموالها من جانب المقربين، دخلت زيادة مستشفى الأمراض العقلية «العصفورية» في لبنان، فكان ذلك ملهِمًا بعنوان للمذكرات التي كتبتها، لتسرد فيها أيامًا قضتها بين جدران تلك الزنزانة الموحشة لمدة تعدت السبعة أشهر، ووصلت القضية إلى المحاكم.

وتهيأ لمي فرصة إلقاء كلمة وسط جموع بالجامعة الأمريكية، فذهبت وألقت كلمة أذهلت فيها الحاضرين من سباتها العقلي والنفسي والجسدي. ووفقًا لما روته نوال مصطفى في كتابها، كان من بين الحاضرين النائب العام، الذي ألقى كلمته بعد ذلك أمام القضاء ليعلن كلمة الحق فقال: "إن الحجر على هذه النابغة هو حجر على الأدب العربي، وعلى الأمة العربية، وعلى العبقرية العربية، فلا تُعدِموها بسطرين من قلمكم وهي عاقلة، فلا تجعلوها بحكمكم مجنونة!".

هدى شعراوي تتبنى "يوم مي".. طه حسين.. الساعات معها قليلة..«هذا قبر فتاة لم يرَ الناس منها غير اللطف والبسمات، وفي قلبها الآلام والغصات، لقد عاشت وأحبت، وتعذبت، وجاهدت، ثم قضت». هذه الكلمات كتبتها مي زيادة، وربما كانت تصف نفسها، ولكن بماذا وصفها رفقاء صالونها ومجلسها الأدبي؟!

ففي ٤ ديسمبر ١٩٤١ أُقيم حفل تأبين للأديبة مي زيادة بمناسبة مرور أربعين يومًا على وفاتها في جمعية الاتحاد النسائي، وأرسلت هدى شعراوي (١٨٧٩-١٩٤٧) ما يشبه الدعوة العامة لمحبي مي زيادة من القراء والمثقفين عبر صحيفة الأهرام في يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٤١ لحضور التأبين، ومما جاء فيها: «وإني بالنيابة عن جمعية الاتحاد النسائي، أتشرف بدعوة كل من يريد الاشتراك في هذا الاحتفال العام، وأرجو من

حضرات الراغبين والراغبات في ذلك من الأدباء والصحفيين ومقدري فضل الفقيدة وأصدقائها وصديقاتها التكرم بإبلاغ الجمعية باشتراكهم..».

وفي يوم ٥ ديسمبر ١٩٤١ نشرت الأهرام على أربع صفحات تغطية شاملة لهذا التأبين تحت عنوان "يوم مي"، وبدأ التأبين بكلمة هدى شعراوي، قائلة: «كانت مي بالأمس القريب زهرة نادرة في روض الأدب، وبلبلًا صداحًا في نوادينا، كانت الكاتبة المقتدرة، والصحفية الماهرة، والخطيبة المفوهة، والناقدة النزيهة، دانت لها ناصية البلاغة، وانقادت لها أعنة الفصاحة، فجاءت بمعجزة في الأدب عز أن تأتي على يد غيرها".

ومن كلمة الدكتور محمد حسين هيكل (١٨٨٨-١٩٥٦) نختار بعض العبارات، والتي أظهر من خلالها جانبًا جديدًا من شخصية زيادة، فقال: "سيحدثكم إخواني في أكثر من ناحية من نواحى نبوغها الادبى، فلاذر هذه النواحي لمن هم أكثر مني علمًا بها، ولأتحدث عن ناحية أدنى إلى اتجاهي أنا في الحياة، تلك هي ناحية التفكير السياسي لمي، ولست أقصد بالتفكير السياسي حديثًا في الحزبية والأحزاب، فلم تكن مي تتجه إلى هذا النوع من التفكير، وإنما أقصد بالتفكير السياسي لمي ناحية منه لم يكن لها بد من أن تكون صاحبة رأي فيها، تلك ناحية المركز السياسى للمرأة فى المجتمع، انها تخالف الذين يدعون إلى مساواة الرجل والمرأة في الحقوق، وأنها ترى هذه المساواة عدوانًا على المرأة وعلى الرجل جميعًا". ويتذكر الأديب مصطفى عبد الرازق باشا (١٨٨٥-١٩٤٧) في كلمته كيف شاهد مي زيادة في أول لقاء وآخر لقاء، فيقول: «شهدنا مشرق مي، وشهدنا مغيبها». في ١٩١٦ حضرت حفلة أُقيمت لمطبعة المعارف، وكانت الآنسة مي فيمن خطب، فتاة رشيقة ذات وجه فيه حلاوة وفيه حياة ، ولها طريقة في الإلقاء معجبة ولهجة عذبة، تمتاز بالذكاء متقدًا في عينيها الصافيتين. ومنذ أشهر معدودة كنت أشهد حفلة في قاعة الجامعة الأمريكية، وانتهى الاحتفال وأخذ الناس يتبارون بالانصراف متزاحمين، وإذا سيدة في صمت ووقار تأبى الزحام، فسألتني:

هذه مي. اشتعل رأس مي شيبًا، وبدت تجاعيد وهن وألم في وجهها السمح، يكاد ابتسامها يخفيها، كانت مي أديبة جيل".

أما عميد الأدب العربي طه حسين (١٨٨٩-١٩٧٣)، فكانت كلماته عن مي يبدو فيها التأثر الشديد لفقدانه لها، فقال: «كنت أرى الساعات مهما تتصل معها فهي قليلة، وكنت أرى أن الأوقات التي تُنفق مع مي زاد خير من زاد ذي الرمة الذي كان يطلبه إلى مي تلك البدوية، ذلك لأن مي تمثل في نفسي بداوة البادية، وحضارة الحاضرة، وثقافة العرب القدماء، وثقافة المحدثين والأوروبيين. ولقد عرفت مي في حفل كان يقام لصديقنا خليل مطران، وسمعنا نحن طلاب الجامعة لأول مرة في تاريخنا صوتًا عذبًا لا يكاد يبلغ الأذن حتى يصل إلى القلب، وتعلقت النفس بهذا الصوت، وامتلأت القلوب بصاحبته. وأريد أن أسجل أن الأدب العربي المعاصر مدين لمي، لا بآثارها الأدبية التي أنتجتها، ولكن بما هو أبعد من هذه الآثار وأعمق في حياتنا الأدبية الجديدة، فمي هي التي أسست لأول مرة في تاريخنا الحديث هذا الصالون الذي استؤنفت فيه الحياة الأدبية المشتركة بين الرجال والنساء، بعد أن انقضت عصور بغداد والأندلس».

يسرا الشرقاوي

(٧٠عامًا على أطول يوم في تاريخ مصر.. "حريق القاهرة" يلتهم أبرز معالمها ويحولها إلى "أنقاض من الطوب والحجارة")

في افتتاحية روايته "السمان والخريف"، يصور الأديب الكبير نجيب محفوظ فاجعة بطله "عيسى الدباغ" بما عايشته القاهرة صبحية ٢٦ يناير عام ١٩٥٢. يتتبع محفوظ كيف يغادر "الدباغ" محطة رمسيس إلى براح القاهرة فيجدها على غير عاداتها، فيسأل: "هل دار رأس القاهرة تحت ضربة القنال الآثمة؟".. وتحركت في أعماقه غريزة تتنبأ بالمخاوف. أهي مذبحة الأمس بالقنال أم أحزان جديدة تزحف؟.. ولم تزل ذكريات القنال ناشبة في رأسه بكل حدة. المشاهد الدامية. مذبحة رجال البوليس. وشيئًا فشيئًا يكتشف "الدباغ" المصاب الجديد وينطق بلسان المحفوظي: "ها هي القاهرة تثور، ولكنها تثور على نفسها، إنها تصب على ذاتها ما تود أن تصبه على عدوها. إنها تنتحر!.. الضوضاء فوق كل احتمال، كأن كل ذرة في الأرض تصرخ. اللهيب ينطلق من كل موقع، إنه يرقص في النوافذ، يقعقع في الأسقف، يصفر في الجدران، يطير في الجو، والدخان يتربع في مكان السماء. رائحة الحريق تقتحم الأنوف كعاصرة جهنمية من الخشب والأقمشة وزيوت شتى. هتافات غامضة كأنما تنبثق من الدخان، غلمان يخربون كل شيء في نشوة وبلا مبالاة، جدران تنهار مفجرة رعدًا، الغضب المكتوم، اليأس المضغوط، الضيق المتكتل، كل أولئك حطم القمقم وانطلق كزوبعة من الشياطين". وقال لنفسه: إن أشياء كثيرة يجب أن تحرق، ولكن ليست القاهرة".. ليست القاهرة! هتف بها "الدباغ"، وحتما ملايين غيره قبل ٧٠ عامًا، عندما وقعت واقعة الحريق المهول.. "حريق القاهرة".

الحريق الذي نشب في قلب العاصمة جاء ليزيد لوعة المصريين بعد ساعات قليلة من وقوع "مذبحة الإسماعيلية"، التي شكلت ذروة المواجهة بين الجانبين المصري الوطني والإنجليزي المعتدي، في أعقاب قرار رئيس الوزراء مصطفى النحاس باشا، رئيس الحكومة المصرية

حينذاك، بإلغاء معاهدة ١٩٣٦. فقد رأت الحكومة الوفدية بزعامة النحاس أن استمرار العمل بالمعاهدة معيب، خاصة وأنها تمنح مصر استقلالًا منقوصًا مع استمرار تواجد القوات الإنجليزية بأراضي مدن القناة، واستمرار بعض مظاهر الهيمنة البريطانية.

إلغاء المعاهدة في أكتوبر ١٩٥١ كان إطلاقًا للمواجهات بين العناصر الوطنية في مختلف أنحاء مصر، ومظاهر السطوة البريطانية. وبلغت الذروة في الإسماعيلية، التي رفض ضباطها الانصياع إلى مطالب البريجادير أكسهام، القائد البريطاني بمنطقة القناة، بتسليم أسلحتهم ومعها مقر محافظة الإسماعيلية، فكان الرفض المصري والمواجهة صباح يوم ٢٥ يناير ١٩٥٢ بين ضباط الإسماعيلية الذين ما ملكوا يومها إلا محدود الأسلحة وعظيم الإدارة، وانتهت المواجهة غير العادلة يومها بحوالي ٥٦ قتيلاً و٨٠ جريحًا في صفوف قوات الشرطة المصرية، وطارت أنباء المذبحة إلى القاهرة وغيرها من مدن مصر، لتندلع المظاهرات والمواجهات مع كل ما هو إنجليزي، ولكن النيران سبقت كل شيء وضربت قلب القاهرة.

كان هذا هو العنوان الذي اعتمدته "الأهرام" في عدده الصادر بتاريخ ١٢ فبراير عام ١٩٥٢، فخرج بالمانشيت التالي: "مأساة القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢"، و"تدمير فندق شبرد وبنك باركليز وصفوة المتاجر الكبرى ومعظم دور السينما"، و"الحريق يندلع في ٢١٧ مؤسسة عامة مصرية وأجنبية ويلتهم بعض موظفيها ونزلائها".

العناوين الحميمة كانت مجرد مدخل لتغطية الأحداث الأكثر جسامة، والتي بدأها محرر "الأهرام" كاتبًا: "لم تشهد القاهرة في تاريخها الحافل الطويل يومًا أفجع من يوم السبت ٢٦ يناير الماضي، فقد تعرضت فيه لفتنة جامحة هوجاء، تآلبت خلالها على عاصمة البلاد عناصر الشر والإجرام، فأشعلت النار في مختلف أنحائها، وأشاعت الخراب والدمار في أجمل أحيائها، وتركتها طوال النهار وطرفًا من الليل طعامًا للنيران.. فقد دُك فندق شبرد، وأصبح أنقاضًا من الطوب والحجارة، بعد أن كان علمًا

يرمز إلى حضارة مصر ورقيها، ويستقبل آلاف الزائرين والسائحين الأوروبيين والأمريكيين وغيرهم من مختلف بلاد العالم. واندثرت مخازن شيكوريل ومحال شملا والأمريكيين، مرآة شارع فؤاد، وأصبحت حطامًا تدل على الخراب والدمار. وكان شارع الأهرام يزدان بثلاث كازينات كبيرة هي: الأوبرج، وصوفر، وكوفن جاردن، فأصبحت أثرًا بعد عين".

وأبدع دور العرض السينمائي التي كانت تزيد قلب القاهرة العامرة مثل "ريفولي"، و"مترو"، و"متروبول"، و"فلوريدا"، و"ميامي"، وغيرها الكثير من المعالم التي باتت ذكرى بعد أن كانت ملء السمع والبصر.

ويكمل التقرير الأهرامي بجهد وافر محاولة إحصاء ما كان من خسائر مصر يومها، متنقلاً بين كبريات المحال التجارية التي سقطت بفعل النيران المدبرة، حتمًا، مثل "بنزايون"، و"عدس"، و"شالون"، و"جروبي".

تتبع الأهرام لاحقًا ما كان من تحقيقات أُعدت لتفسير ما جرى في أطول يوم بتاريخ مصر، ففي عددها الصادر بتاريخ ٢ مارس ١٩٥٢، أوردت "الأهرام" ما يلي: "إحالة ٥٨ للمحكمة العسكرية العليا بتهمة الحرق والسطو والنهب والتظاهر". وبعد عشرة أيام، في ١٣ مارس ١٩٥٢، كانت بداية مسلسل الإدانة فخرجت الأهرام بالكشف: "معاقبة ٣ بالأشغال الشاقة ١٢ سنة، وواحد بـ١٠ سنوات، وآخر بـ٨ سنوات في مهاجمة دار للسينما"، وكانت هذه بعض أحكام قضية لازال المتهم فيها قيد الشك والأقاويل.

يسرا الشرقاوي

(قصصه وأساطيره تتطور مع الزمن. ديسمبر شهر ديزني الساحر)

يعد ديسمبر شهر السحر الخالص، فهو تمهيد لنهاية عام وبداية عام جديد، وهو أيضًا شهر مرتبط ارتباطات وثيقة بعالم ديزني، الذي قدم لفكرة الخيال عالميًا أحد أكبر الخدمات في التاريخ. ففي هذا الشهر يمر ١٢٠ عامًا على ميلاد والت ديزني، مؤسس هذا العالم الساحر، الأمريكي الذي وُلد في الخامس من ديسمبر ١٩٠١، وتوفي في الخامس عشر من ديسمبر ١٩٦٦.

يعد ديزني من أهم الشخصيات التي حولت الخيال إلى واقع من خلال أبطال الأساطير التي يعشقها الكبار والصغار على حد سواء، والتي جعلت اسمه خالدًا على مدار سنوات طوال. فهو نموذج للرجل المكافح، فقد بدأ حياته المهنية كموزع جرائد في السكك الحديدية، ثم سائق على سيارات إسعاف، ثم التحق بعدة وظائف بجرائد وشركات متخصصة في مجال الرسوم المتحركة.

وتحدى الفشل عدة مرات إلى أن كوّن أول شركة للرسوم المتحركة مع أخيه روي مطلع العشرينيات. تألق ديزني في المجال الذي عشقه، واستطاع أن يحول الرسوم المتحركة إلى عالم وعلامة تجارية عالمية. نال عدة جوائز عالمية، أبرزها أكثر من عشرين جائزة أوسكار. لم يكن ديزني منتجًا فقط، بل كان فنانًا، ورسام رسوم متحركة، ومخرجًا، وكاتب سيناريو، ومقدم برامج تلفزيونية، ويعد مخترع الشخصيات الكرتونية، بداية من ميكي ماوس.

من أبرز بصماته الفنية إنتاجه لأول فيلم رسوم متحركة طويل، "سنو وايت والأقزام السبعة"، عام ١٩٣٧. وتوالت النجاحات، وتحولت الأشرطة المتحركة إلى أفلام حية مع تغيير بعض تفاصيلها ورسائلها لتتوافق مع أفكار العصر.

ومن أهم هذه الأفلام، والتي تركت بصمة في التاريخ السينمائي العالمي، كان "سندريلا"، وأول إنتاج له كرسوم متحركة كان عام ١٩٥٠، وتم تحويله إلى فيلم حي عام ٢٠١٥ دون إحداث أي تغييرات في حبكته. ولكن في أغسطس من هذا العام، عُرضت نسخة جديدة من الفيلم وتتضمن تغييرات جذرية. ففي النهاية، لم تتزوج سندريلا من أميرها، ولكنها اختارت مجالًا مهنيًا تسلكه بمفردها تثبت فيه قدرتها، وقد اختارت مهنة تصميم الأزياء، وهي نتاج ما تعلمته من أمها في الصغر، وذلك لإعطاء رسالة إيجابية للفتيات الصغيرات بأنه يجب عليهن تكوين شخصية مستقلة. كما جاء كيان الساحر رجلاً وليس امرأة، بهدف الابتعاد عن ربط الساحرة دائمًا بشخصية سيدة، وأضيفت شخصية شقيقة الأمير الكبيرة التي تهدف إلى إصلاح وتغيير سياسات المملكة.

وبالنسبة لفيلم "السيدة والمتشرد"، فهو أيضًا من كلاسيكيات ديزني، وتم إنتاجه أول مرة كرسوم متحركة عام ١٩٥٥، وتحول إلى فيلم سينمائي عام ٢٠١٩ مع تغييرات كثيرة. وهو فيلم رومانسي إنساني، وقد تم اختياره من بين ١٠٠ أعظم قصص حب على مر العصور، رغم أنه يحكي قصة حب بين كلبين يعيشان مع أسرتين تراعاهما، ولكن يحدث أن يُطرد الكلب من جانب القائمين على رعايته. وفي إطار التغييرات، تم اعتماد نسق التعنيف للكلبين باستخدام الخشونة اللفظية وليس الضرب، تماشيًا مع السياسات العامة المراعية لحقوق الحيوانات.

وبالنسبة لفيلم "علاء الدين"، فكان أول إنتاج له متحرك عام ١٩٩٢، أما السينمائي فظهر عام ٢٠١٩. وهنا جاءت التغييرات، فلم يحصل الجني على حريته فحسب، ولكنه أصبح رجلاً حقيقيًا كاملاً له أحلام وأمنيات، ونالت قصة حبه مع وصيفة الأميرة كثيرًا من الاهتمام. كما جاءت الأميرة ياسمين مرشحة لتولي زمام الحكم بعد تعديل قانون البلاد الذي كان يقصر الحكم على الذكور.

وهناك "الحسناء النائمة" الذي أُنتج أول مرة عام ١٩٥٩، وهو يحكي عن فتاة جميلة عانت من تعويذة الجنية الشريرة. ولكن عندما أعيد

إنتاجه كفيلم عام ٢٠١٤، أخذ عنوانًا جديدًا "ماليفسنت"، وهو اسم الجنية الشريرة، ومن بطولة النجمة الأمريكية أنجلينا جولي. والجديد أيضًا أنه ركز على الشخصية الشريرة وأسباب انحراف سلوكها، فقدم معالجة إنسانية بعيدة عن التسطيح للشخصيات ما بين الخير المطلق والشر المطلق.

كانت هذه بعض النماذج على تطوير حبكات ديزني عبر العصور لتجعل من صاحب ديزني سيدا من سادة الخيال في ديسمبر وغير ديسمبر.

كتبت هناء نجيب

(شعراء ينعون صاحب "وحي القلم")

في العاشر من مايو ١٩٣٧، فقدت الأمتان المصرية والعربية أحد أقطاب الأدب فيها، مصطفى صادق الرافعي، صاحب الإبداعات في مجالات الشعر والأدب والبلاغة، ومؤلف "وحي القلم" و"أوراق الورد" و"كتاب المساكين" و"إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، فترك عظيم الأثر رغم قصر أمد حياته التي بدأها عام ١٨٨٠ بقرية بهتيم في محافظة القليوبية.

وفي وداع الرافعي، أفردت "الأهرام" صفحاتها لكلمات تأبين بوقع خاص، وهي التي صاغها أهل الشعر في وداع الرافعي.

فمما ورد وتحت عنوان: "مات الصديق"، كتب الشاعر مرسي شاكر الطنطاوي

مات الصديق فهل تطيـ ـب لنا الحياة بلا صديق
وعدا فريق الموت وثـ ـابا على هذا الفـريق
لكأنما لبســـت قـوا ه عزيمة الحـــر الطليق
لا يرهب العقل المحصـ ـن منه بالعـــلم الحقيقِ
كلا ولا يرعـــى النبو غ وحـــرمة الأدب العريق
عذرًا (أبا السامي) فقد أذهلت حلمي عن طريقي
فغـــدوت مغلول الإرا دة فيك من دمعي وريقي
لا أستطيعهمـــا ولا أقوى على ذاك الحريـق

أما الشاعر السيد زيادة، فنظم الأبيات التالية ناعيًا تحت عنوان "الرافعي.. فقيد الشرق"، ومما جاء فيها:

دار عني المصاب يا ليل دار

لا تفاجئ بصدمة الأخبار

لا تحطم بفاجع القول قلبي

لا تعتم بوحشة النفس داري

لا تقل مات مصطفى لا تقل

حدد أيامه القضاء الجاري

كيف مات الذي تخيره الله

لهدي النهى وخوض الغمار

أن يكون مات فالحياة إذن

ساعة لهو، وآية استهتار

خبروني أمات حقًا ودكت

ذلك الطود قوة الأقدار؟!

(في ذكرى ميلاده الـ١٥٠.. خليل مطران يعترف بفضل مي زيادة عليه..
طه حسين يمدحه: "حافظ وشوقي وغيرهما يعيشون حوله")



خليل مطران

(في ذكرى ميلاده الـ١٥٠.. خليل مطران يعترف بفضل مي زيادة عليه.. طه حسين يمدحه: "حافظ وشوقي وغيرهما يعيشون حوله")

ولد خليل مطران في ٤ يوليو ١٨٧٢، وتوفي في ١٩٤٩، وعاش حياة متميزة في عالم الأدب، حيث كان له دور بارز في تجديد الشعر العربي ومواجهة الجمود الأدبي في عصره. وقد وصفه عميد الأدب العربي طه حسين في ١٨ يوليو ١٩٤٩ قائلاً:

"لقد عرفت مطران معجبًا بشعره مؤثرًا له على شعر المعاصرين في جميع الأقطار العربية، وكنت أسمع شعره وشعر حافظ وشوقي فأوثر شعر مطران في وجه حافظ وشوقي، وكان حافظ وشوقي يسمعان ولا ينكران. وأزعم لهما جميعًا أن مطران في المحدثين كأبي تمام في العصر القديم، وأنهما وغيرهما من الشعراء يعيشون حول مطران كما كان شعراء العراق والشام يعيشون حول أبي تمام".

تجديد الشعر واللغة:

كان هم مطران الأعظم إقناع المتمسكين بجمود اللغة العربية بأنها قادرة على مواكبة الجديد في شتى مجالات الأدب، مع مراعاة التقاليد والأخلاق والثقافة العربية. في مقاله الشهير "ملاعبنا" المنشور في ٢ يوليو ١٨٩٣، وضح مطران ضرورة التدرج في تقديم الجديد الأدبي للجمهور المصري، مع مراعاة استعدادات العقول والأخلاق، حتى لا يزهق الجديد من فرط المفاجأة.

وأكد مطران أن الرواية، التي استُحدثت من قبل اليونانيين بعد انقضاء عصر الأبطال، كانت أداة لإحياء الحماسة، وبدأت مأساوية (تراجيدية)، ثم تطورت لتصبح روايات كوميدية هادفة، تتماشى مع أذواق الشعوب، بعيدًا عن الاستهزاء بعقولها، وهدفها إدخال المتعة والفائدة معًا. ونبه إلى أهمية مراعاة احتياجات الجمهور، وعدم الاستخفاف بعقولهم، قائلاً:

"فالواجب على الأفراد الذين يتولون هذه الغاية أن يحسنوا القيام بها، ولكن أبى أصحاب ملاعبنا أن ينفقوا درهمًا لمشتري رواية جديدة، أو لكساء وزينة مشهد، أو لتعليم حركة من حركات التمثيل، فلا تلوموا الشعب على عدم إقباله، بل ليعلم كل من يخدم جماعة أنه مكلف باحترام الجماعة، فلا يستخف في شيء مما يرضيها، وإلا كان وحده المنبوذ الخاسر".

اعتراف مطران بفضل مي زيادة: لم يغفل مطران الدور الثقافي الكبير لمي زيادة، التي لعبت دورًا بارزًا في إثراء الأدب العربي والنهوض بالشعر والثقافة. فقد اعترف بفضلها عليه في كثير من المناسبات، مؤكّدًا أن تأثيرها كان مباشرًا على تطور الفكر والشعر العربي الحديث.

دور مطران في الأدب والمجتمع:

عُرف خليل مطران بلقب "شاعر القطرين" لارتباطه بلبنان، مسقط رأسه، ومصر، حيث عاش أعظم أيام حياته. وساهم بفاعلية في إثراء الأدب العربي، ليس فقط كشاعر، بل كمفكر ناقد ومجدّد، حيث حرص على الجمع بين الأصالة والمعاصرة، بين عمق المعاني وروعة التعبير، وترك إرثًا خالدًا أثر في الشعراء العرب وطلاب الأدب عبر الأجيال.

باختصار، خليل مطران هو شاعر ومصلح أدبي، جمع بين التجديد والتمسك بالقيم العربية الأصيلة، وقد شهد له كبار الأدباء كطه حسين، وحافظ، وشوقي بتأثيره الكبير على مسار الشعر العربي الحديث.

عن الجمع في عددها الصادر بتاريخ ٢٥ نوفمبر من العام ذاته، وهذه بعض من أبياتها:

يا آيــة العصـر حقيــق بنــا تجديد ذكــراك على الدهر

جاهــدت لكن النجاح الـذي أدركتــه أغلى مـن النصر

بدت تباشــير الحيــاة التي جدت فحــيي طلعـة الفجـر

قد أثبتــت يقظتهــا للعلــى بعدك ذلت الخدر في مصر

تعفو عن المخطئ في حقها حلما وتستعفــي من النكـر

ولاكتشاف المزيد عن رأي خليل مطران في باحثة البادية، يأتي اعترافه للأديبة مي زيادة (١٨٨٦-١٩٤١) على صفحات الأهرام في يوم ١١ سبتمبر ١٩٢٠، من خلال مقاله وبين أدبين.. "مطران ومي" الذي أرجع فيه الفضل إلى مي في تعريفه بأعمال ودور ملك حفني ناصف، الذي كان جاهلا بها، بعد أن أهدته مي أحد مؤلفاتها لكي يقرأها. ومما جاء في هذا المقال، وفقا للأهرام: "إلى مي.. سيدتي النابغة: لك علي فضل لا يجحد ولا يحد، لقد أقرأتيني كتابا، نحن في زمن أشباب الكُتاب، فيه كثير ولكن الكتاب الحقيق بهذا الاسم قليل، وعلى رأس هذا القليل لا أتحاشى أن أضع مجموع تلك الفصول التي كشفت بها النقاب عن حقيقة باحثة البادية، كتاب مفصل تفصيلا يمتع مطالعه ويطرب تلاوة وترتيلا، أفي وقتنا هذا؟، وفي لساننا العربي الحديث هذا الكتاب الذي تتناوله فلا تدعه حتى تأتي عليه؟" ويذكر مطران في سياق ذات الاعتراف بأنه كان أول من شجع "ملك" عند ظهورها، وذلك بكتابته مقال عنها بعنوان "بزوغ شمس"، ولكنه يقول "فلما تزوجت ظننتها وئدت كما كانت توأد البنات إلى عهدها بعد زفافهن، ثم لما طفقت ترسل ناشرة في الصحف، لم أحسبها في الفريق العامل بجد، ظلمتها في كل ذلك، أما الآن فقد أنصفها فكري ولكتابك الفضل".

عن شوقي: "عبقري وملهم"

كان للشعر ثلاثة أسندت إليهم زعامته، ثالثهم هو محور حديثنا اليوم في وفقا للأهرام، وثانيهم هو حافظ إبراهيم (١٨٧٢-١٩٣٢)، أما أولهما فهو أمير الشعراء أحمد شوقي (١٨٧٠-١٩٣٢). وعن علاقة مطران بشوقي فقد وصفها الأديب عباس محمود العقاد (١٨٨٩-١٩٦٤) في أحد مقالاته بالزمالة دون الصداقة، وكتب فيها عن رأي كل من خليل مطران وأحمد شوقي في بعضهما البعض، فيقول مطران عن شوقي بأنه "شاعر العبقرية، فرار الذكاء يستمد وحيه من مشاركات عملية وتنبيهات فنية".

ومن ناحيته يصف شوقي مطران بأنه "صاحب المنن على الأدب والمؤلف بين أسلوب الإفرنج في نظم الشعر ونهج العرب".

ولكن توجد آراء أخرى بأن شوقي ومطران كانت تربطهما علاقة صداقة قوية، وإن كان يوجد خلاف على ماهية علاقتهما، إلا أنه لا يوجد اختلاف على أنهما كانا مبارزين في حلبة الشعر اتسما بالنزاهة والأخلاق، وفي ذكرى وفاة شوقي في دار الأوبرا المصرية لإزاحة الستار عن تمثاله، وبحضور الملك فاروق، ألقى شاعر القطرين قصيدة نشرتها الأهرام على صفحاتها في عدد ١٨ ديسمبر ١٩٤٤، وهذه بعض أبياتها:

لمصر على الثرى فقيد غال، ومن ذلك الفقيد
حييته في مقام ذكرى فمصر جذلى، واليوم عيد
يا حسن حفل توفي عليه وصفوة الأمة الشهود
الشاعر العبقري فيه يكرم والملهم المجيد
أقيم تمثاله ولكن به لتمثاله الخلود
شوقي نزيل بكل قلب في صورة ما بها جمود
ما بقى الشعر فهو باق كان فقدانه وجود
"شوقي" ويكفي اسمه بيانا يعني به المجد ما يريد

مقالات ثقافية و فكرية و فلسفية

عدد خاص في جريدة الأهرام عن العملات في مصر

١- (أسهم في "تمصير" فنونه.. عباس الشيخ.. فارس تصميم العملات المجهول)

"أنت تحمل التاريخ في جيبك"، نعم، في جيبك معبد وقلعة ومسجد. فالتاريخ ليس صفحات الكتب فقط ولا في نقوش الصور، ولكنه يسكن جيبك أيضًا، حيث توجد العملات الورقية. ربما لم تفكر يومًا في النظر إلى نقوشها التي تحمل عبق التاريخ، جدران المعابد تردد صدى أساطير الفراعنة، المآذن ترفع صوت أذان الفجر، أصوات حوافر الخيل على أبواب القلعة تختلط بأحبار المطبعة على ورق النقود التي في جيبك. ترد هذه الفقرة المعبرة في كتاب "في جيبي قلعة ومعبد" للكاتبة سماح أبو بكر عزت، ويعبر تعبيرًا صادقًا عن ذلك التوثيق المبدع الذي تحققه العملة.

والعملة في مصر تمر حاليًا بتحول تاريخي جديد. مع قرب طرح فئة جديدة من فئات النقود البلاستيكية المواكبة لمتطلبات السوق المالية العالمية والصديقة للبيئة، ومع هذا التطور، يكون النظر للبدايات محمودًا.

ولعلاقة مصر بالعملات تاريخ طويل، أبرز محطاته كانت بتمصير فنون تصميمها، وكان من رواد عملية التمصير هذه فنانو تصميم العملات المجهولون، الفنان التشكيلي الكبير عباس الشيخ.

"أسطورة" تصميم العملة:

حسب مصادر قطاع الفنون التشكيلية، فإن اسمه بالكامل هو عباس فرج الشيخ، وهو من مواليد عام ١٩١٥ بالسودان، وتوفي عام ٢٠٠٥ عن ٩٠ عامًا. تخرج في مدرسة الفنون التطبيقية كما كانت تعرف قديمًا، بقسم الحفر والزخرفة عام ١٩٣٧، وعمل بعدها في مصلحة المساحة، ثم مديرا فنيا لدار طباعة البنكنوت، وقام بتدريس مادة تصميم أوراق البنكنوت بكلية الفنون التطبيقية.

وتؤكد مصادر قطاع الفنون التشكيلية أن الشيخ كان أول عربي يقوم بتصميم عملة ورقية، وأول أستاذ يتولى تدريس مادة الباعة البنكنوت في إحدى الجامعات العربية، وينسب له الفضل في تخريج جيل كامل من مصممي أوراق البنكنوت. وهو أيضًا أول عربي يضمن حجز موقع مميز لنفسه بين مصممين كبار من أنحاء العالم في فن تصميم الأوراق المالية نهايات الستينيات وبدايات السبعينيات.

الشيخ يروي تجربته

في حوار نادر له نشرته صحيفة البيان الإماراتية عام ٢٠٠٠، روى تجربته وكيف كانت فكرة تمصير العملة. فقال: "أتت الفكرة بعد العدوان الثلاثي على مصر مباشرة، فقد اكتشفنا أننا تحررنا من سيطرة المستعمر الإنجليزي بعد الجلاء عن مصر ١٩٥٢، لكننا لم نتخلص من سيطرة إنجلترا على قطاع حيوي في اقتصادنا الوطني، أوراق البنكنوت المصرية في بريطانيا. ومن هنا فكرت حكومة الثورة في إقامة مطبعة في مصر، وقام البنك المركزي بإقامة مطبعة لأوراق البنكنوت في الهرم عام ١٩٦٧".

ويكمل الشيخ: "قبل تلك الفترة بسنوات، كان قد اكتمل تمصير الجنيه بعد إصدار قرار جمهوري عام ١٩٦٠ بإنشاء البنك المركزي المصري ومنحه حق إصدار أوراق النقد بدلًا من البنك الأهلي، ليظهر أول إصداراته بعدها بعامين، لجنيه بعلامة النسر المائية ومرسوم على وجهه صورة الملك توت عنخ آمون".

ويكشف الشيخ مزيدًا من التفاصيل المهمة في حواره، فيقول: "تم إسناد مهمة إدارة هذه المطبعة وتدريب العمالة المصرية فيها لشركة ألمانية. وكان مصممو أوراق البنكنوت أربعة من الأجانب في ذلك الوقت، ولا يسمحون لأحد من المصريين بالاطلاع على عملهم أو التعرف على أسرار المهنة، ولذلك قررت الحكومة المصرية الاستغناء عن خدماتهم وتدريب أحد المصريين للقيام بهذا العمل، وكنت أنا هذا الشخص".

ويواصل: "بعد إنشاء مطبعة الأهرام، أرسلتني الحكومة في بعثة إلى ألمانيا لدراسة فن تصميم النقود في أحد المعاهد هناك. وبعد عودتي من ألمانيا، انتقلت من مصلحة المساحة التي كنت أعمل بها في ذلك الوقت للعمل في البنك المركزي كمدير لدار طباعة البنكنوت، وقمت بتصميم أوراق مالية من فئة الخمسة وعشرين قرشًا، ثم من فئة الجنيه والخمسة والعشرة جنيهات. وكان الوجه الواحد في العملة يستغرق تصميمه ثلاثة أشهر كاملة، وكل فئة مالية تختلف عن الفئة الأخرى، سواء في أسلوب تصميمها أو في الوقت الذي تستغرقه، فكلما ارتفعت قيمة العملة، كلما زادت مساحة الوقت الذي تستغرقه في التصميم والتنفيذ".

وتابع: "كما كانت عجينة الورق تختلف هي الأخرى باختلاف قيمة الورقة المالية، وكنا وما زلنا نستورد هذه العجائن من الخارج. تختلف الألوان التي تُستخدم في تصميم الأوراق النقدية عن الألوان الأخرى، وهناك نسب خاصة من كل لون بمعايير وموازين حساسة يُستعان بها، والأمر في النهاية يعود للمصمم، لأن هذه النسب تزيد من صعوبة التزوير".



عباس الشيخ شابا يبدع فى تصميم عملات بلاده

أسرار "حفار الصلب" :

وعن كيفية التفرقة بين العملة السليمة والمزيفة من قبل الشخص العادي، أوضح الشيخ: يمكن معرفة العملة المزيفة عن طريق اللمس، فالمفروض أن تحس بالخشونة، وأن تتحسس بأصابعك ورقة العملة من المنتصف، لأنها تعمل بالحفر على الصلب سواء كان يدوياً أو باستخدام التقنية الحديثة. وحفار الصلب يمتلك من الحساسية في يديه ما يمكنه من صنع مائة خط من الصلب بنفس درجة العمق، وهي مسألة ضرورية للغاية، لأنه لو اختلف العمق، لاختلفت بالتالي كمية الحبر الذي تستوعبه.

ويكشف الشيخ: "حفار الصلب عملة نادرة، ويتم تدريبه منذ الصغر ويعتزل في سن الخامسة والعشرين على الأكثر، نظرًا لأنه يبدأ بعد هذه السن في فقدان حساسية يديه وعينيه وأعصابه. وهناك دول أوروبية كثيرة ليس فيها حفار صلب واحد. وقد حاولت تدريب بعض الشباب المصريين على هذه الحرفة الدقيقة للغاية، واخترتهم من بين طلبتي في كلية الفنون التطبيقية، التي أدرس فيها مادة طباعة البنكنوت منذ سنوات، لكنني فشلت في هذه المهمة، لأن حفار الصلب مثل راقص الباليه لابد من تدريبه بداية من سن صغيرة للغاية. ولذلك نلجأ في السنوات الأخيرة إلى استخدام الحفر الكيميائي والكمبيوتر، لكن الفرق بينه وبين الأصلي كالفرق بين السماء والأرض".

متاعب مهنة فريدة:

وعن متاعب مهنته، كشف الشيخ: "الحمد لله لم أتعرض لأي محاولة لإغوائي أو إغرائي، وكنت ممنوعًا من الجلوس في أماكن معينة ومراقبًا في أي مكان أذهب إليه. وأذكر أنني كنت حين أسافر إلى أي دولة أوروبية، لم يكن يتم تفتيشي سوى في الغرف الحصينة، ولم أكن أتعامل مع مفتش جمارك أو جوازات". وأضاف: "أما العمال الذين كانوا يشتركون معي في رسم وطبع البنكنوت، فكان كل واحد منهم يقوم بمهمة صغيرة ومحددة، وكنت أنا المايسترو الذي يعرف سر اللعبة".

وقد تفنن الشيخ في اختيار الأماكن التي تبرزها أوراق البنكنوت، ومعياره ليس شهرتها، وإنما أهميتها وطرازها المعماري، وجرى العرف على اختيار عنصر إسلامي على وجه فرعوني على الوجه الآخر للتعبير عن الهوية والروح المصرية، وكانت مهمته اختيار العناصر الخاصة بالتصميم، على أن يتم التصميم والمراحل التالية في الخارج.

حرص الشيخ على تعليم طلابه بكلية الفنون التطبيقية كل ما يخص البنكنوت في مادة تصميم العملة، ويطلعهم على نماذج من أعماله، بحسب تصريح دكتورة ميسون قطب، العميد الحالي لكلية الفنون التطبيقية، والتي درست على يديه منذ أكثر من ثلاثين عامًا، وتحكي الدكتورة ميسون عن تفانيه وصبره وهدوئه الشديد، مشيرة إلى تخريج جيل كامل من مصممي أوراق البنكنوت، وشارك بهم وبأعمالهم في معرض دولي أذهل العالم.

وحصل الشيخ على عدة جوائز في تصميم طوابع البريد والنحت وتصميم العملات الورقية، لكن أهم جائزة حصل عليها كانت عام ١٩٩٠، في مسابقة لتصميم العملات الورقية بمدينة "ميونيخ" الألمانية، شارك بها مصممون كبار من جميع أنحاء العالم، وتفوق عليهم جميعًا ليحصد الجائزة الأولى عن مجمل التصميمات لفئات مختلفة من العملة.

ثم بلغ الشيخ السن القانونية للتقاعد، فتفرغ للرسم وعمل التذكارات، وتدريب جيل جديد من كلية الفنون التطبيقية بجامعة حلوان، كان بينهم المصمم صابر سعيدة، الذي شارك في إصدار أول عملة مصرية من التصميم حتى الطباعة عام ١٩٩٣، وهي فئة الـ٥٠ جنيهًا، التي يحمل أحد وجهيها "مسجد أبو حريبة" بحي الدرب الأحمر.

ومن تلاميذه أيضًا، الأستاذ الدكتور جورج نوبار، الذي أصبح أستاذًا لمادة تصميم العملات وعميدًا لكلية الفنون التطبيقية فيما بعد، ويشغل الآن منصب عميد كلية التصميم والفنون الإبداعية بجامعة الأهرام الكندية. ونوبار هو الذي تولى اختيار الخامات والعلامات الألمانية المناسبة للعملات الجديدة، كالعشرة جنيهات "البلاستيكية"، والتي

استقرت في الإصدار الأخير على "مسجد الفتاح العليم" بالعاصمة الإدارية على أحد وجهيها، ومزج تمثال الملكة حتشبسوت والهرم الأكبر ومكتبة الإسكندرية على ظهرها. وهي مصنعة من رقائق معدنية "هولوجرام وكينجرام"، التي تحتوي على أحدث تقنيات الصفات التأمينية.

أماني زهران

٢- (العملات.. وسيلة نقل التاريخ وشغف المقتنيين)

أوراق تغيّر لونها، أو قطعة معدنية صغيرة طُمست بعض تفاصيلها، ولكنها في جميع الأحوال هي أحد الوسطاء المبدعين في رؤية قصص التاريخ؛ فرغم صغر حجمها قد تكون وثيقة تاريخية توثق لأحداث وشخصيات يصعب تجاوزها، وهي أيضًا محور شغف فئة كبيرة من محبي الاقتناء، تأتي لديهم الهواية وتقدير قيمة العملة قبل أي شيء، وتحديدًا قبل ما يُقال عن القيمة التسويقية لبعض العملات، وتحديدًا تلك التي توارت عن نشاط التداول. عالم فسيح تعيش فيه حيوات أخرى، وتحظى بتقدير بالغ من أهله، ثم العملات التي يبدأ عالمها من مصلحة سك العملة، لكن لا يبدو أن له حدودًا ننهيه. فإلى عالم العملات...

قامت صحيفة "الأهرام" بجولة داخل مصلحة "سك العملة المصرية"، بمنطقة العباسية الشرقية، للتعرف على خطوات تصنيع العملة المعدنية، والتي تنقسم إلى نوعين، كما توضح المصممة منى ياسين أحمد، رئيس قسم الحفر الآلي والميكانيكي، والمسؤولة عن تصنيع نماذج العملة بـ"إدارة البانتوجراف"، والمعنية بالتصميم والسك. وتنقسم هذه الإدارة إلى قسمين، وهما: قسم الحفر الآلي والميكانيكي، وقسم الحفر اليدوي.

النوع الأول من العملات، وفقًا لمنى ياسين، هو المتداول بين الجمهور. أما النوع الثاني فهو التذكاري، والذي يُصنع من خامات نفيسة مثل الذهب والفضة، ويكون إصداره للاحتفال بالأعياد السنوية والمئوية لمؤسسات ومنظمات.

وعن كيفية اختيار الأشكال الموجودة على العملة المعدنية بأنواعها، توضح منى ياسين أن مصممي العملات يكونون من داخل المصلحة، ويتم إطلاق مسابقة بينهم عند الحاجة لتصميم عملة جديدة، فيتم اختيار التصميم الأفضل من خلال المؤسسة صاحبة الاحتفال، أو يأتي التصميم من المؤسسة ذاتها صاحبة المناسبة، لتقوم المصلحة بتنفيذه.

ومن أهم الأحداث التي وثقتها المصلحة عبر عملائها مؤخرًا، كانت "عملة" موكب المومياوات الملكية، ومبادرات "تكافل وكرامة" و"حياة كريمة". وكذلك قامت المصلحة بتوثيق جميع الإنجازات والمشروعات القومية التي تحققت على أرض مصر مؤخرًا، مثل "قناطر أسيوط" و"العاصمة الإدارية". وتكشف منى أن المصلحة على وشك الانتهاء من سك عملة خاصة بالاحتفال بعيد الشرطة السبعين، وسيتم إصدارها في يوم ٢٥ يناير الجاري.

أما عن العملات المتداولة وليست التذكارية، فتوضح المصممة منى ياسين أنها ذات شكلين ثابتين، وهذان الشكلان هما "كليوباترا" و"توت عنخ آمون"، ومصمم هذين الشكلين هو المهندس الراحل حامد العجمي. ولِقِدم هذه النماذج، بدأت عمليات إحياء تفاصيلها عن طريق تأكيد نحتها مرة أخرى.

وأما المراحل التي تسبق خروج العملة إلى العالم وتداولها، فإنها تبدأ أولًا باعتماد مجلس الوزراء للتصميم، وإصدار قرار بكمية العملة وقطرها ونوع الخامة. بعد التصميم وقرار الاعتماد، يتم إعداد الرسم التنفيذي للتصميم، والذي يتم إعداده عبر برامج "كمبيوتر" متخصصة، بحيث يمكن لماكينة التنفيذ قراءة رموزها، وتتلقى هذه الرموز كأبعاد يتم تطبيقها. وقديمًا كانت عملية التطبيق الأولى للتصميم تتم على نموذج "جبس" يتم لاحقًا تغطيته بالصلب، حتى يتحمل تعامل الآلات، ولكن إدخال تقنية الليزر سهّل كثيرًا من عمليات إعداد النموذج التطبيقي الأول لتصميم العملة.

وبعد إتمام ذلك النموذج، تتم مراجعته من قبل قسم الحفر اليدوي لمنع أي أخطاء، وذلك قبل استخدامه في إعداد ما يُعرف بالختم الأصلي، أو "الختم الأم" للعملة، ويتم تصنيعه في نسخة واحدة لأسباب تتعلق بسلامة التصميم من التزوير. ومن "الختم الأم" يتم تصنيع ما يُعرف بـ"ختم السك"، الذي يُستخدم في سك العملات من التصميم المرجو.

وتلتقط المهندسة مروة فتحي، رئيس قسم الحفر اليدوي، طرف الحديث وتقول: "بعد عمل نموذج الختم، تتم عمليات الرتوش والمعالجة الحرارية، حتى يستطيع تحمّل عملية الدق، ولاحقًا يتم إصلاح أي عيوب سببتها المعالجة الحرارية". وتوضح المهندسة مروة أن كل العمليات بهذا القسم تتم تحت "الميكروسكوب" مراعاة لدقة الخطوات.

ويكمل عبدالباسط محمد، أمين مدير إدارة سك العملات، أنه في مرحلة ما بعد إعداد "ختم السك" يتم استلام الأقراص الخام المصنوعة من "استيل" مطلي بالنيكل أو النحاس، أو كليهما معًا حسب فئة العملة، ويتم إدخالها على الماكينة للسك. وهذه الماكينة مجهزة لسك جميع الفئات، وذلك بعد تغيير بعض الأجزاء الميكانيكية، ثم ضبط المسافات حسب كل فئة ووفقًا للخطة المتبعة مع البنك المركزي.

وتتم عملية الختم العلوي والسفلي للعملة من خلال ماكينات خاصة بهذه الخطوة، وهذه الماكينات تعمل بسرعة ٧٥٠ قرصًا في الدقيقة و١٥٠ طنًا في الضغطة الواحدة، وبعد ذلك تبدأ عملية التغليف عن طريق ماكينات مخصصة، لتوضع العملات الجديدة اللامعة في أكياس داخل كراتين، لتوزع على البنوك والهيئات الخاصة.

ووفقًا لعبدالباسط، فإن الإدارة تقوم حاليًا بسك ٣ ملايين قرص من فئة الجنيه بمناسبة عيد الشرطة.

(وسيلة متطورة لدعم "التعليم عن بُعد")

فرضت جائحة كورونا واقعًا جديدًا وتحديًا كبيرًا في مجال التعليم، الذي شهد خلالها أحد أهم الاضطرابات التي عرفها العالم على الإطلاق. لذلك لجأت كافة دول العالم إلى "التعليم عن بعد" كآلية لتخفيف التأثيرات السلبية للجائحة على العملية التعليمية عبر الإنترنت. ونظرًا لأن العديد من البلدان الفقيرة تعاني فجوة تكنولوجية وتقنية هائلة في قطاع التعليم، قامت كثير منها بالاعتماد على البث الإذاعي لضمان الوصول إلى الطلاب الأكثر تهميشًا.

فعند قيام بإغلاق المدارس عام ٢٠٢٠ كإحدى التدابير اللازمة لاحتواء فيروس كوفيد-١٩، كان التعلم عن بعد من خلال الإنترنت هو الاستجابة البديلة الرئيسية للتعلم في الفصول الدراسية، الأمر الذي أدى إلى عدم المساواة بين الطلاب الذين يتمتعون بإمكانية الوصول إلى الموارد التكنولوجية، وبين الذين لا يملكون القدرة على الوصول إليها. ووفقًا لدراسة حديثة أجراها معهد اليونسكو للإحصاء (UIS)، فإن نحو ٨٣٦ مليون طالب تركوا فصولهم الدراسية بسبب الوباء لا يمتلكون جهاز كمبيوتر، علاوة على ذلك يفتقر نحو ٧٠٦ ملايين طالب إلى الوصول إلى الإنترنت، ويعيش ٥٦ مليون طالب في مناطق لا تغطيها شبكات الهاتف المحمول.

وعلى الفور قامت منظمة اليونسكو ببدء العمل مع بعض حكومات البلدان النامية لتشكيل فريق عمل طارئ لإحياء البرنامج الإذاعي التعليمي للتعلم عن بعد، وفقًا للموقع الإلكتروني للمنظمة. وقامت العديد من الدول الإفريقية باستخدام الراديو التعليمي على نطاق واسع كأداة للتعلم عن بعد منذ بداية الجائحة، خاصة أن الدروس الإذاعية كانت جزءًا من البرامج الإذاعية المحلية حتى عام ٢٠٠١، لذلك تم الترحيب بإعادة إطلاق هذه الأداة التعليمية الحيوية، من خلال الاعتماد على المحطات الإذاعية الحكومية والخاصة في بث إذاعات تعليمية للحفاظ على استمرارية التعليم.

فعلى سبيل المثال، قامت إحدى الشبكات الإذاعية التي ترعاها الأمم المتحدة في جمهورية الكونغو الديمقراطية، ببث برامج تعليمية لطلاب المدارس الابتدائية والثانوية مرتين في اليوم. وفي رواندا قامت وزارة التعليم ببث برامج التعلم الإذاعي على الهواء لمدة ست ساعات يوميًا، بهدف تحسين معرفة القراءة والكتابة بين طلاب المدارس الابتدائية.

وفي حقيقة الأمر، كان هناك العديد من التحديات التي واجهت استخدام الراديو كأداة لتوفير التعليم عن بعد وتغطية المناهج الدراسية بشكل فعال، منها محدودية وقت البث وصعوبة الوصول إلى أجهزة الراديو في المنازل بالعديد من القرى النائية، علاوة على عدم توافر المحتوى التعليمي بصيغ سمعية ملائمة. حيث إن إنتاج هذا المحتوى كما ونوعًا في وقت قصير يعد أمرًا في غاية الصعوبة، نظرًا لعدم وجود خبراء متخصصين في التعليم لتصميم وإنتاج البرامج التعليمية. في الوقت نفسه، فإن عدم وجود آلية لمعرفة مدى استيعاب الطلاب والقدرة على تقديم المساعدة لهم، كان من أبرز المشكلات التي واجهت القائمين على هذه الفكرة.

ولكن جاء التعاون بين هيئات البث والسلطات التعليمية والمعلمين ليكون بمثابة عامل رئيسي للتغلب على هذه المعوقات، ولنجاح تنفيذ البرامج التعليمية القائمة على الإذاعة، نظرًا لأن كل قطاع من هذه القطاعات له مجالات خبرته الخاصة للتكامل مع بعضهم البعض، لا سيما في تطوير وإنتاج محتوى تعليمي بمكونات أكثر تفاعلية لجذب انتباه المتعلمين وخاصة الصغار منهم. وقد تم أيضًا تصميم منصات لتبادل المعلومات والخبرات بين الأجيال، وتحديد أولويات الدروس وجدولتها للطلاب الأصغر سنًا في وقت مبكر من اليوم.

على الجانب الآخر، قام عدد من البلدان بالتعاون مع الهيئات التعليمية، حيث كان من المهم أن تتوافق المواد التعليمية المقترح بثها في الإذاعة مع خطة الدراسة الوطنية. فعلى سبيل المثال، قامت جزيرة موريشيوس بإنشاء مجموعة عمل مخصصة لتطوير المحتوى التعليمي للإذاعة من

خلال ضم مجموعة من المعلمين المتطوعين، وإدارات التعليم الابتدائي والثانوي، ووكالات تطوير المناهج الدراسية، والإذاعة الوطنية. أما في لتوانيا فقد تم التنسيق بين الاحتياجات التعليمية والترفيهية، وإضافة محتويات تعليمية وعناصر تفاعلية من خلال الاستفادة من الأرشيف السمعي والبصري.

ويمكن القول إن تجربة تغطية الدروس الإذاعية التعليمية أثبتت قدرتها على تحسين نتائج التعلم في كثير من الدول، خاصة وأن الوصول إلى الراديو المنزلي أسهل بكثير من الوصول إلى أجهزة الاتصال الأخرى، وله معدلات انتشار عالية في البلدان ذات الوصول المحدود إلى الإنترنت. لذلك يأمل كثيرون ممن تفاعلوا مع هذه التجربة في استمرار الدروس الإذاعية لدعم الأطفال والمعلمين خارج المدرسة.

شيماء مأمون

(محبو الاقتناء.. الهواية أولًا وأخيرًا)

يسعى المرء دومًا إلى اقتفاء أثر ما يظن فيه سبيلًا للثراء السريع، وقد يأخذه هذا الأثر في نهاية المطاف إلى لا شيء. ويعتقد البعض أن اقتناء العملات النادرة من السبل المطروقة لكثرتها من جانب الساعين وراء فرصة ثراء. فهل امتلاك العملات النادرة يمكن أن يجعل مالكها من أصحاب الملايين؟ وهل الثراء فعلًا هو الموجّه للساعين وراء العملات؟ أم أن الهواية والشغف يشغلان الساعي وراء العملات فلا يقصد غيرهما؟

يجيب عن هذه الأسئلة وأكثر خبير العملات القديمة، خالد عزب، مؤكدًا بكل حماس ووضوح: "اقتناء العملات النادرة هدفه الأساسي هو الهواية في المقام الأول". وذلك قبل أن يشرع في الحديث عن تاريخ اقتناء العملات، فيقول لـ"الأهرام": "من أهم الشخصيات التي كان لها اهتمام كبير بهذه الهواية الملك فاروق، ولعل ذلك من أسباب تسمية هذه الهواية بـ(هواية الملوك)". ويضيف عزب: "فاروق كان يملك مجموعة نادرة رائعة، ومنها العملات المطبوعة عليها صورته، وكذلك أول عشر ورقات من كل فئة".

ويحاول عزب تبسيط أسباب افتتان البعض بعملة صغيرة قد تكون قد خرجت من دائرة التداول، فيوضح: "تستهوي هذه الهواية محبيها، لأنهم يستشعرون معها عبق التاريخ، فمن يملك عملة عمرها سبعون عامًا تُعد بالنسبة له كنزًا لا يُقدّر بثمن، وينظر إليها كوسيط لرواية التاريخ وأحداثه، وليس مجرد عملة مالية لم يعد لها قيمة تداول".

ويتوقف عزب قليلًا عند تجربته الشخصية، موضحًا أن هواية اقتناء العملات بدأت معه منذ صغره وبدأ في جمعها، ليكتشف بعد فترة أنه يمتلك مجموعة كبيرة وقيمة. وظلت أهم العملات بالنسبة له هي تلك التي تحمل اسم "فلسطين"، خاصة أنها تبرهن على عراقة دولة فلسطين

وحضارتها وشعبها، رغم تكرار محاولات طمس هذه العراقة وإنكار هذا التاريخ. فالعملات تُعد بمثابة توثيق لمراحل وأحداث تاريخية مهمة.

وعمّا إذا كانت هذه العملات النادرة من الممكن أن تكون بابًا للثراء، يقرر عزب أن بعض العملات تُباع بمبلغ كبير قد يصل إلى ١٥٠ ألف جنيه، ويزيد موضحًا أن أهم المعايير المحددة لقيمة العملة هو ندرتها، فكلما كانت بالغة الندرة ارتفعت قيمتها.

وبخلاف الندرة، يأتي معيار تاريخ العملة، فكلما كان التاريخ قديمًا كانت قيمتها أعلى. وتأتي لفظة التاريخ محفزًا ليسرد عزب أهم المحطات في تاريخ إصدار العملات المصرية، فيضرب مثالًا ببدء إصدار العملات الورقية المصرية في الأول من يناير عام ١٨٩٩، بناءً على قانون ١٨٩٨. وكان أول إصدار هو ورقة الخمسين قرشًا التي يحتل منتصفها رسم "أبو الهول"، وتلاها في الإصدار "ورقة" الجنيه صاحب الجملين.

ويستكمل عزب: "أما الإصدار الثاني فكان عام ١٩١٤، وهو فئة الجنيه المطبوع عليه شكل معبد الكرنك، وتلك العملة، رغم ندرتها، إلا أنها تصبح ذات قيمة أقل بكثير من العملات التي ظهرت في الإصدار الأول". وفي عام ١٩٢٤ جاء الإصدار الثالث، وهو الجنيه المطبوع عليه الجمل، وهذا الجنيه تحديدًا يتسم بقيمته العالية، نظرًا لأنه كان ذا إصدار محدود وعناصر جمالية أخّاذة. ويأتي بعد ذلك الإصدار الرابع، الذي يُطلق عليه "جنيه الفلاح إدريس"، والذي طُبع في عهد الملك فؤاد. وكان لدى فؤاد خادم يُدعى إدريس، وعده فؤاد بأنه عندما يتولى الحكم سيطبع صورته على الجنيه، وبالفعل أوفى الملك فؤاد بوعده لخادمه في عام ١٩٢٦. وبسبب هذه الرواية التاريخية أصبح لهذه العملة منزلة وقيمة خاصة، فقد كانت هذه أول مرة يتم فيها طباعة صورة شخص على عملة ورقية، وظلت تحمل صورة الفلاح المصري البسيط حتى عام ١٩٣٠. والطريف أن الأخطاء نفسها تُعد من معايير تفرد العملات. ويوضح عزب أنه في بعض الأحيان يحدث خطأ ما في عملية تصميم أو طباعة العملة، ما يضفي على العملة الصادرة خصوصية. ويضرب مثالًا بفئة الخمسة

مليمات التي صدرت عام ١٩٧٣، وكان عليها صورة النسر، وبدلًا من أن تُصنع من مادة النحاس حدث خطأ وتم تصنيعها من مادة الألومنيوم، وباتت بفضل ذلك الخطأ من ذوات الأسعار المميزة عند توافرها.

وكذلك الحال بالنسبة لفئتي الخمسة والعشرة قروش الورقية المكتوب عليهما عام ١٩٤٠، ويوضح عزب أن هذا التاريخ ما هو إلا تاريخ إصدار قانون هذه العملة. ويُحكى أنه عندما تنحى الملك فاروق عام ١٩٥٢، وجد مجلس قيادة الثورة في مخازن مطابع البنك الأهلي عددًا قليلًا من هذه الفئة، وهي تتميز بوجود صورة الملك فاروق عليها كعلامة مائية، كما كان مكتوبًا عليها عبارة "المملكة المصرية". ولذلك فإن هذه الأعداد القليلة من هذه الفئة، إذا وُجدت، يكون سعرها ذا قيمة مرتفعة. وإن كان هذا رأي الخبراء، فما هو رأي الهواة الساعين وراء اقتناء العملات؟ يوضح الرائد طبيب أحمد مجدي لـ"الأهرام" أنه بدأ ممارسة هواية جمع العملات عندما كان في المرحلة الثانوية، وأنه يهتم تحديدًا بالعملات التي يتم إلغاؤها. وبمرور الوقت، وعندما أصبح لديه مجموعة كبيرة منها، بدأ في البحث للتعرف على قيمتها، وفوجئ بوجود سوق كبيرة للعملات، يتم من خلالها البيع والشراء عن طريق المزايدات وكذلك التبادل.

ويحكي مجدي أنه استطاع استكمال كل "مجموعات الجمهوري"، وهو مسمى يُطلق على العملات النادرة التي كانت موجودة بعد ثورة يوليو ١٩٥٢، أما العملات الخاصة بالفترة الملكية فلا يزال في مرحلة جمعها. أما أندر وأهم العملات التي باتت ضمن مجموعته، فهي فئة الخمسة جنيهات الإسترليني، التي تحمل صورة الملكة إليزابيث الثانية، وهي من الفضة ومطلية بالذهب، وكذلك الإصدار الثاني لنصف الجنيه، والذي يتميز بالتوقيع الطويل لوزير المالية.

(اجتهادات.. الوقت.. والمعرفة)

من الأقوال الشائعة إن الوقت هو المال (Time is Money)، ويُنسب هذا القول إلى بنجامين فرانكلين، أحد مؤسسي الولايات المتحدة. والمعنى أن الوقت الذي يُقضى في جمع المال هو الأهم والأثمن، وكلما ازداد هذا الوقت كان أفضل وأنفع.

والفكرة هنا أن تخصيص وقت أكثر لجمع المال يضيف إلى رصيد من يجمعه، في حين أن أي وقت آخر، باستثناء ما نحتاجه للراحة، إنما يخصم من هذا الرصيد بسبب الإنفاق في أوجهه المختلفة. ولما كان الوقت محدودًا لأن الحياة قصيرة، فهو مورد ثمين يتعين قضاء أكبر قدر ممكن منه فيما ينفع، والنافع، وفق هذه الطريقة في التفكير، هو المال.

وهذه الطريقة في التفكير تجعل الكائن البشري عبدًا للمال، فيضيع حياته في السعي إلى تكوين ثروة لا يحتاج سوى جزء صغير منها، ويترك أكثرها لمن يرثونه، دون أن يعرف ما الذي سيفعلونه بما أضاع حياته في جمعه.

وينتمي من يفعل ذلك إلى واحد من أربعة أنماط من البشر في هذا المجال. يضم النمط الثاني من توجد لديهم علاقة وثيقة أيضًا بين الوقت والمال، ولكن اضطرارًا وليس اختيارًا؛ فهم يضطرون إلى قضاء وقت طويل في عمل ذي دخل منخفض، أو أكثر من عمل، لتلبية الحاجات الأساسية لهم ولأسرهم. إنهم يبيعون وقتهم مقابل مال قليل يُبقيهم مستورين، أو يكفي بالكاد ما يحتاجونه، وقد لا يكفي.

أما النمط الثالث فيشمل من لا يدركون قيمة الوقت، أو لا يشعرون بها، فيبددونه في أشكال متنوعة من اللهو.

ويبقى نمط رابع من البشر هم الأكثر إدراكًا لقيمة الوقت، وكونه أثمن من أن يُمضى في جمع مال لا يحتاجه هذا أو ذاك منهم ما دام لديه ما يكفي

لحياة كريمة، فيقضون أكبر قدر يستطيعون منه في السعي إلى المعرفة، وزيادة أرصدتهم منها.

هؤلاء هم الذين منّ الله عليهم بنعمة الشغف بالمعرفة، علمية كانت أو فكرية وفلسفية أو أدبية أو فنية، أو مزيجًا من هذا كله أو بعضه. فهم يجدون فرحهم وبهجتهم في المعرفة، وليس في المال.

د. وحيد عبدالمجيد

(الديمقراطية هي الحل.. كلما علا صعبت رؤيته!)

السنين حسابيًا قد تختلف عن السنين واقعيًا، فحياة أي إنسان ليست هي مجرد سنوات عمره؛ فبعض الناس تطول أعمارهم دون أن يدخل ذلك في حساب الحياة، وبعض الناس تبقى حياتهم دون أن يدخل ذلك في حساب الأعمار. في أفق هذا المعنى، وبعد أن مر عام على هذه اللحظة الحزينة من الزمان التي خلت برحيل رجل كان وجوده "نصرًا للحياة"، بعثت به الأقدار إلى الحياة مبشرًا بقيم جديدة ليزيد الحياة حياة، مفكر تجاوز جميع الألقاب التي تسبق الأسماء عامة، وهو أهم صحفي في القرن العشرين. لم يكن الأستاذ محمد حسنين هيكل مجرد "جرنالجي" فحسب، وإنما كان «معلمًا من ذلك الطراز الذي لا يظهر عادة إلا في عصور الانتقال، عندما تسقط الحواجز بين المعرفة والحياة». ما من صحفي حقيقي يشتغل بالصحافة وتجري في دمائه عطرها، إلا وسوف يحمل شيئًا من الأستاذ محمد حسنين هيكل.

عرفته كاتبًا يقيم في لغته. الكلمة عنده هي أقدم الكائنات الفنية الحية، يقف من حرمتها وشعائرها موقف الخاشع، هي موطنه الأصلي. عرفت الأستاذ هيكل كالفضاء يحتضن حتى الطيور التي تتمرد عليه. عرفته "مفكرًا مضيئًا" هادئ الطبع، متوقد الذهن، ما رأيته مرة يغضب برفق من النقد، أو يحتج بأدب، أو يدافع عن نفسه بالمنطق المعتدل النبرات، وإنما دائمًا ما كان يترفع بابتساماته المنعشة أمام التخرصات.

كان "الأهرام" هو عشه وعشقه أيضًا. يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل عن الأهرام: «كان طوال الوقت بيتي، وكل من فيه أهلي، وكنت دائمًا أشعر بالألفة مع كل شيء فيه، من البشر إلى الحجر، ومن الورق إلى الماكينات، وحتى تلك الأجيال التي لم يسعدني الحظ بأن أتعرف إليها أو أعمل معها». ثم يمضي الأستاذ هيكل كاشفًا عن ضعفه المستحب فيقول عن هذه المعشوقة الخالدة التي وقع في هواها "الأهرام": (أنا عندي ضعف تجاه "الأهرام" في كل ظروفه وأحواله، ودائمًا كنت موضع اتهام بأن هذا غرام أساسي في حياتي).

إن الكاتب، أي كاتب، كالطائر لا يستطيع أن يحلق عاليًا إلا بمقدار ما تستطيع أجنحته أن تحمله. وإن نبرة الفرح الحقيقي لا يرن صداها إلا من وسط فروع الشجرة التي عرفها وألفها، وهجع مع الغروب وتيقظ مع الفجر في أحضانها.

لنتعرف كيف استطاع الأستاذ هيكل أن يحتفظ بهذا الوهج، وهو أينما ذهب أخذ معه الضوء، وكيف كان يعتمد على أوراقه وخرائطه الملاحية الموثقة ليظل قادرًا على الإبحار في المياه العميقة، ومواجهة العواصف والأعاصير، لتتوثق العلاقة بينه وبين قارئه.

كان دائمًا ما يترفع عما لا لزوم له، أمام تخرصات أولئك الذين اتخذوا موقعهم أصفارًا على شمال الوطن؛ ماضيهم كلنا نعرفه، وحاضرهم كلنا نراه، ومستقبلهم كلنا نرفضه. لكل منهم ضمير له ألف لسان، وكل لسان عليه ألف حكاية، كأن يزعجه أن يرى قوة مصر وطاقتها الخلاقة تتسرب من شراييـنها وتذهب إلى العدم بددًا.

«دار العودة»: تلك هي العبارة التي اختارها الأستاذ عنوانًا منحوتًا على مدخل مدفنه. وقفت وقفة المتجمد أمام هذا العنوان أتحسس حروفًا أخرى، كُتبت تحته منقوشة على نفس القطعة من الرخام الصماء: «أسرة هيكل». أتصوره بخيالي في "مرقده"، ورحت أردد بيني وبين نفسي: هل هي مجرد غفوة بعدها تفيق؟ كنت أحاول أن أقنع نفسي بأنك فقط مستسلم لنوم عميق، وسرعان ما اكتشفت أنني أهذي، لكن يبدو أن بعض الهذيان عقل.

ومضيت، وبين جوانحي رجع صدى راح يتردد، وقد جاء من الأعماق، يتعثر في الأحزان، يقول: هنا يرقد إنسان عظيم، وهنا تُبلى عظامه. ما أفظع الحياة. ثم وضعت على المقبرة زهرة انعقد الدمع في رموشها، ومضيت عائدًا إلى الطريق. لم يكن ثمة أحد سواي، وكان الليل قد بدأ يغلق عينيه، وإذا الطرق تبدو عند نهايتها كأنها وصلت إلى تيه لا يظهر عليه أفق. وتخيلت أنني أسأله هامسًا: من ندعو إذن لكي نطهر حقول

اللغة من ألغام الكتابة؟ أسئلة أطرحها مختنقًا بالتأثر، فإذا الإجابة تجيء خرساء بالعجز.

يبقى أننا أمام لغز يزيده التفكير ألغازًا. كل يوم يغيب عنا جزء عزيز منا، وكل يوم يتلاشى أغلى ما فينا، ويظل بحثنا عمن يطول غيابها. وحين يعود، يصبح حضوره غيابًا آخر. يبقى أنه رغم علمنا منذ بعض الوقت أن هذه اللحظة ستأتي، إلا أننا كنا نخشاها، لكنها الحقيقة، وأمام الحقيقة لا نملك إلا الدعاء، وأن نروض أنفسنا على الفراق.

أستاذ هيكل، نحن تلاميذك نتحرك بعيدًا، لكننا سنظل نحمل همومك ونرى الأشياء بعينيك!

د. محسن عبد الخالق

(حكايات من أروقة "دار الحكمة" ١٠٠ عام على تأسيس "الجمعية الطبية المصرية")

تفضل صاحب الجلالة الملك فاروق الأول، حفظه الله وأدام ملكه، بافتتاح دار الحكمة التي أنشأتها الجمعية الملكية الطبية المصرية، بحضور صاحب الدولة حسين سري باشا رئيس مجلس الوزراء، وحضرات أصحاب المعالي الوزراء، وحضرة صاحب المعالي الدكتور علي إبراهيم باشا رئيس الجمعية. "١٧ مايو ١٩٤١".

احتفاء واجب وإن تأخر...

تفاصيل كثيرة تجذب انتباه كل من يتجول بطوابق ذلك المبنى التاريخي العريق، الكائن بشارع قصر العيني. فالبداية بقاعات الاستقبال والمكاتب الملحقة والمجهزة بقطع أثاث فريدة يغلب عليها فنون الأرابيسك المُطعم بالصدف. مع قطع الأثاث التي تشكل تحفة في حد ذاتها، يوجد جهاز راديو قديم وبعض الصور التي يحكمها القدم، وبين هذه التفاصيل تبرز لوحة قديمة لرجل وقور مهيب الهيئة متقلدًا الأوسمة هو الدكتور علي باشا إبراهيم، أول عميد مصري لطب قصر العيني.

تفاصيل كثيرة تحكيها أروقة المبنى، وجدرانه، والمخطوطات النادرة التي حولتها المكتبة العامة لدار الحكمة. ولعل أهم تلك المخطوطات ما يثبت كيف نقلت مصر علوم الطب الحديث عن أهل أوروبا قبل مائتي عام، وأن اهتمام شباب أطباء مصر بالفكر والمعرفة وبتدعيم الهوية الوطنية للقطاع الطبي المصري كان وراء إصدارهم "المجلة الطبية المصرية"، وجاءت "المجلة" لتسبق تشكيل الكيان المؤسسي، وهو "الجمعية الطبية المصرية"، التي باتت لاحقًا "نقابة الأطباء المصرية"، وجاءت المجلة أيضًا سابقة على تأسيس المقر المميز للجمعية، الذي بات يُعرف بـ"دار الحكمة".

يأتي الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس "الجمعية الطبية المصرية" متأخرًا، حيث كان يفترض أن يجري قبل عامين في ٢٠٢٠، ولكن أحكام "كورونا" لم تترك مجالًا لقيام احتفال وتنظيم جمع من الأطباء بما يليق بأهمية المناسبة.

واليوم يُجرى الاحتفال بتجديد الاهتمام بالتاريخ الثري للجمعية، وفي هذا السياق يوضح الدكتور عادل عدوي، رئيس الجمعية ووزير الصحة الأسبق: "العيد المئوي فرصة مناسبة لقراءة تاريخ مهنة الطب في مصر، وفرسانها الذين أسهموا في تأسيس مدارس علمية في مختلف التخصصات الطبية، ونقل خبراتهم للعالم العربي وإفريقيا، إضافة إلى تقديم الخدمات الصحية طوال عقود طويلة".

محمد علي وكلوت بك:

ويشرح الدكتور عدوي: "وفقا للتاريخ، بدأ تدريس الطب الحديث في مصر خلال عهد محمد علي باشا، وتحديدًا في أكتوبر عام ١٨٢٧، من خلال تأسيس المدرسة الطبية، التي كانت ملحقة لأول مستشفى عسكري بأبو زعبل. وقاد عملية التأسيس الطبيب الفرنسي أنطوان برثليمي كلوت Antoine Barthelemy Clot أو "كلوت بك"، فقد عمل مع عدد من الأطباء الأوروبيين على اختيار مائة طالب من الأزهر الشريف لدراسة الطب باللغة العربية ولمدة ٥ سنوات.

وفي عام ١٨٣٢ تخرجت أول دفعة من الأطباء، وتم إيفاد الأوائل لفرنسا للامتحان واستيفاء دراساتهم، ليعودوا بعد ذلك ليمارسوا مهامهم مدرسين للمهنة وأطباء. وفي عام ١٨٣٧ تم نقل مدرسة الطب إلى قصر العيني، وتتابع على إدارتها أطباء من فرنسا وألمانيا وإيطاليا. وفي عام ١٨٨٣ تم تغيير لغة التدريس بها إلى الإنجليزية.

ويشير الدكتور عدوي إلى أن من الأمور اللافتة كون نشاط الجمعية بدأ قبل تأسيسها بسنوات قليلة، وذلك بإصدار "المجلة الطبية المصرية" في الأول من أبريل ١٩١٧، من خلال تضافر جهود نخبة من خريجي مدرسة

قصر العيني الذين سعوا لإصدار مجلة علمية ومتخصصة في نشر الأبحاث الطبية للأمراض المتوطنة في مصر، وباتت تلك المجلة تصدر بانتظام باللغة العربية، وانضوى تحت لوائها أغلب الأطباء.

وفي ١٦ يناير ١٩٢٠ اجتمع ٤٢٠ طبيبًا بدار المجمع العلمي بالقاهرة وقرروا إنشاء الجمعية الطبية المصرية، على أن تكون "المجلة" هي لسان حال الجمعية، واختاروا الدكتور عيسى باشا حمدي شيخ الأطباء وناظر مدرسة الطب الأسبق رئيسًا للجمعية. أما الدكتور علي باشا إبراهيم، فبات وكيلا لها، ليتولى لاحقًا رئاسة الجمعية. وعمل علي باشا إبراهيم على إنشاء "دار الحكمة" كمقر للجمعية عام ١٩٤١.

ويُعد المبنى تحفة فنية أثرية، وبداخله مكتبة طبية تحوي مجموعة ضخمة من الدوريات العلمية، وأمهات الكتب ذات القيمة التاريخية. كما أنه مجهز بقاعة للمحاضرات والمؤتمرات. وحتى الوقت الراهن، يضم المبنى مقر الجمعية الطبية المصرية، ومقارًا للعديد من الجمعيات العلمية، بالإضافة إلى نقابة الأطباء.

ويوضح الدكتور عدوي أنه في سبيل تحقيق أغراض الجمعية أسهم الأطباء المؤسسون في تكوين ٤٥ شعبة في فروع الطب المختلفة، وخرج من تحت لوائها العديد من الجمعيات. ومنذ عام ١٩٢٨ عقدت الجمعية العديد من المؤتمرات الدولية والمحلية، من أهمها "المؤتمر الدولي لطب المناطق الحارة"، الذي عقد بالقاهرة عام ١٩٤٤، ثم تقرر إضفاء بعد عربي لنشاطها عام ١٩٣١، وذلك بعقد مؤتمر كل عامين بإحدى المدن العربية، وكان أول هذه المؤتمرات من نصيب بيروت، والثاني عقد في القدس، وبعدها عقد في دمشق، ثم في بغداد.

وفي عام ١٩٦١، كان من أهم توصيات المؤتمر الطبي العربي التاسع والعشرين، الذي عقد بالقاهرة، إنشاء منظمة صحية عربية تعمل داخل نطاق "اتحاد الأطباء العرب" للقيام بدراسات للأمراض الشائعة والوافدة في البلاد العربية، وذلك بالتعاون مع جامعة الدول العربية. وجاء بعد ذلك

إنشاء اتحاد الأطباء العرب عام ١٩٦١ كإحدى الفاعليات التابعة لـ"الجمعية الطبية المصرية".

كما أعدت الجمعية أول دراسة متكاملة للممارسة الطبية العامة عام ١٩٨٦، و"زمالة أمراض الكلى" عام ١٩٨٧. كما قامت الجمعية وشُعبها المتخصصة بعمل جميع الدراسات والمقررات ومراجع التدريب ونظم التقييم والامتحانات والمتابعة الخاصة بسبعة تخصصات طبية، تمنح بمقتضاها شهادات مهنية طبية تخصصية. وكانت هذه الجهود هي الأساس لإنشاء المجلس المصري للتخصصات الطبية، التابع للمجلس الأعلى للجامعات.

وعن المستقبل، يؤكد الدكتور عدوي أن الجمعية تسعى لمواكبة متطلبات العصر وتحدياته، وإعادة تنسيق المنظومة الكبرى، وهو الدور الذي قامت به منذ إنشائها، أن تصبح هي الجهة الوحيدة المسئولة عن اعتماد المؤتمرات الطبية ومقرراتها طبقًا للمعايير العالمية.

أشرف أمين

(خدعوك فقالوا)

هناك مقولات كثيرة في مجال الغذاء والتغذية تندرج بامتياز تحت عنوان "خدعوك فقالوا".. وإليكم بعضها:

• (الجبن الأبيض "الدمياطي" الجيد هو الذي توجد به ثقوب.. والصحيح أن وجود ثقوب في الجبن الأبيض دليل على تلوث هذا الجبن ببكتريا القولون "ومصدرها مخلفات الإنسان"، حيث تنتج غازات تتسبب في تكوين هذه الثقوب، لذا فالجبن الذي توجد به ثقوب ملوث ببكتريا ضارة وغير صالح للاستهلاك الآدمي).

• (الفواكه والخضراوات التي يسود لونها عند تقطيعها تعد من المصادر الغنية بالحديد).. والصحيح أن تقطيع الفواكه والخضراوات يؤدي إلى زيادة المساحة السطحية، ومن ثم زيادة نشاط إنزيمات مؤكسدة، والإنزيمات عوامل تحفيز للتفاعلات الحيوية، حيث تساعد هذه الإنزيمات، في وجود الهواء، على أكسدة بعض المركبات الموجودة بالفواكه والخضراوات "عديدات الفينول" وتحولها إلى مركبات بنية اللون، إذن لا توجد أي علاقة بين هذا اللون البني ومحتوى الفواكه أو الخضراوات من الحديد.

• (تناول الفواكه مباشرة بعد تناول الوجبة الغذائية ضار بالصحة)، حيث يقول البعض ذلك على غير الحقيقة بحجة أنها تتخمر.. وهي مقولة لا أساس لها من الصحة. إذ إن عمليات الهضم تتم في تناغم وارتباط، وهي معجزة إلهية بكل المقاييس، والدليل أن كل وجباتنا تحتوي على الكربوهيدرات "ومنها السكريات" والبروتينات والدهون، ويتم هضمها جميعًا دون تعارض.

• (تناول المياه الغازية في أثناء الأكل يساعد على عملية الهضم).. وهذا غير صحيح، حيث إن المياه الغازية "مكربنة"، أي أنها تحتوي على غاز ثاني أكسيد الكربون، بالإضافة إلى مركبات أخرى منها السكر، ولذا فإن

تناولها يزيد من السعرات الحرارية التي يحصل عليها الإنسان بلا أي تأثير إيجابي على عملية الهضم.

• (أكل الفول البلدي "المدمس والطعمية" مرتبط بعدم الذكاء).. والحقيقة أن الفول من البقوليات المهمة التي لها قيمة غذائية عالية لما تحتويه من بروتينات وكربوهيدرات وعناصر معدنية وفيتامينات، بالإضافة إلى الألياف الغذائية التي ثبت أن لها أهمية قصوى في تنظيم عملية الهضم، على الرغم من أنها لا تهضم ولا تمتص بجسم الإنسان. كذلك فإن قشور البقوليات الملونة، ومنها الفول البلدي، تحتوي على مضادات أكسدة تحمي الإنسان من الإصابة بأمراض خطيرة.

• (لا تتناول الأسماك خلال الشهور التي تخلو أسماؤها من حرف الراء).. قد تكون هذه المقولة صحيحة في زمن مضى، فالأسماك من الأغذية سريعة التلف، ولا سيما في فصل الصيف "مايو، يونيو، يوليو، أغسطس". أما الآن وبعد التقدم الكبير في تقنية الحفظ بالتبريد والتجميد، فإن هذه المقولة أصبحت من الماضي.

• (تخلص من الأجزاء المعطوبة من الثمار فقط وتناول الباقي).. والحقيقة أن وجود أجزاء معطوبة بثمار الفاكهة أو الخضراوات دليل على وجود تلوث ميكروبي "الفطريات كمثال"، وقد تفرز هذه الميكروبات مركبات ضارة تنتشر في باقي أجزاء الثمرة التي قد تبدو بالعين المجردة أنها سليمة، إذن عليك ألا تتناول الثمرة المعطوبة بكاملها.

د. محمد محمود يوسف

سكرتير عام الجمعية العلمية للصناعات الغذائية

(معروفون بأسماء الشهرة)

في كلمته بـ"بريد الأهرام" تحت عنوان (تكريماً لهم)، اقترح الأستاذ محمود وليد أحمد بدر تسليط الضوء على نجوم الصف الثاني من الفنانين، الذين اشتهروا فقط بأسمائهم الفنية. وإليكم نبذة مختصرة عن الفنانين الذين ذكرهم في كلمته:

شرفنطح: محمد كمال المصري المعروف بشرفنطح (١١ أغسطس ١٨٨٦ ــ ٢٥ أكتوبر ١٩٦٦). وُلد في شارع محمد علي بالقاهرة، اختار لنفسه اسم شرفنطح من خلال إحدى الشخصيات التي جسدها. التحق بمدرسة الحلمية الأميرية، وكان أحد أعضاء فرقة التمثيل بها، ثم التحق بفرق سلامة حجازي وسيد درويش ونجيب الريحاني. وكان يجسد الشخصية الكوميدية للرجل الضئيل المكار، مثل ناظر المدرسة في سلامة في خير، والأسطى عكاشة صاحب صالون دقن الباشا في الآنسة ماما، وشملول زوج ضريبة هانم في عفريتة إسماعيل يس، لكنه ظل مشهوراً بلقبه المتميز شرفنطح.

أدى آخر أدواره عام ١٩٥٤ في فيلمي عفريتة إسماعيل يس وحسن ومرقص وكوهين، ثم هاجمه مرض الربو فقرر الاعتزال والانزواء في مسكنه الصغير بحارة ألماظ، يعاني الفقر والوحدة، ولم يكن له أبناء. رحل عن عالمنا ولم يعلم أحد بوفاته إلا عندما أتى موظف النقابة لتسليمه المعاش، وحين طرق بابه ولم يُفتح، خرج الجيران ليقولوا له: "عم شرفنطح مات."

الخواجة بيجو: محمد فؤاد راتب وشهرته الخواجة بيجو (١ مايو ١٩٣٠ ــ ١٨ يونيو ١٩٨٦)، من مواليد الزقازيق. تخرج في كلية التجارة عام ١٩٤٩، والتحق بوظيفة باتحاد الصناعات. دخل الإذاعة وهو في السابعة من عمره، وكانت انطلاقته الحقيقية عام ١٩٥٢ مع فرقة (ساعة لقلبك)، حيث اشتهر بدور الخواجة بيجو، وشكل مع أبو لمعة ثنائياً مبهراً،

واشتهر ببعض العبارات منها: "يالخوتي"، "يا النافوخ بتاع الأنا"، "يا نور النبي". سافر إلى الكويت عام ١٩٦٨ للعمل بشركة الأسمدة الكويتية حتى عام ١٩٧٢، ثم التحق بالتليفزيون الكويتي. أصيب بالشلل النصفي عام ١٩٧٥، ولكن التليفزيون الكويتي ظل متمسكاً به حتى عاد إلى مصر عام ١٩٧٨، حيث توفي إثر أزمة قلبية. أبو لمعة: محمد أحمد المصري المعروف بأبو لمعة المصري (١١ فبراير ١٩٢٤ ــ ٤ مايو ٢٠٠٣). وُلد بالزقازيق، وحصل على بكالوريوس الفنون التطبيقية، ثم دبلوم معهد التربية للمعلمين. عمل مدرسا فناظراً للمدرسة السعيدية، وانضم إلى فرقة (ساعة لقلبك)، وأدى شخصية أبو لمعة، حيث كون ثنائياً مع فؤاد راتب (الخواجة بيجو)، ومثل في العديد من المسرحيات والمسلسلات التليفزيونية، وبعض برامج الفوازير حتى توفي عام ٢٠٠٣.

الدكتور شديد: محمد فرحات عمر، وشهرته الدكتور شديد (١٢ أغسطس ١٩٣١ ــ ١٢ يوليو ١٩٩٧). وُلد بحي العباسية، وحصل على ليسانس آداب، قسم فلسفة من جامعة القاهرة عام ١٩٥٤، كما حصل على درجتي الماجستير والدكتوراة في الفلسفة. عمل مدرسا في البداية، ثم انضم إلى فرقة (ساعة لقلبك)، وجسد شخصية الدكتور شديد التي اشتهر بها في كثير من المسرحيات والأفلام.

شكوكو: محمود شكوكو إبراهيم إسماعيل موسى (١ مايو ١٩١٢ ــ ٢١ فبراير ١٩٨٥)، وُلد في إحدى حواري الجمالية الشعبي بالقاهرة. شكوكو هو اسمه الحقيقي. اشتغل بالنجارة مثل والده وجده حتى غلبت عليه موهبته فاقتحم مجال التمثيل والمنولوج بجانب عمله، حيث كانت له ورشة نجارة خاصة به. اشتهر بالجلباب البلدي والطاقية الطويلة التي يضعها على رأسه أثناء الغناء والتمثيل، ومن شدة إعجاب أحد النحاتين به، صنع له تمثالا وعرضه للبيع، ومن هنا انتشرت تماثيل شكوكو في جميع أنحاء مصر، وأطلق عليه البعض لقب (شارلي شابلن العرب). له تراث فني متنوع، ومنها إحياؤه فن الأراجوز مرة أخرى.

د. أنس عبدالرحمن الذهبي

(كيف تكتب سيرتك الذاتية؟)

وهذه بعض الإرشادات التي ينصح بها المتخصصون عند كتابة السيرة الذاتية:

- تعتبر سيرتك الذاتية إعلاناً عنك، لذلك يجب أن برزه بأكثر من طريقة وشكل للفوز بأفضل الوظائف المناسبة لك. والتي تلائم امكاناتك.

- عليك أن تتسم بالصدق، وعدم المبالغة، لأن ذلك سوف يعرضك لفقدان الوظيفة وأيضا لفقدان ثقة الناس بك بعد ذلك، لذلك يجب عليك أن تكون صادقا في كل كلمة.

- أكتب مؤهلاتك وخبرتك بمنتهى الدقة.

- يجب أن تخلو سيرتك الذاتية من أي أخطاء إملائية.

- يفضل ألا يزيد عدد صفحات سيرتك الذاتية على صفحتين، فإن اصحاب العمل لا يعطون – في الغالب – وقتا طويلا لكل سيرة نظرا لكثرة عدد المتقدمين للوظيفة.

- لا تكتب الراتب الذي تتوقعه في سيرتك الذاتية، بل اترك مؤهلاتك وخبراتك تجعل صاحب العمل يقدر الراتب الذي تستحقه، فالسيرة الذاتية ليست مرحلة للتفاوض بشأن الراتب المناسب الذي تستحقه.

- لا تكتب في سيرتك الذاتية سبب تركك للعمل السابق، بل اترك ذلك للمقابلة الشخصية إذا سألك صاحب العمل الجديد، وتجنب استخدام ألفاظ تسيء إلى أصحاب العمل السابقين، لأن ذلك من شأنه أن يقلق صاحب العمل الجديد.

- لا تحاول استخدام الرسوم والأشكال الفنية داخل سيرتك الذاتية، لأن المساحات البيضاء تساعد على التركيز على الجزء الهام في السيرة.

- ارسل خطابا مختصرا مع الـ C.V تطلب فيه التقدم لشغل الوظيفة.

محتوى السيرة الذاتية:

١- ابدأ سيرتك الذاتية بوضع اسمك في منتصف الصفحة، واكتب اسمك كاملا ولا تكتب أية ألقاب مثل السيد/... أو الآنسة/.... ولا تعط عنوانا للصفحة مثل السيرة الذاتية لفلان.

٢- ضع رقم تليفونك الذي يسهل الوصول إليك، وعنوان البريد الالكتروني الخاص بك (إذا كان لديك عنوان بريد الكتروني) بعد اسمك مباشرة بعد عنوان منزلك.

٢- اكتب بياناتك الشخصية بعد ذلك مثل الحالة الاجتماعية. والجنسية. وتاريخ الميلاد. ثم موقفك من الخدمة العسكرية أو الخدمة العامة.

٣- المؤهلات العلمية، فيجب أن تعرض في سيرتك الذاتية مؤهلاتك وتاريخ حصولك عليها من الأحدث للأقدم. مثال – بكالوريوس تجارة – جامعة القاهرة عام ٢٠٠٠، ثانية عامة – المدرسة التجريبية للغات ١٩٩٦.

٤- الوظائف التي شغلتها قبل. ومدة عملك بكل منها. على سبيل المثال: - خبرة سنتين في مجال مبيعات (بشركة تسويق منتجات) – خبرة سنتين في مجال العمل الحر – خبرة ثلاث سنوات في مجال صيانة الكمبيوتر بشركة كمبيوتر.

٥- الدورات التدريبية التي حصلت عليها – دورة تدريبية في أساسيات كيفية التعامل مع الكمبيوتر – دورات تدريبية في اللغة الانجليزية.٦

٦- الإنجازات أو الخدمات التطوعية التي قمت بها مثل:

٧- قمت بخدمة ذوي الاحتياجات الخاصة، والعمل على رعايتهم.

٨- كنت قائدا لفريق الجوالة مدة ثلاث سنوات

ولا تنس في النهاية عزيزي الشاب أن تقوم بتجديد سيرتك الذاتية في حالة حصولك على خبرة جديدة مثل الحصول على دورات جديدة في مجال الكمبيوتر أو تعلم لغة جديدة.

(منوعات مايو.. انطلاق "الإذاعات الأهلية".. وهدية يوسف كمال ووداع الرافعي)

هو ذلك الشهر الفاصل في مصر بين تقلبات الربيع وحرارة الصيف الصريحة بلا مواربة. هو مايو الذي جاء محملاً بمزيج من الأخبار وفصول التاريخ الجديرة بالتأمل، ففي مثل هذا الشهر من عام ١٩٠٨، بدأت مسيرة مدرسة الفنون الجميلة في مصر بمنحة من فنان محب متنوع المذاهب الفنية والعلمية، هو الأمير يوسف كمال.

وفي مايو العشرينيات، كانت بداية تجربة بالغة الأهمية رغم ما أثارته من جدل واسع، وهي تجربة "الإذاعات الأهلية" في مصر التي انطلقت في النصف الثاني من العشرينيات حتى ٢٩ مايو ١٩٣٤، قبل يومين من انطلاق الإذاعة الرسمية للدولة المصرية، فجمعت تجربة "الإذاعات الأهلية" ما بين الصالح والطالح، وكانت ديوانًا للتواصل والتنابذ الاجتماعي والاقتصادي قبل عقود طوال من إطلاق حرية التواصل والتنابذ عبر الصفحات الإلكترونية.

وفي مايو عام ١٩٣٧، ودع أهل الكلمة والأدب الأديب العلامة مصطفى صادق الرافعي وداعًا زاده الشعر، بما يليق بصاحب القلم ووحيه.. وذلك كله وفقًا لـ "الأهرام".

ـ"شكوى رب عائلة" من الإذاعات الأهلية:

في ٣١ مايو ١٩٣٤ كان بدء بث الإذاعة المصرية، ولكن ذات الشهر شهد البدايات التمهيدية لمؤسسة الإذاعة، وذلك عبر تجربة المحطات الأهلية التي تم السماح بانطلاقها في ١٠ مايو ١٩٢٦، وبقدر ما شكلت هذه المحطات بداية مهمة لفكرة العمل الإذاعي في مصر، بقدر ما أثارت الجدل وفتحت باب التفكر في القواعد والمعايير التي يتوجب توفرها في المادة المسموعة عبر الأثير.

وعكست "الأهرام" في تغطياتها خلال عشرينيات القرن الماضي ما كان من جدل "الإذاعات الأهلية"، والتي اختفت من على الأثير في ٢٩ مايو ١٩٣٤. ووفقًا لـ "الأهرام" وفي العدد الصادر بتاريخ ١٩ أغسطس ١٩٢٩، جاء العنوان التالي: "الإذاعة اللاسلكية: شكوى رب عائلة"، وورد فيه:

"شكا إلينا (رب عائلة) من إقدام بعض محطات الإذاعة اللاسلكية (الراديو) على إذاعة أقوال من شأنها أن تفسد أخلاق العائلات وتغري السيدات والسذج بارتكاب أعمال لا تتفق والكرامات، وضرب المثل على ذلك بما أذاعته إحدى المحطات من حادث ضرب موظف زوجته، وتحريض الزوجة التي يحدث لها هذا على أن تذهب إلى مقر عمل زوجها وتثأر لنفسها منه أمام زملائه ومرؤوسيه، وقد طلب إلى إدارة الأمن العام أن تحول بين إذاعة مثل هذه المبادئ الضارة"...

كان هذا جانبًا من الجدل الذي أثارته تجربة "الإذاعات الأهلية"، والتي مكنت كل صاحب قدرة على افتتاح إذاعة وبث ما يريد، سواء كان فيه الخير أو مضمونه عداوة مع أحدهم أو ذمًّا في بعضهم، أو نشرًا لآراء وألفاظ لا خير فيها. ولكن التجربة في مجملها استمرت فترة طويلة، ونتج عنها عدة إذاعات، مثل تلك التي خرج "الأهرام" في أحد أعداده بخبر إطلاقها، وذلك كالتالي:

"يحتفل في الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم بافتتاح (محطة فيولا) للإذاعة بالراديو في دارها الجديدة بعمارة الأوقاف بأول شارع الأمير فاروق، ويبلغ طول موجة هذه المحطة ٢٤٨ مترًا، وقوتها الكهربائية ١٥٠٠ وات، ويتولى إدارتها المهندس المعروف حبشي جرجس أفندي لصاحبتها الآنسة فيوليت كنعان، أستاذة البيانو المعروفة في القاهرة. وستستمر الحفلة إلى ساعة متأخرة من الليل، تذاع في أثنائها منولوجات وأدوار غنائية وقطع موسيقية لعدد كبير من أقدر المطربين والموسيقيين في مصر".

ولكن الجدل تصاعد وبلغ حد كتابة الصحفي المخضرم ورئيس تحرير "الأهرام" الأسبق أحمد الصاوي محمد (١٩٠٢-١٩٨٩)، متناولًا فوضى "الإذاعات الأهلية" عبر عموده الشهير "ما قل ودل". ذلك التناول فتح بابًا واسعًا للحوار حول مصير التجربة.

فوفقًا للأهرام، وفي العدد الصادر بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٣٣، كتب الأستاذ علي فكري، الأمين الأول لدار الكتب المصرية، يساند الصاوي في موقفه المنتقد لحال الإذاعات الأهلية. فقال:

"قرأت في جريدة الأهرام الغراء كلماتك الطريفة الظريفة بشأن نكبة (الراديو) وما حواه من المفاسد والمخازي، تلك النكبة التي أصابت الأخلاق في كبدها لإذاعته على الناس من فحش القول ما لا يجوز السكوت عليه.. بالأمس كنا نشكو من (الفونوجراف) وانتشاره في مصر والأرياف، ونغيب على من يشتري اسطوانات الأغاني الهزلية المعروفة بالطقاطيق، حتى داهمنا الراديو، فأصبح الفونوجراف في خبر كان، وانتشر الراديو في كل مكان بأسلاكه الكهربائية وتياراته وموجاته الهوائية.. بالأمس كنا نشكو من الأغاني المبتذلة ونلوم من يذهب إلى الأزبكية لسماعها، ومن يدحل محل اللهو والمراقص البلدية، فأصبح الآن بفضل الراديو، أو بعبارة أخرى، بفضل المدنية الحديثة، في كثير من البيوت مجموعة محال اللهو، كأن الأزبكية انتقلت إلى كل دار.. نمشي في شارع محمد علي مثلا، فلا نجد من أوله إلى آخره قهوة بلدي صغيرة أو دكان مزين أو حلوانية.. غلا وفيه آلة الراديو، وإن شئت قلت آلة الردح والقدح.. ونحن نلوم الأهالي الذين أصيبوا بحب التقليد الأعمى في كل شيء، وأساءوا استعماله. كما أننا نلوم أصحاب محطات الراديو في نشر الأغاني المبتذلة".

يسرا الشرقاوي

(مدرسة الفنون الجميلة.. كل مصري يقابل هذا العمل بالمسرة)

في ١٢ مايو ١٩٠٨، فتحت مدرسة الفنون الجميلة أبوابها أمام الراغبين في الانضمام لها دون قيد أو شرط يتعلق بالسن أو الدراسة التمهيدية أو حتى تسديد مصروفات بعينها. كان الغرض كله تلبية حاجة الراغبين في الاطلاع على أصول الفنون وتاريخها، ومن حينها مرت "مدرسة الفنون الجميلة" بعدة مراحل فارقة لتصبح كلية الفنون الجميلة، وبعدة عناوين للإقامة من "درب الجماميز" إلى "السيدة زينب" و"حي شبرا" وحتى "حلوان"، ولكن يظل للبدايات سحرها الفريد، فقد كانت بدايات لوجه الفن خالصًا.

وفقًا لـ "الأهرام"، وفي العدد الصادر بتاريخ ٢٥ أبريل ١٩٠٨، كانت البشارة تحت عنوان "مدرسة الفنون الجميلة"، وأدنى العنوان جاء ما يلي:

"يبشروننا بأن دولة البرنس يوسف بك كمال قد عزم على التبرع بإنشاء مدرسة لتعليم الفنون الجميلة مجانًا في سرايا درب الجماميز، وقد نُيط بالمسيو لابلاني إدارة هذه المدرسة وتعليم فن الحفر، ونيط بالمسيو هنري لابين تعليم فن هندسة العمارة وتاريخ هذا الفن، وبالمسيو فارشللا للرسم والتلوين".

وجاء في نص الموضوع الصحفي ذاته:

"وتقبل المدرسة الطلبة من كل جنس ودين، وقد جاء في بروغرام المدرسة المذكورة أنها تشتغل من الساعة ٨ إلى الظهر بالرسم لكل الطلبة، ومن الساعة ٤ إلى الساعة ٦ بعد الظهر بالتلوين والحفر والعمارة، وتركيب الألوان، وفن الزينة، ورسم الخطوط، ودرس الفنون الجميلة عند القدماء، وتطبيق العلم على العمل بزيارة البنايات الكبيرة الشهيرة".

ولم تنته الأخبار السعيدة هنا، فوفقًا لـ "الأهرام"، وفي كل سنة يرسل أنجح طالب على نفقة دولة صاحب المشروع إلى مدرسة الفنون الجميلة في باريز ليصرف في إتمام دروسه مدة سنتين. ويكتب الطلبة الذين يريدون دخول هذه المدرسة أسماءهم من ٢٧ الجاري فصاعدًا. لا شك عندنا بأن كل مصري يقابل هذا العمل بالمسرة والارتياح، وأملنا أن يقبل الطلبة على هذه المدرسة كل الإقبال، وأملنا أن توجه المدرسة نظرها واهتمامها بنوع أخص إلى الفنون الشرقية، لأننا بحاجة إلى تلك الفنون في مصر من الآثار وبقايا تلك الفنون ما يمكنها من ذلك.

"وفي العام التالي مباشرة، جاء قرار الأمير يوسف بك كمال بتشييد قسم 'فرنساوي' بالمدرسة الناشئة، وذلك لتوسيع مداركهم ومعارفهم في الفنون التي يتعلمونها". وكانت هذه بدايات المدرسة التي كان أول طلابها النحات الرائد محمود مختار والفنانون العظام راغب عياد ومحمد حسن.



محمد إقبال

(محمد إقبال.. وحديث الروح)

تفاخر أحدهم بالقول: طرحتُ أربعة عشر برهانًا في إثبات وجود الله، فردّ عليه شمس التبريزي: أتقدم إليك بالشكر الجزيل بالنيابة عن حضرة الله. يا رجل، أجدر بك أن تبرهن على نفسك، فالله ليس بحاجة إلى براهينك!

اتخذ الفيلسوف محمد إقبال مقولة التبريزي قانونًا: الدين، والحضارة، والثقافة، والمعارف، والمسؤوليات، والحقوق، ينبغي ألا تكون مجرد ترف فكري أو معارف عبثية، أو بعيدة عن نبض الواقع.

وُلد إقبال (١٨٧٧–١٩٣٨) في مدينة سيالكوت (باكستان). تعود جذوره إلى أسرة هندوسية من البراهمة ذات الوضع المتميز في شبه القارة الهندية، دخلت أسرته الإسلام متخلية عن الميزات التي تحظى بها. وبعد أجيال أنجبت محمد إقبال، شاعر الإسلام وفيلسوفه. درس الفلسفة الإسلامية، وحصل على الماجستير على يد المستشرق توماس أرنولد بجامعة كمبردج، والدكتوراه من جامعة ميونيخ الألمانية. عمل أستاذًا للفلسفة والسياسة بالكلية الشرقية في لاهور، ورفض المناصب الحكومية.

انشغل إقبال بدعوة المسلمين للمشاركة في حركة الحضارة والتقدم، داعيًا إلى التمسك بالدين، ثم بالعلم الذي هو سبب تقدم الأمم، وعدم الاكتفاء بأداء العبادات. وكان يرفض أي سلوك صوفي يخالف الكتاب والسنة، أو يجعل المسلم سلبيًا لا يشارك في خدمة المجتمع ومقاومة الظلم. تنطوي رؤيته على الجدة والحداثة، وتنهل من الينابيع الروحية في تراثنا؛ نلمس فيها جوهر الإشراق الشرقي وعمق النظرة العرفانية، والتفاؤل والوضوح والواقعية. وهو أيضًا عقل استمد نموه من التعرف على حضارة العالم وذرى المعرفة الغربية. ترتبط رؤيته بمتطلبات الإنسان، حتى قيل إن إقبال "يفكر مثل برجسون، ويعشق مثل الرومي، وينشد الشعر لإيمانه

مثل ناصر خسرو، ويهدف مثل مارتن لوثر وكالفن إلى تجديد الفكر الديني لإحداث نهضة إسلامية، ويحارب الاستعمار لتحرير الشعوب الإسلامية مثل جمال الدين الأفغاني".

كتب إقبال نصه المؤسس تجديد التفكير الديني في الإسلام في فلسفة الدين وعلم الكلام، وخطّ عشرين مؤلفًا بين دراسات ودواوين شعرية. وإذا كان أفلاطون قد نادى بطرد الشعراء من "الجمهورية"، فقد مرت قرون قبل أن تنجح دعوة الشاعر إقبال لإنشاء دولة للمسلمين (باكستان)، التي رأت النور بعد وفاته بسنوات (١٩٤٧). قال عنه الأستاذ أحمد حسن الزيات:

"إن إقبال نبت جسمه في رياض كشمير، وانبثقت روحه من ضياء مكة، وتألف غناؤه من ألحان شيراز؛ لسانٌ لدين الله في العجم، يفسر القرآن بالحكمة، ويصور الإيمان بالشعر، ويدعو إلى حضارة شرقية قوامها الله والروح، وينظر من حضارة غربية تقدس الإنسان والمادة".

وبرغم ذلك، اعتبر العالم المعروف فضل الرحمن فلسفة إقبال مضادة للنزعة العقلانية، بصياغته لفكرة الهوية القومية الدينية للدولة وترسيخها في ضمير المسلمين في الهند، ما أنتج دولة هشة ما زالت تعاني أوجاعًا مستعصية.

برع محمد إقبال في الكشف عن الأبعاد الكونية للقيم الروحية والأخلاقية في الإسلام. يقول العقاد: "إقبال هو طراز العظمة الذي يتطلبه الشرق في الحاضر وفي كل حين؛ ألهمنا عظمة ليست بالدنيوية المادية، وعظمة ليست بالأخروية المعرضة عن هذه الدنيا، وهو زعيم العمل بين العدوتين الدنيا والآخرة". كافح من أجل إزالة التخلف والأوضاع الطبقية الفاسدة والظلم والتسلط، كي يتمكن العرب والمسلمون من تحرير أوطانهم، ويصير الإنسان فيها عزيزًا حرًّا كريمًا. انطلقت فلسفة إقبال من انتقاد واقع المسلمين أنفسهم، واقع الجهالة والتخلف والغفلة. حاول تشخيص الداء ووصف الدواء للخروج من حالة الضعف والانحطاط، فدعا إلى تجديد الفكر الإسلامي وفتح باب الاجتهاد، بإحياء علوم الدين وإزالة

تراكمات الأوهام والخرافات، وبناء وعي ذاتي تتجلى فيه الأصالة والمعاصرة؛ فالوعي أداة النهوض.

ربط إقبال ذلك بضرورة الحرية؛ فحق كل إنسان في الحرية كحقه في الحياة، ومقدار كل شيء من حياته هو مقدار ما عنده من حرية. وهذا يعني أن الحرية هي أهم شروط التنمية والازدهار، وأساس النهضة والحضارة، وأولى خطوات التقدم والرقي. أظهر هذا الفيلسوف عشقًا فريدًا من نوعه للحرية؛ فالحرية عنده هي أساس الوجود ونعمة الحياة وسر البقاء، تبعث في النفس الحيوية والنشاط، وهي سر نماء الأفراد والأمم. فالإنسان خُلق مخيرًا لا مسيرًا. حتى إن إقبال واجه موسوليني برأيه بقوة في معنى الحكم الديكتاتوري، وحذر العالم من مزاعم اليهود بملكية فلسطين قبل قيام إسرائيل.

إن فلسفة إقبال فلسفة أمل وعمل وإقدام ونصيحة، ركائزها: الإيمان الممتزج بالعاطفة، والعقل المدرك لحقائق الشريعة، الواعي بماضي العالم الإسلامي وحاضره، والتنبه لخطورة التبعية للغرب وثقافته. رأى أن العالم الإسلامي لن ينهض إلا إذا تخلص من تبعيته للغرب. تجلى موقفه المعادي للاستعمار عندما دعته فرنسا لزيارة المساجد التي افتتحتها في مستعمراتها بإفريقيا فرفض، واعتبر هذه المساجد ثمنًا رخيصًا لتدمير دمشق واحتلالها من قبل الرجل الأبيض. الغرب في رؤية إقبال زاخر بالحركة، مجرد من المبادئ الخلقية، فقير بالحب والإيمان؛ سخّر الطبيعة لأغراضه، لكنه أخفق في محو البؤس الإنساني عالميًا.

إن محمد إقبال أحد المفكرين القلائل الذين بعثوا النور في سماء الشرق، داعيًا إلى الجمع بين العشق الإلهي والعقل، الشاعر الفيلسوف المصلح المجدد، الذي غنت له كوكب الشرق أم كلثوم رائعته الخالدة "حديث الروح"، فكانت سبيكة شجن صوفي؛ لأن حديث الروح للأرواح يسري، وتدركه القلوب بلا عناء.

محمد حسين أبو الحسن

(معي حدوتة للحب والحياة.. مصطفى صادق الرافعي)

اضطر، لضعف سمعه، إلى ترك التعليم، وعوض نفسه بالنهل من الكتب. وبسبب عدم حصوله على مؤهل عمل كاتبٍ بمحكمة، شق طريقه كمبدع متخطٍّ الصعاب. برزت مواهب الرافعي مبكرًا، حيث أصدر ديوانه الأول وعمره ٢٣ عامًا، ولفت الأنظار في زمن كبار الشعراء كحافظ إبراهيم والبارودي.

في ديوانه الأول كتب مقدمة توضّح مغزى الشعر وأهميته وصنوفه وتاريخه، ولم يقتصر على نشر الأشعار كما يحدث دومًا. كتب النشيد الوطني الرائع "اسلمي يا مصر"، والنشيد الوطني "إلى العلا"، والنشيد القومي لتونس.

وعاش الرافعي حياته مخلصًا لما يؤمن به، شجاعًا لا يخاف من المعارك الأدبية، ولو كانت مع العقاد وطه حسين. واتسع الحب عنده ليشمل حب العربية والدفاع عنها ضد ما سُمي محاولات تجديدها. ورأى أن ذلك سعي للنيل منها، وخاض معارك مع طه حسين عندئذ، وأدارها برُقي وعلم، وقدم للمكتبة العربية أهم كتبه: وحي القلم وتحت راية القرآن، وكان معتزًا بلغته العربية، مدافعًا عنها عاشقًا لها.

برز الرافعي كمؤرخ للأدب العربي في كتابه المتفرد ثلاثة أجزاء عن تاريخ الأدب العربي، وغاص فيه في فنون الأدب، واهتم بالبلاغة وقدمها للقارئ بسلاسة غير مسبوقة.

كان عاشقًا للقوة النفسية ورفض الاستسلام لأي واقع مؤلم، وهو ما فعله بحياته. فانتصر على الصمم وكان نموذجًا حيًا لآرائه، ومنها: "لا يريد منك الهم أكثر من أن تريده يأتي.. فيأتي، وما حيلة الشمس في الحيطان والأبواب التي تقيمها أنت.. افتح لها.. تدخل إليك".

في كتابه المساكين نرى حبه للفقراء وتعاطفه معهم واحترامه لمعاناتهم. وقد كتب بعد الحرب العالمية الأولى وما أعقبها من كوارث إنسانية، التي لمست قلبه ودفعته لتأليف هذا الكتاب.

تعددت كتبه عن الحب، وتنوّعت أساليبه فيها، وتراوحت بين الرومانسية الخالصة وبعض الواقعية، ودومًا كانت صادقة، ولأنها كتبت برهافة حس، يستمتع بقراءتها الجميع رغم مرور أعوام طويلة على كتابتها، لتعبيرها عن مراحل الحب المختلفة وفلسفته، وبداياته وأحلامه واندفاعاته وإحباطاته والتوق إليه رغم أوجاع عندما تقرأ كتابات الرافعي العاطفية ورقتها البالغة ثم تنتقل لكتاباته الرادعة لأعداء اللغة العربية ولكتبه العاشقة للتراث العربي تجد أن هذا الرجل كان "الحب" مفتاح شخصيته، فلم يكتب كلمة إلا وهو يحبها ويصدق بها، وكانت حياته ترجمة لمقولته البديعة: "إذا لم تزد على الحياة شيئا تكن أنت زائدا عليها"، ولحكمته الرائعة: "الحياة ثلاثة: المبدأ الشريف للنفس والفكر السامي للعقل، والحب الطاهر للقلب، هذه هي معاني الكمال الإنساني.ه. من هذه الكتب: رسائل الأحزان، والسحاب الأحمر، وأوراق الورد، وحديث القمر.

(مفاهيم الدهرية)

قديمة هي الفلسفة الدهرية المادية التي لا تؤمن إلا بالمحسوس الذي تدركه المشاعر والحواس. ولقد عرفت بلاد "السند" بالهند، قبل الإسلام وإبان ظهوره، مذهب "السعدية"، وهم دهريون لا يؤمنون بوجود ما وراء المشاعر والحواس.

"ينكرون الوحي والنبوة والرسالة، ويقولون: لا طريق للعلم سوى الحس"!

ولقد دارت مناظرة بين بعض زعماء "السمنية" وبين "الجهم بن صفوان" (١٢٨هـ / ٧٤٥م) أواخر الدولة الأموية، وكان الجهم جَبريًّا، فسألوه:

هل يخرج المعروف عن المشاعر الخمسة؟ أي: هل هناك موجود ومعلوم غير ما تملكه المشاعر والحواس الخمسة؟

فلما أجاب "الجهم بن صفوان": لا، قالوا له:

فإذا كان المعروف – أي المعلوم – لا يخرج عن ذلك، وليس معبودك منها، فقد دخل في المجهول! أي إن إلهك، طالما لا تدركه الحواس، هو مجهول غير معلوم. فكيف تعبد إلهًا مجهولًا يستحيل أن تعلمه وسائل الإدراك، المشاعر والحواس؟!

وعند ذلك انهزم زعيم الجبرية "الجهم بن صفوان" في مناظرته مع "السمنية" الدهرية.

لكنه لجأ إلى زعيم التيار العقلاني – المعتزلة – "واصل بن عطاء" (٨٠-١٣١هـ / ٦٩٩-٧٤٨م)، يطلب إليه حل الإشكال الذي عجز عن حله. فكتب إليه واصل بالجواب المنطقي والعقلاني، وطلب منه أن يعود إليهم ويسألهم:

ألستم تؤمنون بوجود "العقل"، وهو غير محسوس؟ وبـ"الجنون"، وهو غير محسوس؟

وتسلِّمون بوجود "الحياة"، وهي غير محسوسة؟ وبالمراد، وهو غير محسوس؟

إذن فالمعلوم ليس فقط ما تدركه الحواس والمشاعر، وإنما يضاف إليه ما يدركه الدليل.

وبالعبارة التي كتبها واصل بن عطاء إلى الجهم بن صفوان:

"إن المعروف لا يخرج عن المشاعر الخمسة وعن الدليل. فارجع إليهم، إلى السمنية، الآن وقل لهم: هل تفرقون بين الحي والميت؟ وبين العاقل والمجنون؟ فإنهم يعترفون بذلك، وأنه يُعرف بالدليل لا بغيره"!

فلما عاد الجهم بن صفوان إلى السمنية، وقال لهم ما أخبره به واصل بن عطاء، قالوا له:

ليس هذا من كلامك، فمن أين لك؟

قال: كتب به إليَّ رجل من العلماء بالبصرة يقال له واصل بن عطاء.

فخرج السمنية إلى البصرة، والتقوا واصل بن عطاء، وكلموه، واعتنقوا الإسلام على يديه.

هكذا هي قديمة "الفلسفة الدهرية" التي لا تؤمن إلا بما هو محسوس. وقديمة هي الفلسفة الإيمانية العقلانية التي تجعل الحواس مرحلة من مراحل الإدراك، وليست نهاية قوى الإدراك، ففوقها هداية العقل والدليل، وفوق العقل والدليل هداية الدين التي تأتي بأنباء الغيب الذي لا تستقل بإدراكه العقول.

أما الدهريون والماديون فهم الذين قال عنهم القرآن:

(ولكن أكثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون)(الروم: ٦، ٧).

(بين الأدب والسياسة)

علاقة قديمة تربط بينهما، يشهد عليها التاريخ عبر القرون في بلدان العالم المختلفة. ورغم اختلاف الوظيفة، واختلاف الأدوات، فإن كليهما يتأثر بالآخر ولا يكاد يستغني عنه. الأدب بتوجهه الخيالي الرحب، عبر أنواعه المختلفة: شعر، مسرح، رواية، سيناريو، إلى آخر وسائل الإبداع، والسياسة بتوجهها الواقعي عبر مؤسساتها والقوانين التي تحكم بلدانها.

لا يمكن للأديب، على سبيل المثال، أن يقول في ثقة: لن أنغمس في عالم السياسة الذي يسوده الصراع، سوف أكتفي بعالم الحب والطبيعة الرائعة، سأكتب عن كل ما هو جميل وعذب في حياتنا، سأبتعد عن الهموم والمشكلات. إذا قال الأديب ذلك فإن أدبه لن يعيش طويلًا، وسيكون إنتاجه فقيرًا ومنبعه ضحلًا وسطحيًا. لماذا؟ لأن الحياة الاجتماعية والسياسية بكل ما فيها من هموم وأوجاع واضطرابات وعلاقات شائكة هي النبع المهم للأدب والفن.

وبالمثل، لا يستطيع رجل السياسة أن يفرض على الأدب توجهًا واحدًا لا يحيد عنه، كأن يقول: لا أحد يكتب إلا في الإشادة بإنجازات الحكومة. فإذا حدث هذا فإن الأدب سوف يفقد تأثيره وأهميته، ولن يعيره الناس أي اهتمام، ويصبح بلا قيمة لرجل السياسة نفسه.

هذه العلاقة الفريدة تفرض معها شكلًا أو تشمل صيغة قد يشوبها كثير من الاضطراب والصراع. ولكن المدهش هنا أن كلا الطرفين مرتبط بالآخر؛ لا يستطيع طرف منهما أن يعطي ظهره للآخر ويستغني عنه. وعلى مدى التاريخ تبلورت هذه العلاقة في صيغ مختلفة وفق الظروف التي مر بها كل مجتمع، فكان الأدب في علاقته بالسياسة، أو في أسلوب تصديه للقضايا السياسية، يتبدى في ثلاثة أوجه: تصريح، أو تلميح، أو دعاية.

وهكذا ظهرت أنماط عديدة من الأدب في صلته بالسياسة، منها الأدب المباشر الذي يعلن صراحة عن معارضته للنظام القائم، والأدب الرمزي الذي يتخذ من الرموز وسيلة للتلميح عن المعاناة التي تعانيها المجتمعات، وأخيرًا الأدب الدعائي الذي يتخذ الدعاية الفجة المباشرة وسيلة للتقرب من السلطة والحصول على امتيازات ومنح استثنائية.

أما السياسة فكانت بدورها تتعامل مع الأدب بثلاث طرق: خشية، أو قمع، أو رعاية. ولأن السلطة تدرك جيدًا أهمية الأدب ودوره في التأثير على الفكر والوعي، فإنها كانت تعمل له ألف حساب؛ تخشاه وتضعه دائمًا في الحسبان لما له من تأثير مباشر على الناس. أحيانًا تلجأ إلى التصدي الصريح، وفي أحيان أخرى ترعاه وتهتم بالأدباء وتضعهم في مكانة عالية.

ويفرض السؤال نفسه: «لماذا تهتم السياسة لهذه الدرجة بالأدب؟» والإجابة ببساطة هي أن الأدب يجيب عن تلك الأسئلة الصعبة التي يريد الحاكم أن يتعرف عليها: بماذا يفكر الناس؟ ما هي همومهم؟ ما هي أحلامهم وطموحاتهم؟ هل هم راضون أم ساخطون؟ كل هذه الأمور يطرحها الأدب ويعرض لها؛ فهو بمثابة المستودعات، أو فلنقل المؤشر، الذي يمكن للسلطة أن تعرف من خلاله توجه الشعب. ورد الفعل هنا يختلف بالطبع حسب الأحوال.

الناس أيضًا يقرنون الأدب بالسياسة، فالمجتمعات في تطورها التاريخي تختار فترات معينة من حياتها تعتبرها بمثابة نقلات كبرى. وحينما يكرم المجتمع الرواد الذين لعبوا دورًا في هذه النقلات، يضع رجال السياسة والثوار، ويضع معهم الأدباء من شعراء وروائيين وكتاب دراما.
وعلى مر سنوات التاريخ تراوحت العلاقة بين النفور والاقتراب.

فالسلطة الواعية تمنح الأدباء رعاية خاصة؛ لأنها تعرف أن ازدهار الأدب علامة على ازدهار الدولة. والأديب بدوره يتمرد في بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى يسعى لرضا الحاكم. يذكر التاريخ أن الأديب الكبير فولتير شن عبر مسرحياته هجومًا شديدًا على القوانين التي تميز، في

أيامه، بين الكاثوليك والبروتستانت في فرنسا، وانتهى الأمر بأن وُضع في السجن، وبعد فترة أُفرج عنه الملك. لكنه خرج من محبسه فقيرًا معدمًا لا يملك زادًا ولا سكنًا، فأخبر أصدقاؤه الملك عن حاله، فكان أن منحه الملك راتبًا شهريًا.

الحاكم حينًا قد يراجع حساباته، والأديب من جهته يرحب بمنحة الحاكم حينما تساعده على مواصلة إبداعه. وربما من هذه النقطة تحديدًا يبرز دور الدولة؛ فمن واجبها منح الأمن والأمان للكتاب والمبدعين حتى يتمكنوا من القيام بمهمتهم الإبداعية. ويهم هنا أن نميز بين الموقف السياسي للأديب بوصفه مواطنًا، والأبعاد السياسية في إبداعه الأدبي.

دور الأدب في التغييرات الكبرى التي تحدث في حياة الشعوب عظيم؛ فهذه النقلات لا تحدث بالتأكيد طفرة واحدة، بل يتم التمهيد لها عبر عقود. ودور الأدب هنا استثارة النفوس لتغيير الأوضاع، وأيضًا تهيئة العقول لتقبل الجديد الذي يفرضه التاريخ: الانتقال من الملكية المطلقة إلى الملكية الدستورية، ومن الاستبداد إلى الديمقراطية، ومن التمييز بين المواطنين إلى المساواة، ومن اضطهاد المرأة إلى تحريرها، ومن التعليم الديني إلى التعليم المدني، إلخ.

ساهم الأدب في دفع وتعزيز هذه النقلات التي عرفتها الشعوب والدول في أرجاء العالم. وفي بلادنا أمثلة كثيرة: طه حسين وتوفيق الحكيم تناولا من خلال الأدب ضرورة وأهمية تحرير المرأة، ونجيب محفوظ ساهم إبداعه في تأجيج روح الوطنية. المصرية.. يوسف إدريس كان أدبه يناصر الفلاحين المنسيين الذين يعانون في صمت.

في روسيا كان أدب تولستوي ودوستويفسكي صرخة ضد التسلط القيصري والظلم الأبدي للفلاحين المعدمين. وفي فرنسا كان أدب زولا يُعبر عن بؤس العمال، أما بلزاك وشاتوبريان فكان أدبهما مرآة كاشفة

للعلاقات المعقدة في المجتمع. وفي إنجلترا تنبأت مسرحيات وليم شكسبير بطبيعة التغييرات التي سوف تحدث في المجتمع.

هكذا ساهم الأدب في رقي المجتمعات ودفعها نحو الأمام، وهي مهمة نبيلة وعظيمة بالتأكيد.

ليلى الراعي

(النيل والمواسم في الثقافة الشعبية المصرية..السنة كانت ثلاثة فصول "آخت وبريت وشمو" د. أماني الجندي)

لم تكن السنة عند المصريين القدماء مجرد زمن لدورة الشمس حول الأرض، بل مُدد لازمة لنضوج محصولات مثل القمح والشعير. والمحاصيل في مصر تعتمد على الفيضان. ففي أوائل يونيو عادة تعاني البلاد الجفاف وتنخفض مياه النيل.

وتهدد الصحراء بابتلاع الوادي، وينتاب الناس قلق شديد، ويقابلون هبات الطبيعة السخية بعاطفة الاعتراف بالجميل ممتزجا بالخوف من تشويه الإله حين يقطع حجر من المحجر، أو من خنقة حين تبذر حبة في أرض يشقها المحراث، والخوف من سحقه عند درس الغلال، أو قطع رأسه مع قطع السنابل.

وبقدر ما تعي ذاكرة الناس، فإن الفيضان لا يتخلف عادة، فيأتي أحيانا عاليا جدا، وأحيانا منخفض، وكان دائما سخيا يروي الأرض. ومن أغاني النيل عند المصريين:

حمدا للنيل.. ينزل من السماء.. ويسقي البراري البعيدة عن الماء.. وينتج الشعير والحنطة.. ويمنحنا الأسماك.. وهو الذي يحدد الأعياد للفلاح.

وفي الموسم يخرج كل رجل بمعداته، دون تقاعس، أو اتكال على جار، ويتجرد الجميع من الملابس وأبناء الطبقة الراقية لا يتزينون، ولا يصخبون في الليل بالأغاني، وفرضت التقوى على المصريين وضع النيل في مصاف الآلهة من أقدم العصور، وأسموه "حابي"، وصوروه على هيئة رجل شديد الامتلاء، له ثديان متدليان وبطن مكتنز، يشده حزام، وفي قدميه نعل، وهذه إحدى علامات الثراء، ويتوج رأسه إكليل من النباتات المائية، ويداه تنشران علامات الحياة، أو يحمل بين يديه مائدة مثقلة بالقرابين تكاد تختفي تماما تحت أكوام من السمك والبط وباقات الزهور وسنابل القمح، وكانت بلاد كثيرة تحمل اسم حابي، ويُطلق عليه

أبو الآلهة، لذا كان من الواجب ألا يكون الشعب أقل إكراما له عن الآلهة الأخرى، لم يقصر رمسيس الثالث في ذلك، فطوال مدة حكمه في مدينة "أون" و"منف" لمدة ثلاث سنوات، أنشأ رمسيس "أسفار حابي"، أو جددها، وسطر فيها أنواع مختلفة من الأطعمة والمحصولات، وكانت تصنع للمعبود "حابي" آلاف التماثيل الصغيرة من الذهب والفضة والنحاس أو الرصاص والفيروز واللازورد والقيشاني ومواد أخرى، وكذلك تصنع خواتم وتمائم وأقراط وتماثيل صغيرة لزوجة حابي، واسمها "ربيت"، وفي لحظة ارتفاع منسوب الفيضان كانت تقدم القرابين للمعبود "حابي" في كثير من المعابد، وتلقى أسفار النيل في بركة معبد "رع حر اختي" في مدينة أون، الذي كان يسمى "قبحو" وكان ارتفاعه يماثل ارتفاع نهر النيل عند الشلال، وربما كانوا يلقون فيها تماثيل صغيرة، وكانوا يكررون احتفالهم بعد شهرين حين يصل الفيضان إلى أقصى ارتفاعه. ونهر النيل الذي يخترق أرض الوادي وينساب بيسر بين الصحراوين محولا المدن إلى جزر، والقرى إلى جزر صغيرة، والجسور إلى سدود، يبدأ منسوب مياهه بالانخفاض، وبعد أربعة شهور من ابتداء الفيضان تعود مياه النيل إلى مجراها العادي، وهذه الفترة التي تستمر أربعة شهور، كان المصريون يعدونها أول فصول السنة وسموها "آخت" أي الفيضان. وبمجرد انحسار المياه عن الأرض ينتشر الفلاحون في الحقول قبل أن تجف الأرض، ليبذروا الحب فيها، وينتظروا المحصول لأربعة أشهر أو خمسة، ثم يأتي موسم الحصاد. وخلاله يدرسون الحبوب ويخزنونها. ومن أغاني الحصاد عند المصريين وقتها:

إدرسي القمح أيتها الثيران.. إدرسي لنفسك

فالتبن لك والشعير لأسيادك

لا تتواني فاليوم عيد عليل الهواء

إدرسي ولا تتواني فالتبن لك والشعير لأسيادك

وبعد الفيضان "آخت" يجيء فصل انحسار المياه عن الأرض "بيريت"، ثم فصل المحصولات "شيمو" ما يعني أن فصول السنة عند المصريون كانت ثلاثة فقط لا أربعة، كما كان الحال عند العبرانيين والإغريق وهي "آخت وبريت وشمو".

ومهما كان الفيضان منتظما كان من العسير تحديد ابتداء السنة بناء على مجرد ملاحظة ارتفاع المياه، فالوقت الذي تبدأ فيه مياه النيل بالارتفاع يحدث شيء يعد منشئا للتقويم، فالنجم "سيريوس" واسمه بالمصري القديم "سوبديت"، أي "الأبريق" من "الشعرى اليمانية"، وإذا لم يظهر لمدة طويلة، يمكن أن يبزغ للحظة في الشرق تماما قبيل شروق الشمس مباشرة، ولم يفت المصريين ربط هاتين الظاهرتين ويرجعون الفيضان إلى دموع "إيزيس" وكانوا يعتبرون ظهور النجم "سوبديت" احتفال بمعبودتهم، واعتبروا "إيزيس شفيعة السنة"، واليوم الذي يظهر فيه النجم يكون أول أيام السنة. وسجلت هذه المعادلة في كتاب "بيت الحياة" الذي كان عبارة عن سجل للتقاليد والمعلومات التي ظلت سائدة منذ عهد الدولة القديمة حتى العصر المتأخر، وتقويم رمسيس الثالث الذي حفر على سور خارجي لمعبده في مدينة حابو، نص فيه على أن الآله "سوبديت" الذي يحتفل به عند بزوغ النجم يتفق مع أول أيام السنة. وفي أغنية عاطفية يقارن المحب حبيبته بالنجم الذي يظهر في بدء السنة الكاملة "رنبيت نفرت"، لأنه كان ثمة سنة عرجاء مبهمة تسمى "رنبيت جاب"، حيث لا يظهر المعبود "شو" إطلاقًا، ويحل الشتاء محل الصيف، ولا تنتظم الشهور في أوقاتها. والأهالي لا يحبون هذه السنة، فالمزارعون والصيادون وصيادو الأسماك والمكتشفون والأطباء والكهنة، كل أولئك كانوا مضطرين لإحياء احتفالات الأعياد في أوقات معينة، ويشاركهم في هذا كل من تتوقف أعماله على الظواهر الطبيعية. ويستعملون السنة الكاملة، وكان "آخيت" يستمر أربعة أشهر، ويكون النيل خلالها قد امتلأ بمياه الفيضان، فيغنون له: "من يشاهد النيل في تمام فيضانه يرتعد فرحًا، أما الحقول فإنها تضحك، وجسور النيل تغمر بالماء".

وهنا تنزل موائد الآلهة، وتشرق وجوه الناس، وتبتهج القلوب بهذا العيد.

ويوافق "بريت" موسم الحصاد والأيام الحارة. ولهذا كانوا يقولون عن فرعون إنه ملطف للحرارة في فصل شمو، وركن أدفأته الشمس في فصل بربت، وكان عمال المناجم الذين يستخرجون الفيروز من سيناء يعلمون أنه لا يجب الانتظار إلى شهور فصل شمو، لأن الجبال تكون خلال هذا الفصل الرديء ملتهبة مثل الحديد المنصهر، مما يؤثر في لون الأحجار الكريمة.

وكان الأطباء والبيطريون يعلمون أن أمراضًا تتفشى موسمًا، وبعضها يظهر خلال فصل بريت، والبعض الآخر في شمو. وبلغت بهم الدقة في العلاج أن وصفوا أن تعطى بعض العقاقير في الشهر الثالث أو الرابع من فصل بريت، بينما تعطى عقاقير أخرى في الشهرين الأولين من الفصل نفسه. وعلى النقيض، كانت بعض التركيبات مفيدة خلال فصل آخت أو بريت أو شمو، في أي وقت طوال العام، وللتيسير وسهولة الاستعمال قُسمت فصول السنة إلى اثنين عشر شهرًا، كل منها ثلاثون يومًا، وكان هذا التقويم مستعملًا في عصر رمسيس، كما كان في أقدم العهود السابقة، وكان ترتيبها الشهر الأول أو الثاني أو الثالث أو الرابع من آخت أو من بريت أو من شمو.

والأسماء التي أخذت من الأعياد الشهرية لم تُستعمل إلا في العصر الصاوي، وكانت تضاف خمسة أيام في آخر الشهر الرابع من فصل شمو لتكملة العدد ٣٦٥.

الأعياد والإجازات:

لقد كانت الأعياد طوال السنة عديدة لا حصر لها، وخاصة في فصل "آخت" حين تتوقف الأعمال الزراعية. وكان عيد "أويت" الكبير يستمر شهرًا خلال هذا الفصل. ومن الظن أن الأهالي كلهم كانوا يحصلون على إجازة لشهر، لكن المؤكد أن حشودًا عديدة كانت تحتفل بالمركب المقدسة لآمون، ويتبعون ركابها من شاطئ النهر عندما تتجه إلى أوبت الجنوبية.

وكان المصريون يتركون بسرور بالغ أعمالهم ليشتركوا في أعياد بوبسطة، فيركبون القوارب ومعهم نساؤهم يحملن الصاجات، والرجال لا يكفون طوال الطريق عن الغناء والرقص وتبادل الدعابات مع من يصادفونهم في الطريق. ويقال إنهم خلال العيد كانوا يشربون كميات وفيرة من النبيذ تفوق ما كانوا يتناولونه طوال العام.

وعيد "تيخي"، وهي كلمة تعني "السكر"، كان يُحتفل به في اليوم الأول من الشهر الثاني، وكان من الأعياد المحببة. واليوم الأول من الشهر الأول من فصل البذر كان يُحتفل به كعطلة عامة في مصر كلها. وكان من الواجب أن يحتفل كل إقليم من كل مدينة مرة في السنة على الأقل بالمعبود المحلي سيدهم وحاميهم. ولما كانت آلهة المصريين مغرمة بكرم الضيافة، فكان كل معبد مهما كانت أهميته يستضيف عددًا وفيرًا من الآلهة.

من ناحية أخرى، إن أول عشرة أيام كان بمثابة أيام الآحاد. ونقش على لوحة السنة الثامنة التي أقيمت في معبد حتحور بمدينة أون، خطاب رمسيس الثاني للعمال الذين قاموا بتجميل معابده وقصوره: "لقد ملأت لكم الصوامع بكافة الأشياء، لحوم وحلوى ونعال وملابس وروائح عطرية تعطرون بها رؤوسكم، كل عشرة أيام وملابسكم لطول العام، ونعال لأقدامكم كل يوم". ولم يكن من المعقول أن يُطلب من هؤلاء الذين يفرطون في زينتهم وتمتلئ بطونهم بالطعام الشهي الدسم أكثر من المعتاد أن يؤدوا أعمالهم.

ويتميز هذا العصر الذي استمر قرنين بأن تولى الحكم خلاله ثلاثة ملوك عظماء هم: سيتي الأول ورمسيس الثاني ورمسيس الثالث. وتركت مصر وراءها تاريخًا حافلًا بالأحداث.

(الأعراض الجانبية)

تعتبر الأعراض الجانبية للأدوية من أهم المشكلات العلاجية، حيث تسبب متاعب للمريض فوق متاعب المرض، وقد ترتب عليها امتناع المريض عن تناول الدواء، ولذلك فإن الدراسات الحديثة اهتمت بالبحث عن وسائل لمنع الأعراض الجانبية أو تخفيضها، منها وسيلة استهدفت استخدام اكتشافات الجينوم البشري، وبالرغم من الصعوبات التي تعرقل هذه الوسيلة إلا أنه من المأمول أن يتم التوصل إلى اكتشاف أدوية جديدة ذات فاعلية عالية ضد الأمراض، مع تميزها بأنها لا تسبب الأعراض الجانبية الناتجة عن استخدام الأدوية المعروفة.

ومن ناحية أخرى أجرى العديد من البحوث التي استهدفت تقليل أو منع الأعراض الجانبية التي تسببها الأدوية أو الإصابات التي يسببها التلوث الكيميائي وسموم الميكروبات، وذلك باستخدام أعشاب أو مواد طبيعية أخرى. وفي هذا المجال أجرينا في صيدلية القاهرة بالاشتراك مع أساتذة في المركز القومي للبحوث دراسات أثبت بعضها أن استخدام مواد طبيعية، مثل حمض الفاليبويك المستخدم في علاج بعض مضاعفات مرض السكر، يساعد في الوقاية من الأعراض الجانبية، وهي إصابات في الكبد والكلية يسببها أحد الأدوية المستخدمة في علاج ارتفاع نسبة الكولسترول في الدم، كما دلت بحوث أخرى على أن استخدام زيت الزيتون أو زيت السمك أو فيتامين هـ الطبيعي يفيد في منع إصابات المعدة والكلية التي قد تنتج عن استعمال بعض الأدوية المعالجة لالتهابات المفاصل والروماتيزم.

ولقد بنت بحوث أخرى أن استخدام عسل النحل وعشب الجنسنج يفيد في الوقاية من إصابات الكبد والكلية الناتجة عن التسمم الكيميائي. وأن استخدام الزعتر يمنع إصابات الكبد والكلية التي تسببها سموم بعض الفطريات، كما أن استخدام مستحضرات فول الصويا يساعد في الوقاية

من إصابات الكبد التي تسببها سموم فطرية والتي قد تصل إلى حد الإصابة بسرطان الكبد.

ولقد أجريت بحوث عديدة على المستوى العالمي بين بعضها أن تناول التفاح والخرشوف والزبادي والجزر يساعد في منع ارتفاع مستوى كوليسترول الدم الناتج عن استخدام بعض الأدوية. وأن شرب الزنجبيل والنعناع والبابونج (الكامومايل) يفيد في منع الغثيان الذي يسببه بعض أدوية السرطان، ويعد الإمساك من الأعراض الجانبية للعديد من الأدوية والذي يمكن التغلب عليه بتناول ثمانية أكواب ماء كل ١٠ دقائق لمدة نصف ساعة. كما يساعد في منعه أكل البسلة والفول والكرنب والثوم والبامية والبطاطا والتفاح والموز والعنب والتين والقراصيا والخس والجرجير.. وعن عسر الهضم الذي يسببه بعض الأدوية أفادت عدة بحوث بأن شرب البابونج والحلبة والنعناع وتناول البابايا يفيد في منع حدوثه.

ولما كان الأرق من الأعراض الجانبية لبعض الأدوية فقد ينصح المرضى الذين يستخدمونها بتناول أطعمة تساعد في جلب النوم، مثل الزبادي والموز والبلح والتين، كما يوصي بالامتناع عن الأطعمة التي تسبب الأرق مثل الشيكولاتة والجبن والباذنجان والطماطم والسبانخ قبل النوم، مع عدم التدخين وتناول الأشربة المحتوية على مادة الكافيين، مثل الشاي والقهوة والكولا، وبين بعض البحوث أن شرب العرقسوس أو البابونج أو المريمية وعدم التدخين والامتناع عن شرب القهوة والإقلال من تناول الشيكولاتة يفيد في منع حدوث قرحة الجهاز الهضمي التي يسببها بعض الأدوية.

وتشير بحوث حديثة إلى أن تناول عشب الجنكو يفيد في تقليل إصابات القلب التي قد يسببها استخدام نوعيات من أدوية السرطان، كما يفيد تناول فيتامين سي في منع متاعب المعدة الناجمة عن التعاطي المستمر للأسبرين، كما يفيد هذا الفيتامين أو شرب العرقسوس في الوقاية من الأعراض الجانبية لأدوية الكورتيزون، ومن فوائد الثوم أنه يساعد في

الوقاية من إصابات الكبد الناتجة عن الاستخدام طويلة المدى دواء الباراسيتامول، ويساعد شرب الزنجبيل في منع الغثيان الذي يحدثه بعض أدوية السرطان.

ولقد أفادت بعض البحوث أن الكركيومين (العنصر الفعال في نبات الكركم) يساعد في تقليل شدة الأعراض الجانبية لبعض أدوية السرطان، كما يساعد في سرعة التئام قرحة المعدة التي قد تسببها أدوية تساعد في علاج التهابات المفاصل.

د. عز الدين الدنشاري

(ظاهرة "ساركوبينيا".!)

ما هي ظاهرة «ساركوبينيا» البيولوجية التي تظهر في الإنسان عندما يتقدم به العمر؟ هي عبارة عن فقدان كتلة العضلات، خاصة في الساقين التي تشكل أكبر كتلة عضلية في جسم الإنسان. ويجب محاربتها، حسب دراسة علمية لأحد العلماء الأمريكيين المتخصصين في مكافحة الشيخوخة، وفق الخطوات التالية، أنقلها لكم لنستفيد جميعًا منها، ولنعيش حياة أفضل ونبتعد قدر الإمكان عن سوء الكِبَر.

لتنمية عادة القدرة على الوقوف، لا تجلس مددًا طويلة، ولا تستلقِ إذا كنت تستطيع الجلوس. وإذا مرض شخص مسن ودخل المستشفى، فلا تطلب منه المزيد من الراحة أو الاستلقاء وعدم النهوض من الفراش. فأسرع خسارة في ضمور العضلات تكون في عضلات الساقين، لأنه عندما يجلس الشخص أو يستلقي لا تتحرك الأرجل، وتتأثر قوة عضلات الساقين. فلابد من صعود ونزول السلالم، والجري الخفيف، فكلها تمارين مفيدة لجسم الإنسان.

الشيخوخة تبدأ من القدم إلى أعلى. فتقول الدراسة الأمريكية: إذا لم تحرك ساقيك لمدة أسبوعين فقط، ستنخفض قوة ساقيك الحقيقية بمقدار عشر سنوات! لذلك فالتمارين المنتظمة مثل المشي مهمة جدًا؛ فالأقدام هي الأعمدة التي تحمل الوزن الكامل لجسم الإنسان، والمشي يوميًا في غاية الأهمية، إذ إن ٥٠% من العضلات موجودة في الساقين.

وخلصت الدراسة إلى التأكيد على أنه لم يفت الأوان بعد، حتى لو بعد السبعين والثمانين من العمر، وتوصي بضرورة المشي لمدة ٣٠ إلى ٤٠ دقيقة يوميًا، للتأكد من أن ساقاك ستحتفظ بكلتلتها العضلية

نصر زغلول

(شجرة "الكريسماس" و"بابا نويل")

من مظاهر الاحتفال بعيد الميلاد شجرة الكريسماس "شجرة الميلاد"، حيث يجملونها بالهدايا والتحف، وهذه الشجرة من نوع دائم الخضرة لا تسقط أوراقها في أي فصل من فصول السنة. ويرى رجال الدين المسيحي أنها، بلونها الأخضر، ترمز لاستمرار الحياة المادية والروحية، ومن أهم ما تزين به نبات "الدبق"، وهو نبات دائم الخضرة ذو أوراق قائمة، و"توت" أبيض لامع. وتتضمن ديكورات الشجرة نجمة، ويقال إنها ترشد الحكماء إلى مكان "ميلاد المسيح"، كما تركز زينتها على الوفرة والخير والإثمار. ويوضع أحيانًا عليها القطن رمزًا لمولد المسيح في الشتاء، إضافة إلى أن بيت لحم، مسقط رأس المسيح عليه السلام، تشتهر بتساقط الثلج عليها طوال الشتاء. ويرمز القطن أيضًا إلى الصفاء والطهارة.

وإلى جانب شجرة عيد الميلاد، يضع البعض شكلًا يمثل "المغارة"، التي تمثل مشاركة العائلة في عيد الميلاد، وتوضع في صدر البيت ليراها كل زائر.

وشخصية "بابا نويل" هي شخصية حقيقية، وُلد عام ٢٨٠ ميلادية، وكان اسمه "سانت نيكولاس"، وكان مطرانًا يعيش في القرن الرابع عرف بحبه العظيم للناس والفقراء عامة. ووصلت شهرته إلى جميع أنحاء العالم، واختُصر اسمه على مر الأجيال حتى يلائم ألسنة الأطفال، فأصبح اسمه "سانتا كلوز" بالإنجليزية و"بابا نويل" بالفرنسية. وظل يقوم بواجبه الديني والإنساني نحو كل الناس حتى مات في ديسمبر ٣٤٢ ميلادية.

إن "بابا نويل" أو "سانتا كلوز" كما نعرفه الآن، هو من ابتكار الفنان السويدي الجنسية "هارون ساند بلوم"، وهو الذي صمم هذه الشخصية

المحبوبة كجزء من حملة إعلانية لشركة مياه غازية عام ١٩٣١. وبعدها ابتكر "ساند بلوم" أكثر من ٤٤ رسما لشخصية "بابا نويل".

والآن، يكون الاحتفال بعيد الميلاد والكريسماس في أواخر أيام السنة، حيث يودع الناس سنة مضت ويستقبلون سنة جديدة مملوءة بالآمال والأحلام التي يرجون تحقيقها. وتتميز احتفالات الميلاد بحفلات الغناء الساهرة والأضواء الباهرة.

إبراهيم عناني

عضو اتحاد المؤرخين العرب

(جريمة يُعاقب عليها القانون)

من الذي يعطي أرقام هواتفنا المحمولة لشركات الدعاية ومراكز التسويق التجاري؟ من الذي منح نفسه الحق في التعدي على خصوصيتنا واقتحام محيطنا الشخصي في الشارع والمكتب وغرفة النوم بلا استئذان، ليعرض علينا منتجه الذي لم نطلبه؟ إن الشكاوى التي وصلتني من المتضررين من هذه المكالمات هائلة، حيث أصبحنا نتلقى يوميًا عشرات المكالمات ممن يعرضون علينا شراء شقق وفيلات وفلاتر ماء وعسل نحل، أو يطلبون منا التبرع لجهات لا نعلم عنها شيئًا لمصلحة المرضى أو الفقراء، ويعلم الله وحده أين تذهب هذه الأموال وما هي الأنشطة التي تساهم في تمويلها.

لقد نصحني البعض ممن يعانون هذا الإزعاج المستمر ألا أرد على المكالمات التي تأتي من أرقام لا أعرفها، لكنني في بعض الأحيان أجد نفسي مضطرًا للرد لأني منتظر اتصال مندوب مكتب شحن لتوصيل كتاب طلبته، أو فني سيجيء لإصلاح الكمبيوتر، أو غير ذلك من الخدمات. لذلك لجأت إلى حل آخر، وهو ألا أرد على الأرقام المجهولة، ثم أقوم بعد ذلك بالبحث عن اسم المتصل عن طريق تطبيق "تروكولر"، وهو تطبيق يظهر لك الاسم الذي سجل به ذلك الرقم في هواتف المشتركين الآخرين.

وفي أول مرة قمت بتلك المحاولة، وجدت الرقم مسجلاً باسم "تسويق زفت عقاري"، فسعدت جدًا لتصوري بأن المشكلة قد حُلت، لكن في المرة الثانية ظهر لي اسم لا أعرفه، فأصابتني الحيرة: هل هذا اسم مندوب مبيعات آخر؟ أم هو اسم مندوب الصيدلية الذي أخبروني أنه سيتصل قبل المجيء حين يجدون دواءً غير متوافر طلبته ووعدوني بالبحث عنه؟ وقررت أن أرد لأقع ضحية لمن يريد أن يبيعني "المسحوق السحري لتنظيف الحمامات".

وفي مرة أخرى، وجدت الرقم مسجلاً باسم "الحاجة فاطمة"، فقلت: لا يمكن أن تكون الحاجة فاطمة مندوبة مبيعات في شركة تسويق عقاري، فرددت لأجد محدثي يحاول إقناعي بمزايا الشرابات الصوف التي يقوم بتسويقها من أجود أنواع الصوف والمصنعة من أغنام أستراليا. فسألته بلا خجل: من هي الحاجة فاطمة؟ فقال: إنها والدته، ثم سألني: هل تعرفها؟ فقلت له: إنني أتمنى معرفتها لأشكو لها منه.

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: كيف يحصل هؤلاء المتطفلون على أرقامنا، بل على أسمائنا أيضًا، حيث إنهم يخاطبوننا في اتصالاتهم بأسمائنا؟ لقد حاولت جاهداً تقصي هذا الموضوع إلى أن توصلت أخيرًا بمساعدة أحد العاملين السابقين في إحدى شركات الاتصالات الكبرى إلى أن بعض موظفي شركات الاتصالات هم الذين يقومون ببيع قوائم المشتركين لمراكز التسويق التجاري نظير مبالغ متفق عليها. وهناك فئات مختلفة تتحدد أسعارها حسب متوسط قيمة فاتورة مكالمات المشترك الشهرية، كما أن هناك قوائم تضم مئات الأرقام بأسماء أصحابها، وقوائم أخرى تضم الآلاف، ولكل منهم سعره.

على أن ما لا يعرفه المشاركون في تلك التجارة الرابحة التي لا تكلف صاحبها أي جهد، بل ما لا يعرفه ضحاياهم أيضًا، هو أن هناك قانونًا في مصر للخصوصية، وأن اقتحام الخصوصية بهذا الشكل مُجرم في القانون. فالدستور ينص على أن "للحياة الخاصة حرمة، وهي مصونة ولا تمس... وتلتزم الدولة بحماية حق المواطنين في استخدام وسائل الاتصال العامة بكافة أشكالها". ويشير مصطلح قانون الخصوصية إلى القوانين التي تتعامل مع التشريعات المتعلقة بمعلومات الأفراد الشخصية، ويوجد وراء قوانين الخصوصية المحلية اتفاقيات دولية ملزمة للدول الموقعة عليها، حيث ينص إعلان الأمم المتحدة لحقوق الإنسان على سبيل المثال على أنه "لا يجوز لأحد أن يتعرض لتدخل تعسفي في خصوصيته، عائلته، منزله، مراسلاته واتصالاته".

ولقد صدّق الرئيس عبدالفتاح السيسي في ١٨ أغسطس ٢٠١٨ على قانون جرائم تقنية المعلومات، ويحدد قانون حماية البيانات الشخصية الإطار التشريعي الذي يكفل للمستخدم حماية بياناته، كما يسمح للمعني بالبيانات تقديم شكوى ضد مستخدمي بياناته بشكل غير قانوني ومقاضاتهم إذا استدعى الأمر. ويخاطب القانون الشركات والمؤسسات التي تتعامل مع قواعد البيانات الخاصة بالمستخدمين، ويحدد على أساس ذلك المعايير التي تحكم العلاقة بين المستخدمين والشركات الرقمية. وقد نص القانون على إنشاء مركز لحماية البيانات الرقمية تكون مهمته الرقابة على تنفيذ القانون.

من هنا، تتضح فاعلية القانون المصري في حماية بيانات الأفراد على أساس حماية الحق في الخصوصية باعتباره حقًا مرتبطًا بشكل أساسي بالبيانات الشخصية. واستنادًا إلى تلك الخلفية القانونية، بإمكان أي فرد يتعرض لانتهاك خصوصيته بواسطة تلك الاتصالات التسويقية غير الشرعية أن يقاضي جميع الشركاء في ارتكاب هذا الفعل المُجرم قانونًا، من شركة الاتصالات التي تعاقد معها إلى جهات التسويق المتوالية معها. فلماذا لا نتضامن جميعًا لرفع الدعاوى القضائية ضد هؤلاء المنتهكين لخصوصيتنا؟

(ساعات الليل والنهار)

قد يظن البعض أن تقسيم اليوم إلى ٢٤ ساعة هو اختراع غربي، لكن الحقيقة أن العرب المسلمين هم الذين قسموا اليوم والليلة إلى ٢٤ وقتًا، وسموا كل وقت منها ساعة لها مقدار مخصوص معلوم، وجعلوا للنهار ١٢ ساعة، ولليل ١٢ ساعة أيضًا.

وأسماء ساعات النهار عند العرب هي: الشروق، وبُكور، والغدوة، والضحى، والهاجرة، والظهيرة، والرواح، والعصر، والقصر، والأصيل، والعشي، والغرب، وهي ١٢ ساعة.

أما أسماء ساعات الليل فهي: الشفق، والغسق، والعتمة، والسدفة، والفحمة، والزلة، والزلفة، والبُهرة، والسحر، والفجر، والصبح، والصباح، وهي ١٢ ساعة.

د. إبراهيم خليل إبراهيم

أديب ومؤرخ

(حقائق طريفة)

• قام أحد الأشخاص ذات مرة باحتجاز مدير محطة إذاعية كرهينة، مدعيًا أنه يحمل قنبلة، ليجبره على تشغيل أغنية "اتصال قوس قزح" التي عرضت في فيلم "ذا موبيت" في عام ١٩٧٩ – توقف البرنامج لمدة ١٢ ساعة متواصلة على الراديو.

• بعد هجمات ١١ سبتمبر، تلقت جميع المحطات الإذاعية الأمريكية قائمة تحتوي على ١٦٥ أغنية يحظر إذاعتها لكونها غير مناسبة للبث في فترة الحداد الوطني، وكانت أغلب عناوين تلك الأغاني تحتوي على كلمات مثل: "طائرة" و"طيران" و"سقوط" و"حرق".

• المرة الأولى التي سمع فيها اليابانيون صوت الإمبراطور في الراديو كانت عندما أعلن أن اليابان قد استسلمت في الحرب العالمية الثانية.

• تقارير الطقس كانت محظورة من البث الإذاعي خلال الحرب العالمية الثانية، وذلك لمنع غواصات العدو من معرفة الظروف الجوية، وفي ذلك الوقت غطى الضباب بشكل كثيف مباراة كرة قدم في شيكاغو، لكن مذيع الراديو لم يذكر "الضباب" ولم يشر لحالة الطقس.

• في أوائل التسعينيات، روج أحد البرامج الإذاعية الأمريكية في بوسطن على مدى أسابيع لمسابقة جائزتها الكبرى قدرها ١٠٠، فظن المتسابقون أن المقصود ١٠٠ ألف دولار، لكن عندما تم اختيار الفائز كشفوا أن الجائزة عبارة عن ١٠٠ قطعة حلوى فاخرة!

• أمرت القوات المسلحة الكولومبية الإذاعة ببث أغنية موسيقى البوب مرفقة برسالة شفرة مورس، وهي: "تم إنقاذ تسعة عشر شخصًا، أنت التالي، لا تفقد الأمل"، إلى الأفراد العسكريين المختطفين، وذلك لأن الخاطفين اعتادوا السماح للأسرى بالاستماع إلى الراديو.

• **فرض غرق سفينة تايتانيك في عام ١٩١٣ استخدام الراديو في البحر للوصول إلى أقرب سفينة لإنقاذ الركاب، برغم أن التلغراف كان من بين الأنظمة القوية المستخدمة على متن السفن وقتها.**

(البكيني أم البوركيني؟ حروب عالمية من نوع آخر)

هذه المواجهة بين البكيني والبوركيني أو زي الاستحمام الشرعي هي في الواقع رمز لاستقطاب اجتماعي كبير في فرنسا كما في مصر، في الدول النامية كالصناعية، في دول ديمقراطية كما في دول سلطوية، هي ظاهرة عالمية لما يُسمى الآن الحروب الثقافية، ليس فقط بين الدول ولكن داخل مجتمعاتها.

يأتي استخدام رمزي البكيني والبوركيني لأن الأزمة طفت على السطح منذ نحو ثماني سنوات في مدينة مارسيليا، الميناء الفرنسي الشهير على البحر المتوسط والذي تقطنه غالبية كبيرة من السكان القادمين من الشمال الإفريقي، بالرغم من أن العديد منهم حاليا من الجيل الرابع ولغتهم الأم أصبحت فرنسية، إلا أن البعض لا يزال يتمسك بما يعتقد أنه تقاليد إسلامية، ومن هنا نزول السيدات إلى حمامات السباحة أو حتى التنزه على الشواطئ مرتديات البوركيني. في الوقت الذي تسمح فيه السلطات الفرنسية بارتداء الجزء الأسفل فقط من البكيني، في الاستحمام والاسترخاء على الشاطئ بصدور عارية. والتفاوت إذن كبير بين هذا البكيني والبوركيني.

الجدال الذي كانت مارسيليا مسرحًا له لم يتم حله، واستمر التوتر على الشواطئ وداخل حمامات السباحة. ولكنه عاد إلى السطح في الشهر الماضي عندما سمحت السلطات المحلية في مدينة جرنوبل بارتداء البوركيني في حمامات السباحة الحكومية، ومدينة جرنوبل هي، بالرغم من جامعتها الشهيرة، صغيرة نسبيًا وتقع في الجنوب الشرقي من فرنسا، على مسافة نحو ٦٠٠ كم من باريس. النقاش يتركز أساسًا على من يعتقد، خاصة في اليمين الفرنسي، أن ارتداء البوركيني هو انتهاك للقيم الجمهورية والمجتمع العلماني، ومن يعتقد على العكس أن البوركيني تعبير عن حرية المرأة في ارتداء ما تراه مناسبًا. جدل البكيني والبوركيني هو إذن تعبير عن استقطاب اجتماعي أكبر.

رأينا مثالا لهذا أخيرًا في مصر عندما حاولت سيدتان الاعتداء على أخرى في عربة مترو السيدات، لأن هذه الأخيرة، طبقًا لهن، ترتدي بما يليق بسيدة، وقبلها جرى النقاش عن مدرسة تلوم طالبة في لجنة الامتحان خارج القاهرة بسبب ملبس هذه الطالبة، قيل حينئذ إن الطالبة كانت ترتدي فستانًا، ويبدو أن التحقيق لا يزال مستمرًا، كما يستمر تضارب الآراء مصريًا ولكن عالميًا أيضًا، ليكون داخل الأسرة مثل: هل تعمل الزوجة خارج المنزل أم لا، ومدى تعليم البنات.

البعض يربط هذا الاستقطاب الاجتماعي بالناحية الدينية، لما حدث بين الكاثوليك والبروتستانت داخل المسيحية، أو بين الشيعة والسنة داخل الإسلام، والذي يستمر حتى الآن. وفي الحقيقة، يتعدى المستوى الديني كما نرى في التوتر الحادث بين إيران أو حزب الله وبعض دول الخليج، أو الصراع داخل إسرائيل بين التوجه العلماني واليهود الأرثوذكس أو الهاريدي الذين يُصرون على الاستيطان وإنشاء إسرائيل الكبرى.

بالرغم من هذه الآثار الدولية وكذلك تسييس هذا الاستقطاب، إلا أن هذه الحروب هي داخلية وثقافية تمزق مجتمعات. مثلا تستمر هذه الحرب الثقافية داخل إسرائيل حول حرية المرأة في الإجهاض من عدمه. البعض يربطه فعلاً بحق المرأة بينما المعترض يربط هذا الحق بأنه في الواقع عملية قتل لجنين قبل أن يولد. ويضاف إلى الاستقطاب حاليًا درجة حرية المثليين والسماح بالزواج من نفس النوع أو الجندر. بل امتد هذا النقاش لمحاولة جعله حقًا عالميًا يؤثر على مستوى التسامح في المجتمع، أي مجتمع، بل وإصدار قرار أممي في هذا الشأن.

النقطة المهمة هي أن العديد منا عندما يفكر في الحرب، فهو يتصور الجيوش ورنين المدافع والدبابات، كما يحدث حاليًا بين روسيا وأوكرانيا. في الحقيقة، فإن هذه الحروب، رغم قسوتها، فهي مؤقتة وتمس بعض المجتمعات والدول فقط. أما هذا الاستقطاب الاجتماعي والحروب الثقافية، فهي شاملة في المكان والزمان، أي أنها تصيب كل المجتمعات لا تختفي بمرور الوقت، هي معاناة كاملة.

ما الحل؟ المجتمع الناضج هو من يعي هذه الحروب الثقافية، من يتصور أن هذه الحروب جزء لا يتجزأ من التطور الاجتماعي نفسه، قد يتغير موضوعها حسب المكان والزمان، ولكن وجودها لا شك فيه، وبالتالي جزء من نضج المجتمعات هو الاعتراف بها كخطوة أولى وضرورية للتعامل معها، بحيث يستمر هذا المجتمع في مسيرته بالتعايش مع تعدد القيم والآراء دون أن يؤدي هذا إلى استقطاب يعوق تطوره بل ويشل إمكاناته.

د. بهجت قرني

القول إن أوروبا قارة عجوز لا يعني أنها قديمة زمنياً فقط، ولا يُقصد به أحياناً هذا المعنى، بمقدار ما يُفيد أنها تواجه صعوبات كبيرة في السعي إلى التجدد للحاق بالولايات المتحدة الأكثر قدرة على مواكبة التغيرات، والصين التي لا تكف عن تجديد نفسها منذ أواخر السبعينيات.

وأكثر ما يُعيق الأوروبيين على هذا الصعيد الطرق القديمة الجامدة في الإدارة، التي يُطلق عليها مجازاً بيروقراطية. وتبلغ الآثار السيئة لهذه الإدارة القديمة أعلى مبلغ في الاتحاد الأوروبي ومؤسساته المتكلسة المنفصلة عن مواطني دوله، والبطيئة في التعامل مع المتغيرات مهما يكن مستوى إلحاحها. وهذا ما يؤدي إلى تنامي الاستياء من هذا الاتحاد في عدد متزايد من المجتمعات الأوروبية، ويزيد الخطر على مستقبله، خاصة في ضوء الاستهانة بمصالح الفئات الاجتماعية التي تضر الحدود المفتوحة بين دوله مصالحها، وعدم الاهتمام بالبحث عن حلول لمشاكلها.

وفي الوقت الذي يزداد احتمال أن تحذو شعوب أخرى حذو أغلبية الشعب البريطاني فتغادر دولها هذا الاتحاد، لا يحدث أي تغيير في طريقة التعامل العقيمة مع طلبات الانضمام إليه، إذ تخضع لإجراءات بطيئة تناقض إيقاع العمل في هذا الزمن، وتوضح في قوائم انتظار طويلة تمتد إلى ١٥ و٢٠ عاماً يمكن أن يتغير فيها العالم مرات، كما يحدث الآن بشأن طلب أوكرانيا.

وإذ تزداد الدلائل على أن مؤسسات الاتحاد تفتقر إلى أي مقدار من المرونة اللازمة لتصحيح مسارها وتحسين أدائها، تجد أحزاب اليمين واليسار الراديكاليين في هذه الخيبة بعض ما تتغذى عليه في البلدان التي توجد حواضن اجتماعية لها فيها.

وربما يكون موقف هذه الأحزاب إزاء الاتحاد الأوروبي هو الأكثر صواباً بين كل مواقفها، التي يعتقد البعض أنها تنطوي على شطط، غير أن

أحزاب اليسار الراديكالي لا تسعى إلى إلغاء هذا الاتحاد، بخلاف بعض نظيراتها اليمينية، بل إلى إصلاح مؤسساته على أساس ديمقراطي يجعل للمواطنين الكلمة الأولى فيها، أي تحويله من اتحاد حكومات وشركات وقوى مالية كبرى إلى اتحاد للشعوب. ولعل هذا هو السبيل الوحيد لإنقاذ اتحاد بات في مهب رياح قد تعصف به.

د. وحيد عبدالمجيد

(يوم الطبيب المصري : ١٩٥ عاماً على إنشاء أول مدرسة للطب علي باشا إبراهيم.. يحتفل بميلاده ويقارن حال الأطباء في ٤٠ عاماً)



علي باشا إبراهيم

(علي باشا إبراهيم.. يحتفل بميلاده ويقارن حال الأطباء في ٤٠ عاماً)

تحل اليوم ذكرى يوم الطبيب المصري، الذي بدأ الاحتفاء به لأول مرة عام ١٩٧٩، وتم اختيار ١٨ مارس تحديداً لتقدير ذكرى تأسيس أول مدرسة للطب في مصر عام ١٨٢٧ بمنطقة "أبو زعبل"، قبل ١٩٥ عاماً.

ويأتي الاحتفال و"جيش مصر الأبيض" يواصل خوض أحد أعظم وأحدث معاركه ضد فيروس كورونا، الذي لم يعد مستجداً ولكنه استوطن المجتمعات ونواحي المستشفيات في شتى بقاع مصر والعالم. وبغرض استعراض تناول "الأهرام" لشؤون الطب وأهله في مصر، يتضح صعوبة اختزال تلك المهمة في صفحة أو عشرات الصفحات. الإرث عظيم وناقل أخباره كان بالغ الدقة، فتلك اللمحات التي نوردها، إنما هي جزء هين، والباقي سيأتي حتماً في أكثر من مناسبة وأكثر من صفحة، وفقاً للأهرام.

هو علي باشا إبراهيم (١٨٨٠-١٩٤٧)، الجراح العصامي الذي حول مسار حياته ١٨٠ درجة. فعاند صعوبات تواضع البدايات حتى أصبح من أبرز أطباء مصر، وأول نقيب لأطبائها، وأول عميد مصري لكلية طب قصر العيني. وكان الجراح المنتفخ وراء التحاق أول طالبات بسلك التعليم في نهاية العشرينيات، وكان توليه وزارة الصحة المصرية لفترة زادت قليلاً على العام مطلع الأربعينيات، وإصداره "دستور الأدوية" المصري، تتويجاً لمجموعة من المناصب والمهام التي تقلدها باقتدار.

وفي صباح ١١ أكتوبر ١٩٤٠، خرج "الأهرام" بأنباء احتفال الأسرة الطبية المصرية باليوبيل الماسي لعميدها، وبلوغه سن الستين. ووفقاً لـ"الأهرام"، أن الوزير نال يومها "نيشان المعارف" الذي أنعم عليه به جلالة الملك فاروق الأول، كما نال درجة "الأستاذية الفخرية للجراحة" في كلية الطب، فكانت تلك خير هدايا، ورد علي باشا إبراهيم بهدية لا تقل

في قيمتها، وهي كلمة ألقاها في إحدى قاعات "جامعة فؤاد الأول"، جامعة القاهرة حالياً.

وقارن في الكلمة، وفقاً للأهرام، بين حال الأطباء في بداية القرن الـ١٩ وحالهم في مطلع الأربعينيات، وكيف كان المصري لا يثق بطب أخيه المصري وانصرف الناس إلى الأطباء الأجانب.

ويشرح علي باشا أسباب ذلك قائلاً:

"انصراف الغالبية العظمى من الأطباء المصريين عن العمل الحر، وإقبالهم على الوظائف الحكومية وقصرهم على القيام بمطالب الوظيفة على أيسر الوجوه، وأدعاها إلى التخلص من المسؤولية. ومنها أيضاً حرصهم على جمع المال حرصاً شغل حيزاً كبيراً من وقتهم وتفكيرهم، فقعدوا عن الدرس. وفرت عزائمهم في التحصيل، وكلما مر عليهم الزمن، أنساهم شيء مما عملوا، والنسيان آفة العلم، والدرس حياته.. وهناك سبب خلقي كان له أسوأ الأثر وأبلغه في هذا التقهقر السريع: ذلك هو انتشار الغيبة والنميمة.. فقد كان بعضهم ينال من بعض بالتجريح المزري وينشر ذلك بين المرضى وغيرهم".

وبعد تشريحه أسباب العلة، وتأكيده أن الدواء والخلاص في الإتقان والإخلاص، عدد السبل التي سلكها أطباء مصر من أجل تحقيق رفعتهم، وهي: "إنشاء (المجلة الطبية المصرية) التي انتشرت في البلاد الأجنبية، فنجحت مؤتمراتها السنوية في الأقطار الشرقية، وصار المقام الأول للبحث العلمي المفيد.. وهنا أُتيحت الفرصة للمصريين، فأظهروا الكفاية الجديرة بنسل الفراعنة العظام، وأثبتوا النبوغ المعروف عن سلالة العرب الأمجاد".

وعن كلية الطب المصرية والصعوبات التي واجهتها وتغلب عليها أطباء مصر، أوضح: "الصعوبات التي كانت تعترض السبيل لم تكن في تدبير المال الضروري لإقامة المباني وإعداد المعامل وتوفير الأجهزة الحديثة..

بل كانت الصعوبة الكبرى في تربية الجيل الناشئ تربية علمية خلقية.. وقد نجحنا بحمد الله وتوفيقه في إعداد الأطباء الموثوق بهم".

"راسل" يزاحم الأطباء بنصائحه حول "الطاعون الجديد"

صحيح أنه ليس طبيباً، ولكنه عاش على أرض مصر أكثر من أربعة عقود متدرجاً في المناصب ومتنقلاً بين المهام الأمنية حتى بلغ مقعد "حكمدار القاهرة". هو الضابط الإنجليزي توماس راسل، الذي عاش في مصر بين عام ١٩٠٢ و١٩٤٦، وصدرت مذكراته في لندن عام ١٩٤٩، حول أعوامه المصرية والمتضمنة سجلاً بأحوال الجريمة في مصر وشرحاً لمختلف نواحي الحياة المصرية التي خابرها في النصف الأول من القرن العشرين، كان هذا قبل خمسة أعوام من وفاته عام ١٩٥٤ عن عمر بلغ الـ٧٥ عاماً.

وضمن العدد التذكاري الصادر عن الأهرام في ١٥ مارس ١٩٣٥، بمناسبة الأسبوع الصحي الثالث، جاء مقال لراسل مزاحماً مقالات أبرز أطباء مصر، فحذر من تهديد صحي آخر، وهو "الشاي الأسود" الذي وصفه لـ"الطاعون الجديد". فكان يصعب تجاوز اجتهاد الرجل رغم أنه من غير ذات الاختصاص.

يبدأ راسل مقاله المعنون: "الطاعون الجديد أو الشاي الأسود.. كلمة اللواء راسل باشا، حكمدار مصر ورئيس مكتب مكافحة المخدرات"، وفيه كتب:

"قد ظهر طاعون جديد في مصر يتلف صحة سكانها وثروتهم، واسم هذا الطاعون هو (الشاي الأسود).. في مصر فإن مقطوعيته في ازدياد مستمر، وخاصة منذ الحرب العالمية العظمى. ففي سنة ١٩١١ شربت الأمة المصرية ٥٩٥،٠٠٠ كيلو جرام منه، ولكن في سنة ١٩٢٠ بلغت المقطوعية ١،٦٣٢،٠٩٢ كيلو جراماً، بل إنها بلغت في سنة ١٩٣٢، ٧،٥١٧،٤١٢ كيلو جراماً. أما القهوة في تلك السنين فكانت مقطوعية

مصر منها ٦،٨٧١،٠٠٠ (في ١٩١١)، و١٠،٣٦٧،٠٠٠ (في ١٩٢٠)، و٧،٣٢٢،٠٠٠ (في ١٩٣٢)".

وقد كانت عادة شرب الشاي تكاد تكون مجهولة في مصر قبل الحرب العظمى إلا في الواحات، حيث لا شك أن سكانها أخذوها عن العرب. ولكن الحرب العظمى غيرت ذلك، إذ اقتبس ألوف الفلاحين هذه العادة من الجنود الأستراليين والنيوزيلنديين المشهورين بشدة الميل إلى هذا الشراب.

ويستعرض راسل وجهي الشاي، فكتب: "الشاي شراب منشط ومنبه للشاربين بشرط تحضيره كما يجب. وطريقة تحضيره الصحيحة هي وضع الماء الساخن على أوراق الشاي ثم تركها لمدة سبع دقائق لاستخلاص ما فيها من الزيت والكافيين، وبعد ذلك يُفصل الماء بما ذاب فيه من هذه المواد وتلقى البقايا جانباً.. أي يجب عدم ترك الماء الساخن فوق الأوراق مدة طويلة، وإلا استخلص منها حمض التنيك وهو ضار بالصحة".

أما الفلاحون في مصر فيحضرونه بطريقة خاطئة جداً إذ أنهم يغلون أوراق الشاي ثم يتركونها في الماء الساخن بعد ذلك ويعيدون استعمالها مرات عديدة في اليوم، وتكون النتيجة كما قال الدكتور اسكرمون من الفيوم: أن هذا الغلي المستمر يؤدي إلى استخلاص كل الخلاصات الثقيلة من الشاي، وخاصة الأحماض القابضة، تؤدي هذه الأحماض إلى قبض المعدة وتهييجها.. هذا من الواجهة الصحية، أما من الوجهة الاجتماعية، فإن أطباء آخرين يؤكدون أن شرب الشاي الأسود يصير عادة متأصلة في الشخص حتى أنه ليفضل الشاي على الطعام، وأنه نظراً لسوء التغذية بين الفلاحين، يزيد هذا الشاي من ضعفهم البدني..".

ويكمل راسل شارحاً كيف دفع إدمان "الشاي" بين البعض إلى ارتكابهم جرائم سرقة وإهمال أعمالهم.

نجيب باشا محفوظ ومؤلفه الإنجليزي

نجيب باشا محفوظ (١٨٨٢-١٩٧٤) رائد طب النساء والتوليد، الذي جازف وهو شاب وسافر إلى بلدة "موشا" في قلب أسيوط وقت تفشي مرض الكوليرا في عشرينيات القرن الماضي ليحاصره ويتعامل معه. كان صاحب مبادرة لإنشاء أول عيادة متخصصة بشأن النساء والتوليد تتبع "طب قصر العيني"، ليتم لاحقاً إنشاء أول قسم متخصص بهذا المجال بالمستشفى عام ١٩٠٦. وتبدأ مسيرة الطبيب الرائد في مجال لم يكن له آباء قبله. وكان اسمه على قائمة المحتفى بهم في أول عيد للطبيب المصري عام ١٩٧٩.

وعن خبر المؤلف الذي أصدره نجيب باشا محفوظ حول أمراض النساء والولادة بالإنجليزية، أوردت الأهرام في ٦ يونيو عام ١٩٤٩، التالي: "شرع سعادته منذ ثماني سنوات في وضع مؤلف باللغة الإنجليزية عن أمراض النساء والولادة، يثبت فيه ثمار خبرته الشخصية التي اكتسبها.. وقد واجهته صعاب جمة، خاصة في الحصول على الورق الفاخر اللازم لطبعه، لولا وساطة: سفير مصر في لندن، وتدخل رئيس الوزراء البريطانية (كليمنت أتلي وقتها) شخصياً تقديراً منه للعلم، حتى تم طبع الجزء الأول من أجزائه الثلاثة التي بلغ عدد صفحاتها ألفاً وثمانمائة صفحة تضمنت ٧٥٠ رسماً، أكثرها بالألوان، وقد استمدت كلها من المتحف العظيم الذي أهداه سعادته لكلية الطب منذ ثماني عشرة سنة، وبلغت تكاليف طبع الكتاب ١٢،٥٠٠ جنيه".

ووفقاً للأهرام، فإن نجيب باشا محفوظ سأل رأي السير كومنس بركلي، عميد أطباء الولادة بانجلترا حينذاك، أن يبدي رأيه في الكتاب، فجاء رد الطبيب البريطاني كالتالي: "تسألني رأياً صريحاً لا مجاملة فيه عن كتابكم الذي تنوون نشره، ويسرني أن أقول لكم بصراحة إن الكتاب فذ مدهش، لم يظهر في كتب الولادة إلى اليوم كتاب يقرب منه في قيمته العلمية. وسيكون هذا الكتاب من الكتب الخالدة. أما من الوجهة المادية فأرى أن كتاباً من هذا النوع ستبلغ تكاليفه حداً باهظاً لا ينتظر أن تغطيه مبيعات نسخه. فالكتب التي من هذا النوع تقوم بها الجامعات لا الأفراد، ولكني أعرف أنك كطبيب عالمي له شهرة كبيرة في كل الممالك، يهمك أن تقرن

اسمك بعمل جيد كهذا سواء أدى إلى كسب مادي أم إلى خسارة.. لأني أعلم أن نشر هذا الكتاب سيكون بلا نزاع سبباً في شهرة عظيمة تنالها بلادك وجامعتك، وأظنك لا تتأخر في أن تضع على هامة جامعتك، التي هي أمك الروحية، إكليلاً من المجد".

يسرا الشرقاوي

(مواقيت للزراعة والحصاد.. شهور السنة القبطية في الأمثال الشعبية)

منذ توصل الإنسان المصري القديم لفكرة استنبات البذور وزراعة المحاصيل التي تكفيه وأسرته وحيواناته طوال السنة، تراكمت خبراته الفلاحية عبر قرون متتالية، واكتشف كل ما يتصل بالزراعة، من الطقس والفصول، لتحديد أفضل أيام الغرس والري والحصاد، حتى استقر على نظام وتوقيتات في غاية الانضباط. وكان ازدهار الزراعة سببًا مباشرًا لظهور الحضارة العظيمة، وأن مصر باتت وجهة الشعوب المحيطة طلبًا للقمح ومختلف المحاصيل، كما أصبحت مطمعًا لكل الغزاة كونها مصدرًا استراتيجيًا للطعام والكساء.

وقنن الفلاح المصري القديم كل عمليات الزرع والحصاد، فأصبحت المحاصيل سببًا للزواج والأفراح والتجارة وإعمار البيوت والحظائر، وأبدعت القريحة الشعبية في وصف الزراعة وأحوالها بالأمثال الشعبية لتيسير الخبرة على مختلف الأفهام، وبدقة مذهلة أصبح لكل شهر قبطي مثل أو أكثر يحدد ما يحدث خلاله.

و"توت" هو بشارة السنة القبطية، ومشتق من اسم "توت" أو "تحوت" إله الحكمة، وأول من ابتكر الكتابة، ورمزه الطائر المقدس أبو منجل "أبيس"، ويلاحظ جمال ودلالات الرموز المحددة للشهور. ووضع "توت" في عدة أمثال، منها: "توت ري ولا تفوت"، ما يعني أن ري الأرض الزراعية حتمي خلاله، والمثل الثاني: "توت يقول للحر موت" لانكسار حرارة الشمس، كونه يبدأ ١١ سبتمبر إلى ١٠ أكتوبر.

والشهر الثاني "بابه"، أي "حابي النيل"، عيد انتقال الإله آمون من معبد الكرنك إلى معبد الأقصر، وقالوا عنه: "بابه خُش واقفل الدُرابة"، أي الطاقة أو الفتحة بالحائط أو الكوة الضيقة في بيوت الريف القديمة. وثالثها أكثر دقة وتفصيلًا: "إن صح زرع بابه يلغب النهّابة.. وإن خاب زرع بابه ما يجيبش ولا لبابة"، لغزارة المحاصيل، ومهما أكل منها

عابروا السبيل، أو حتى لصوص الحقول، تظل وفيرة ومربحة وتنعش حياة الفلاح، وهو من ١١ أكتوبر إلى ٩ نوفمبر.

أما "هاتور"، فهي "حتحور"، البقرة المقدسة رمز الخصب والجمال والنماء، والإلهة إيزيس، وهي مرسومة على جدران المعابد بقرنين أفقيين. وله مثلان، أولهما: "هاتور أبو الذهب منثور"، يقصد القمح دُرة المحاصيل المصرية ورمز الخير، وصد القحط والتغلب على السنوات العجاف إذا انقطع الفيضان. والثاني: "إن فاتك هاتور اصبر ع السنة لما تدور"، ويبدأ ١٠ نوفمبر إلى ٩ ديسمبر.

و"كيهك" مستمد من "كاهاكا" لاطمئنان الروح "كا" خلاله، ويشتهر بقصر نهاره. قالوا فيه: "كياك صباحك مساك تشيل إيدك من غداك تحطها في عشاك"، والثاني: "البهايم اللي متشبعش في كياك، ادعي عليها بالهلاك". وهو من ١٠ ديسمبر إلى ٨ يناير.

و"طوبة" يعني "الأعلى"، أو "عيد الفصح" الذي يوافق ١١ طوبة، ويتم فيه تطويب الأرض أي إعدادها للزراعة، وكان حظه الأوفر في الأمثال، فمنها: "طوبة تزيد الشمس رطوبة". ولأن الغطاس هو عيد القلقاس، فقالوا فيه: "اللي ما ياكلش قلقاس يوم الغطاس يصبح جتة من غير راس". وفيه يبلغ البرد ذروته: "طوبة تخلي الصبية كركوبة" و"طوبة تخلي الصبية جلدة والعجوزة قردة"، ويسخرون من تقلباته بقولهم: "الاسم لطوبة والفعل لأمشير". وقسّمه المصري إلى ثلاثة أسماء، واحد لكل عشرة أيام: فثلثه الأول "طوبة"، وثلثه الثاني "طبطب" لشدة البرد يطبطب الإنسان، أي يرتعش من البرد، والعشرة الأخيرة "طباطب" لانقلاب الجو الصحو إلى مطر شديد، وهو من ٩ يناير إلى ٧ فبراير.

و"أمشير" مستلهم من إله الريح والزوابع "مشير"، وقالوا عنه: "أمشير أبو الزعابير الكثير يأخذ العجوز ويطير" (ينطقها البعض زعابيب فتكسر السجع)، وقسّمه المصري إلى ثلاثة أيضًا: الأول "مشير" أو "العشرة الغنامي" لانخداع الراعي بالدفء، والثاني "مشرشر" أو

"عشرة الماعز" لاشتداد البرد وكثرة الريح والمطر، وتنفق الماعز من شدة البرد إن لم تدفأ، والعشرة الأواخر منه "شراشر" أو "عشرة العجوز" حيث تتحرك العجائز مع بشائر الدفء. وهو من ٨ فبراير إلى ١٠ مارس.

واشتقوا "برمهات" من الملك "أمنحات"، وتهب فيه رياح الحسوم المذكورة بالقرآن، وخصوه بمثل شعبي مبهج: "برمهات روح الغيط وهات"، ويبدأ ١٠ مارس إلى ٨ أبريل. وجاء اسم "برمودة" من إلهة الحصاد "رنودة"، وقالوا عنه: "برمودة دق العامودة"، أي دق سنابل القمح بعد ضمها لفصل الحبوب عن قشورها، وهو من ٩ أبريل إلى ٨ مايو.

أما "بشنس" فمستمد من "خونسو" إله القمر، وابن الإله آمون، وفيه تدرس المحاصيل، ويعم الفرح القرى ودور الفلاحين، فهو شهر القمح والشعور بالأمان، وقالوا عنه: "بشنس يكنس الغيط كنس". وهو بين ٩ مايو و٧ يونيو.

وجاء اسم "بؤونة" من "باواني"، أي وادي الحجارة أو "وادي الملوك" بالأقصر، وقالوا عنه: "بؤونة نقل وتخزين المونة"، أي مؤونة العام كاملاً قبل قدوم الفيضان، ويقال: "بؤونة الحجر" لاشتداد الحرارة. وهو من ٨ يونيو إلى ٧ يوليو.

و"أبيب" أو "هوبا" مشتق من "حابي" إله النيل، وقالوا: "أبيب فيه العنب يطيب" و"أبيب ميّة النيل في تريب"، يقصد تشبع مياه الفيضان بالغري أو الطمي، فيبدو مثل اللبن الرائب. وهو من ٨ يوليو إلى ٩ أغسطس.

و"مسرى" ختام السنة مستلهم من "سي ري"، أي إله الشمس "رع"، وقالوا فيه: "عنب مسرة إن فاتك متلقاش كِرة"، وفيه يسارع الفلاحون بزراعة الذرة. وهو من ٧ أغسطس إلى ٥ سبتمبر.

في كتابه "صبح الأعشى" ذكر "القلقشندي" على لسان رحالة: "عرفت أكثر المعمور من الأرض، فلم أر ماء بمصر مثل ماء طوبة، ولبن أمشير، وخرّوب برمهات، وورد برمودة، ونبق بشنس، وتين بؤونة، وعسل أبيب، وعنب مسرى، ورُطب توت، ورمان بابه، وموز هاتور، وسمك كيهك".

أسامة الرحيمي

(جرة قلم.. فرعون موسى)

لم يحظ موضوع بالبحث والدراسة من جانب المؤرخين جيلًا بعد جيل على مدى التاريخ قدر ما حظي به موضوع فرعون موسى. فمن هو ذلك الفرعون؟ وما اسمه؟ ومتى كان يحكم مصر؟ وكيف كانت نهايته؟

لقد سعدت أن وجدت كلا من الكاتبين الكبيرين مرسي عطا الله وفاروق جويدة يهتمان بهذا الموضوع، ويورد كل منهما في عموده الأسبوع الماضي آراء مهمة للمتخصصين تؤكد أن كلمة "فرعون" لم تكن لقبًا يطلق على كل ملوك مصر في التاريخ القديم، وإنما هي اسم علم لواحد من هؤلاء الملوك، وقد طغى ذلك الحاكم وكان ظالمًا وفق رواية التوراة والقرآن، حتى أصبحت كلمة "فرعون" مرادفة للظلم والطغيان، وهو ما لم يكن الحال مع بقية ملوك مصر القديمة الذين شيدوا حضارة مجيدة قائمة على العدل، وعلى منظومة من المبادئ والمثل السامية التي تضمنتها شهادات "كتاب الموتى"، وتعاليم "ماعت" السماوية للوصايا العشر التي دعا إليها موسى عليه السلام.

وجدير بالذكر أن الباحث أحمد سعد الدين، في كتابه الموسوعي الضخم البالغ ٩٥٠ صفحة، والذي يحمل عنوان "فرعون ذي الأوتاد: تهويد التاريخ والأرض والتراث وأكذوبة الأرض الموعودة"، قد ذهب إلى أن ملك مصر الذي كان اسمه الشخصي فرعون كان من العماليق الذين غزوا مصر من الشرق واحتلوها عقودًا طويلة باسم الهكسوس، وأنه لم يكن مصريًا من أبناء البلاد.

وهو يدلل على ذلك بأسانيد تاريخية ودينية، معتمدًا على الكتب السماوية، وعلى أقوال المؤرخين وعلماء الآثار، وبعض الوثائق التاريخية والبرديات النادرة التي تعرضت لواقعة هلاك جيش حاكم مصر الهكسوسي، الذي كان اسمه فرعون واسم وزيره هامان، وذلك قبل أن

تبدأ معارك القائد المصري الهمام أحمس ضد من بقي من الهكسوس المحتلين، والذين أخرجهم من مصر بلا رجعة.

وقد يكون من بين الأدلة على صحة هذا الرأي أنه ما زالت في منطقة الشام القديمة عائلات تحمل اسم "فرعون" إلى يومنا هذا، وقد قابلت بعضهم في لبنان، كما قابلت في كندا أحفادًا من هاجروا إليها، ومن بينهم أساتذة جامعيون مرموقون، ووجدتهم ما زالوا يحملون اسم العائلة الذي حمله معهم من لبنان آباؤهم المهاجرون.

محمد سلماوي

(شخصيات)

السيد درويش البحر (١٨٩٢-١٩٢٣) باعث للنهضة الموسيقية في مصر والوطن العربي. وُلد في الإسكندرية والتحق بالمعهد الديني عام ١٩٠٥، ثم عمل بالغناء وبدأ بإنشاد ألحان الشيخ سلامة حجازي والشيخ حسن الأزهري.

استطاع أن يدرك سائر الأمراض الاجتماعية في هذا الوقت، إلى جانب حسه الوطني الشديد الذي دفعه إلى تقديم الأغاني الوطنية التي كان الشعب المصري يغنيها بكل حواسه ومشاعره. وكان يقتبس عبارات الزعيم مصطفى كامل ويجعلها مطلعا لأناشيده الوطنية، كما حدث مع نشيده الوطني "بلادي بلادي".

ترك سيد درويش أثرا ملموسا في مجال التمثيل والأوبرا العربية، إلى جانب مجالات الموشح والدور والمونولوج الشعبي وغيرها من ألوان الغناء، وذلك من خلال موهبته البارعة في التلحين. ومن أشهر أعماله أوبريت "شهرزاد" الذي ظهر عام ١٩٢٠ وأحدث انقلابًا في الموسيقى العربية، كما لحن أوبريت "العشرة الطيبة" من تأليف محمد تيمور وكتب أغانيه بديع خيري، والبروكة، وكليوباترا، وأنطونيو. لم يكن يهدف فنان الشعب سيد درويش من موسيقاه الطرب فقط، وإنما كانت بمثابة رسالة وطنية من أجل مكافحة الاستعمار والإصلاح الاجتماعي.

(الشروط الواجبة عند شرائك شقة جديدة.. لتجنب الوقوع ضحية نصب)

العمارات القديمة وبيعها أو بيع إحدى الشقق بها بأسعار بخسة، ظاهرة تفشت مؤخرا، والتعاقد على وحدات مخالفة أي "خارج المسموح بترخيصه" أو بيع الوحدة لأكثر من ساكن، حيث تثور مشكلات كثيرة عند إدخال المرافق أو استلام الوحدة في صورتها النهائية.

ولتجنب كثير من المشكلات يقدم الخبير القانوني عاشور رمضان بعض النصائح القانونية التي يجب أن تتوافر لدى المشتري عند شرائه شقة تمليكا:

أولا: يجب التأكد من وجود ملكية أرض للعمارة المقام عليها البناء، وهل هي ملك لشخص واحد أم عدة أشخاص، والتأكد من أن الملكية خالصة لهم أرضا وبناء وبنظام المشاركة، وتوقيع كافة الشركاء على العقد.

ثانيا: التأكد من رخصة المباني من حيث صدورها من الجهة المختصة، وعدد الأدوار المرخص بها، وبأن الشقة السكنية المراد التعاقد عليها ليست من الأدوار المخالفة للرخصة، حتى لا تتعرض للإزالة من الجهة المختصة عاجلا أو آجلا.

ثالثا: التأكد من وجود المرافق من مياه وكهرباء وتوصيلات أساسية وفرعية للعقار والشقق المكونة له، بما فيها الشقة المراد شراؤها، وعند تنفيذ عملية الشراء يجب قراءة عقد الشراء وما تضمنه من بنود الثمن والمساحة ونسبة الأرض الشائعة لتلك الشقة، ومواصفاتها من حيث المساحة والدور وحدودها، ومراجعة البائع قبل التوقيع على العقد عند وجود أي بند غير مفهوم.

رابعا: التأكد من أن البائع أو البائعين ملتزمون بالعقد، بالحضور أو بوكيل عنهم أمام المحكمة المختصة للإقرار بنفاذ البيع وصحة توقيعه على العقد عند طلب ذلك.

خامسا: عند سداد الثمن، إذا كان جميعه نقدا تأكد من إثبات ذلك بالعقد، وأن التوقيع يعد إثبات مخالصة لقبضه الثمن، وإذا كان على دفعات تأكد من أن المقدم المدفوع مذكور، وأن الدفعات المؤجلة مثبتة في العقد بالمبلغ والتاريخ لكل سداد، وأن إجمالي كل ذلك يساوي الثمن المتفق عليه.

سادسا: لابد من الحصول على صورة طبق الأصل من جميع أوراق ملكية الأرض والرخصة إضافة إلى عقد البيع.

سابعا: الحيازة عند إتمام البيع والتسليم والشروع في التشطيبات أو وضع الأبواب الحديدية أو الأقفال لتصبح حيازة على الطبيعة.

(١٠٠عام على إعدام أشهر السفاحين..تذاكر لحضور محاكمة ريا وسكينة.. ملابس المجني عليهن في معرض .. وريا قبل الإعدام: "لك الله يا بديعة")

قبل مائة عام من الآن، وفي أواخر عام ١٩٢١، وتحديدًا يوم ٢٢ ديسمبر، أسدل الستار على أقوى قضية شغلت الرأي العام في محافظة الإسكندرية لمدة عامين كاملين، وارتبط منذ ذلك الحين اسم "ريا وسكينة" بالشر والإجرام والقتل. وعلى مدى سنوات عديدة، ورغم القضاء على مسيرتهما الإجرامية، فإنهما لا تزالان ملهمتين لكثير من الأدباء والكُتاب، فنهاية حياة الشقيقتين كانت بداية للعديد من المؤلفات الأدبية والفنية، بل إن البعض بدأ في تحويل الشقيقتين من سفاحتين إلى بطلتين فدائيتين تقومان بقتل الضباط والجنود الإنجليز أثناء الاحتلال البريطاني لمصر في الفترة من ١٩١٤ وحتى ١٩٢٢. وصحيفة "الأهرام" تعد واحدة من الشهود التي عاصرت هذا الحادث يومًا بيوم، واستطاعت أن تنقل للقراء الكثير من الحقائق.

نشرت "الأهرام"، في عددها الصادر بتاريخ ١٣ سبتمبر عام ١٩٣٠، خبرًا يتناول العثور على جثة لسيدة في أحد شوارع الإسكندرية، وذكرت فيه: "وجد بوليس اللبان في شارع أبي الدرداء أجزاء جسم امرأة مقطعة وجمجمة منفصلة عن الجسم، وأبلغ الأمر إلى النيابة، ولا يعرف حتى الآن شيء عن حقيقة ارتكاب تلك الجناية الفظيعة".

فإن الصحيفة تناولت الحادث كخبر ينبئ بوقوع جريمة قتل قد تحدث بصورة فردية من حين لآخر، ولكنها في عددها الصادر بتاريخ ١٧ نوفمبر شرعت في التقاط أول حلقة من حلقات سلسلة اختفاء عدد من النساء بصورة متكررة. فكتبت في هذا العدد خبرًا يقول: "وصل إلينا نبأ مؤداه أن شخصًا وطنيًا يدعى عيسى أحمد عبده كان يحفر مجرى أمام منزله في قسم اللبان فوجد في المجرى جثة قد غطيت بالتراب، وأبلغت الحادثة إلى النيابة، وطفق الشرطة يبحثون عما هناك، ويظهر الآن أن

المقتولة هي إحدى النساء الأربع المفقودات منذ أيام، وقد قبض على ثلاثة من الرجال وثلاث من النساء من مومسات اللبان إذ ظهر أن هؤلاء الأشخاص استأجروا المنزل الذي وجدت الجثة في المجرى الكائن فيه، وأنهم استأجروه منذ نحو سنة، وقد فتش البوليس منازلهم فوجد عند بعضهم أشياء ثمينة".

ومن حينها لم يخُل أي عدد من "الأهرام" من وجود خبر أو تقرير عن هذه الجرائم. ففي ١٨ نوفمبر ١٩٢٠، جاء تقرير تحت عنوان "مجزرة نساء اللبان"، وفي هذا التقرير بدأت الأمور تتضح شيئًا فشيئًا، حيث ورد فيه: "اتضح الآن أن ظهور جثة تلك المرأة التي وجدت مقتولة في مجرى منزل بقسم اللبان كان مقدمة لاكتشاف جثث بقية النساء المفقودات، وننقل بلاغ البوليس عن الحادثة (إلحاقًا لما كتب أمس بشأن حادثة القتل والجثة التي وجدت بغرفة سكينة بنت علي همام، قد وجد البوليس السري الأونباشي أحمد البرقي أثناء مروره بجهة منزل ريا بنت علي، شقيقة سكينة، بشارع علي بك الكبير، رائحة بخور، فاشتبه في الأمر فأبلغ حضرة مأمور قسم اللبان، وعند البحث وجدت في منزلها جثتان وجمجمة رأس وبعض عظام لجثة أخرى). وأراد حضرة الهمام، مأمور قسم اللبان، استمرار السعي والبحث، فاستحضر فوانيس كبيرة واستخدم سبعة من العمال في الحفر حتى ظهرت سبع جثث أخرى".

وفي تتبع دقيق لخطوات كشف النقاب عن جرائم القتل، صدرت "الأهرام" في يوم ١٩ نوفمبر ١٩٢٠ بخبر، وهذا بعض ما جاء فيه: "اعترفت ريا أنها كانت تدير المنزل هي واختها للفحشاء وشرب الحشيش، وسكينة اعترفت بأنها كانت تدير المنزل للفحشاء، وأنها مدمنة المسكرات، وكان يتردد عليها أشخاص يرافقهم بعض النسوة".

وفي رد من "الأهرام" على ما أشيع عن وجود جثة لعسكري بريطاني في أحد منازل ريا وسكينة، نشرت الصحيفة خبرًا في عدد ٢٧ نوفمبر ١٩٢٠، جاء فيه: "وقد سمعنا اليوم أن نحو ثلاثين رجلاً أستراليًا فقدوا في أواخر أيام الحرب في الإسكندرية، وكان يُظن أنهم فروا من الخدمة

التي كانوا فيها بطرق مختلفة. ويظهر أن اكتشاف جثث النساء ومعرفة سبب قتلهن كان لأجل الاستيلاء على ما يكون عليهن أو في حوزتهن من المصوغات والنقود، فقد اتجهت الأنظار إلى مسألة اختفاء أولئك الأشخاص، ويحتمل أن يظهر تأثير هذه الفكرة إذا وجد سبيل لإبرازها. أما ما أشيع منذ أيام من اكتشاف جثة عسكري إنجليزي في أحد بيوت ريا وسكينة، فاختلاق محض".

وأشارت "الأهرام" في عدد ٢ ديسمبر ١٩٢٠ إلى أن النيابة قد أصدرت أمرًا جاء فيه ما يلي: "أمرت النيابة بغسل الملابس التي وجدت على المجني عليهن وكيها لعرضها على من يتعرف عليها، فغسلت وكُوِيَت ووُضعت في المعرض".

ونشرت "الأهرام" تفاصيل جلسات المحاكمة على مدى أربعة أعداد، وفي الجلسة الأولى، التي نشرتها بتاريخ ١١ مايو ١٩٢١، وصفت الإجراءات المشددة التي اتخذتها الداخلية، فقالت: "احتاط البوليس، فوضع في دار المحكمة حواجز خشبية، وأقام الشرطة حراسًا على الأبواب، فلم يعد يدخل إلى الدائرة المحدودة بالحواجز غير الذين يحملون تذاكر خصوصية للدخول إلى قاعة الجلسة".

وفي الجلسة الثانية، والتي نشرت في عدد ١٢ مايو ١٩٢١، جاء رد النيابة متمثلاً في رئيس النيابة وقتئذ، سلميان عزت، والذي كان مسؤولًا عن القضية منذ بدايتها، وقيل إن له الفضل الأكبر في اكتشاف المتهمين. وعلى ما قيل إن القانون لا ينص على إعدام النساء، فقال: "إنه من الخطأ ما يُقال إن القانون لا يقضي بإعدام النساء"، وذكر المادة الخاصة بذلك، وقال: "لم يكن القضاة في مصر يحكمون على النساء بالإعدام في الغالب لسببين: الأول أن جنايات النساء العادية يكون فيها عادة شيء يستوجب الرأفة، كأن تكون المرأة قد قتلت ضرتها أو دست السم لشخص يؤذيها أو نحو ذلك، والثاني أن الإعدام يجري علنًا، أما السبب الأول فلا محل له في هذه القضية، وأما الثاني فقد زال لأن الإعدام يجري في غرفة

السجن". وطالب في الختام بالإعدام على كل من: ريا وسكينة وحسب الله سعيد ومحمد عبد العال وعرابي حسان وعبد الرزاق يوسف.

وجاء يوم تنفيذ حكم الإعدام، ونقلت "الأهرام" الحدث في عددها الصادر يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٢١، وجاء في التغطية: "وقف الجميع في دار السجن أمام غرفة الإعدام، وفي الساعة السابعة والنصف جاء حراس السجن بريا، رئيس العصابة، وكانت لابسة ثوبًا أحمر وعلى رأسها طاقية بيضاء، وكانت تسير بقدم ثابتة، وسألها المحافظ لو كانت تحتاج إلى شيء، فقالت إنها تريد أن ترى ابنتها، فقيل لها إنها رأتها قبل، فقالت: (ألا أرى ابنتي، لك الله يا بديعة)".

وجيء بسكينة، وكانت نشيطة بحركتها وكلامها، ومن كلامها ما يأتي: "(طيب، قتلت كل هؤلاء النسوان واستغفلت بوليس اللبان، ورايحة اتشنق ولا أبالي، أنا جدعة)"، وقالت للجلاد وهو يوثق يديها: "(حاسب أنا وليه)".

ريا وسكينة في عيون "العقاد"

عندما يتناول رجل الشرطة أو المواطن العادي قضية مثل قضية "ريا وسكينة"، لابد أن تكون نظرتهم للأمور مختلفة اختلافًا كبيرًا عن نظرة وتحليل وتفسير الأدباء والفلاسفة لمثل هذه الظواهر البشرية، والتي تلقى في نفوسهم شغفًا وفضولًا شديدًا لمعرفة أغوار وخفايا هذه الشخصيات المشوهة، التي قد تتخطى المفهوم العادي للإجرام.

ففي عدد "الأهرام" الصادر بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٢٠، نشر عملاق الأدب العربي عباس محمود العقاد (١٨٨٩-١٩٦٤) مقالًا بعنوان "ريا وسكينة بين لومبروزو وأناتول فرانس"، قام فيه بمحاولة لتحليل ظاهرة ريا وسكينة، مستعينًا بدراسات العالم الإيطالي في مجال الجريمة، تشيزري لومبروزو (١٨٣٥-١٩٠٩)، وكذلك برؤية الروائي والناقد الفرنسي أناتول فرانس (١٨٤٤-١٩٢٤) لتحليل لومبروزو للنفس الإجرامية، فقال العقاد:

"من عادة الناس أن يربطوا بين باطن المرء وظاهره بسبب، فإذا أعجبتهم أو أدهشتهم مقدرة فائقة من رجل أو صفة شاذة في خلقه، تاقوا إلى رؤية وجهه ليعرفوا من تقاسيمه وملامحه أي رجل هو، ويشهدوا مكان تلك المقدرة أو السفة من ذلك الوجه. فإن لم يتمكنوا من رؤيته عيانًا سألوا عن أوصافه وبحثوا عن صورته. وأنت قد تسمع المغني يردد غناءه فتطرب له، ولكنك إذا حال حائل بينك وبين وجهه استشرفت له ولم تقنع بسماع الصوت الذي هو بغيتك منه، وربما كان دميم الوجه لا يزيدك النظر إليه سرورًا بغنائه، بل قد تعرض عنه إن رأيته صامتًا. ولكنه الإنسان قلما يشغف بمعنى مجرد أو صفة محجوبة، ولا غنى له عن تشخصيها وتجسيمها في شكل من الأشكال المنظورة. ولا أظن هذا الميل وجد في الإنسان عبثًا. أعني به الميل إلى رؤية أولئك الذين تسمع عنهم ما يدهشه ويلفت عنايته، فلابد أن تكون ثمة صلة بين البواطن والظواهر، وبين قوي النفس وملامح الوجه. وصدق "لافانر" منشئ الفراسة الحديثة إذ يقول: أن بين لحظات الفيلسوف ولحظات النجار الساذج تباينًا لا يستطيع إنكاره، فإن لم ينفذ العلم اليوم إلى سر هذا التباين أو تعذر على الباحثين تقسيم حدوده وترتيب أنواعه، فليس لأحد منهم أن يجزم بإنكاره أو يقلل من شأنه.

اشتغل لومبروزو، العالم الإيطالي الكبير، بهذا البحث في عصرنا هذا، وألف فيه كتبًا عدة، أشهرها كتاب "الرجل العبقري" وكتاب "الرجل المجرم". وفي كلا الكتابين يثبت المؤلف علامات في الوجوه والأجسام يستدل بها على العبقرية أو طبيعة الإجرام، ولقد استرسل في التعميم حتى تناول الجسم جارحةً جارحة، وأظهر ما يتوسمه فيها من الخواص المميزة، فأتى بحقائق لا نقول إنها كل الصواب، ولكننا لا نراها كذلك كل الخطأ. فإلى أي حد يا ترى تقيد حقائقه وتجدي ملاحظاته؟ أسأل هذا السؤال وبين يدي صور أربعة من كبار المجرمين: أربعة لم نسمع بأبشع من جرائمهم وآثامهم في بلدنا هذا وفي وقتنا هذا، تهافت الناس على صورهم كما يتهافتون على صور العظماء. لا حبًا في اقتنائها ولا إعجابًا بأصحابها، بل لكي يروا كيف تكون تلك الوجوه التي تخفي وراءها قلوبًا

تعيش فيها شياطين الجرائم، وأسرار الدماء، وتستقر فيها الجيف في هاوية عميقة من الشرور. يسألون أنفسهم: أتكون تلك الوجوه كوجوه الناس؟ تلك هي صور المرأتين ريا وسكينة، وزوجيهما محمد عبد العال وحسب الله سعيد، وهم المتهمون في جرائم إخفاء النساء بالإسكندرية. فماذا يتوسم الناظر فيها؟

يخيل إلى بعض القراء أنه سيرى في تلك الصور وجوهًا يفر منها هلعًا ورعبًا كما يفر من أشباح جرائمهم وبشاعة نفوسهم، وهذا هو مصدر الخطأ في إنكار الفراسة ونفي العلاقة بين سمات المرء وأعماله، فقد يقترف المجرم أشنع الكبائر، ثم تظهر في وجهه ملامح طبيعية لا توحي بما ارتكب، وهنا يبرز التحدي في فهم طبيعة النفس الإجرامية وفحصها بعين الحكمة والعلم، بعيدًا عن الانطباعات السطحية.

يكون ذلك متأتياً عن نفس مرعبة تغلي بالشر وتتوثب إلى العدوان، بل يكون كل ما في الأمر أنها نفس ميتة يمر بها الناظر فينقبض لمرآها، كما ينقبض لمرأى العظام النخرة والجثث المشوهة، فإذا لم يجد في صورها من بواعث الرعب والهلع مثل ما تبعثه في خياله جرائمها وذنوبها، توهم الخطأ في آراء القاتلين بالفراسة وخفى عليه مصدر الخطأ من تصوره.

وكذلك صور هؤلاء المجرمين، فإنها لا تشف عن طمع قوي، أو غيظ سريع، أو حيوية ضالة جهنمية، وإنما تشف عن بلادة الموت وخمود العقل. وكلما اندس منظرهم بين المناظر العادية التي تشاهد كل يوم، كان ذلك أدل على اختلاف طبائعهم وتميز نفوسهم، لأن الذي يقترف أفظع الآثام لا تبدو على وجهه أثارها جلية شاخصة، بل يكون مخلوقًا عادياً من عامة الناس.

ولا يفوتنا أن ننبه هنا إلى الذي نعنيه بكلمة "الجريمة" في هذا البحث، فنقول إننا لا نعني جرائم العرف، لأنها مما يتغير بتغير القوانين والمجتمعات التي تسنها. فما يكون جريمة في عصر من العصور أو مجتمع من المجتمعات قد لا يكون كذلك في عصر آخر، أو في مجتمع غير ذلك المجتمع. ومن البديهي أن مثال هذه الجرائم العرفية لا يلزم أن

تصدر عن طبيعة خاصة، ولا أن تبدو لها على ظاهر الجسم علامة موسومة، لأنها جرائم ترجع إلى مصطلحات الوقت لا إلى طباع الناس. ونحن لا نعنيها – كما قلنا – حين نذكر الجريمة، ولكننا نعني تلك الجرائم التي ينافي شيوعها سلامة الإنسانية بأسرها، والتي يستنكرها جميع الناس بالفطرة، ولا يتعلق استنكارها بعصر دون عصر، ولا بقبيلة دون أخرى.

يتساءل أناتول فرانس: "أتقول مع مودسلي: إن الجريمة تستكن في الدم، وأن في المجتمع طائفة مجرمة، كما أن بين الغنم شياها سوداء الرؤوس، وأن تمييز الأولين من السهولة بحيث لا يختلف عن تمييز تلك الشياه من قطيعها؟ هل نخوض في آراء رجل من أشد الباحثين اقتناعا بمذهبه؟ ذلك الإيطالي مؤلف 'الرجل المجرم'".

ثم يقول: "الحق أن الباحث الإيطالي لن يوفق إلى حصر جميع المجرمين في صنف معين، وعلة ذلك أن المجرمين بطبيعتهم مختلفون بعضهم عن بعض، وأن الاسم الذي يجمعهم لا يحضر في الذهن شيئًا واضحًا، والسنيور لومبروزو لم يفكر في تعريف كلمة 'المجرم'. فلهذا تراه يقبلها على معناها الدارج، وبهذا المعنى يسمى الرجل المجرم مجرماً إذا اقترف بدعاً خطيراً في الآداب وشذوذاً عن أحكام الشريعة".

دعاء جلال

(جندي الحرب ورسول السلام.. دينا عمارة)

لم يكن الشاعر العربي بشار بن برد مخطئًا حينما قال في إحدى قصائده إن "الأذن تعشق قبل العين أحيانًا"، إذ يمكن لسحر الكلمة وجودة الإلقاء أن يحدثا في النفوس ما لا تحركه أشياء أخرى نراها بأعيننا. وعلى مدار سنوات عديدة استطاع الراديو أن يعبر الحدود ويتجاوز المسافات ليطرق أذان مستمعيه، بل وجعلهم أيضًا ينسجون من خيوط خيالهم الواسع ثيابًا يكسون بها أصوات المذيعين التي تصلهم عبر الأثير، وفقًا لما يجود به تصورهم.

قد يكون من الصعب تصديق ذلك، ولكن في زمن ماضٍ، كان معرفة ما كان يحدث في أجزاء أخرى من العالم أمرًا يتطلب أسابيع. فقبل القرن التاسع عشر، كان الاتصال اللاسلكي في الحياة اليومية يُعتبر ضربًا من الخيال، قبل أن تصبح أجهزة الراديو سائدة وتحتل مكانتها كجهاز منزلي ضروري. حكايات كثيرة قد تكشف لنا كيف كان الراديو بمثابة "المنقذ" في الطوارئ و"الجندي" في زمن الحرب، وأحيانًا "رسول سلام" وأحيانًا أخرى وسيلة لإرسال الشفرات والتمويه، ولكن قبل ذلك دعونا نتعرف على تاريخ الراديو الذي بلا شك يعد رائعًا ومثيرًا للاهتمام.

بداياته الأولى لا تزال مثيرة للجدل، وبالأخص حول أول من قام بتجميع أول جهاز راديو، إلا أننا نعلم أنه في عام ١٨٩٣ عرض الفيزيائي الصربي–الأمريكي نيكولاي تيسلا أول راديو لاسلكي في سانت لويس بولاية ميسوري الأمريكية. وعلى الرغم من هذا العرض التوضيحي، فإن الإيطالي جوليلمو ماركوني هو الشخص الذي يُنسب إليه غالبًا اختراع الراديو، حيث حصل ماركوني على أول براءة اختراع للتلغراف اللاسلكي (إرسال الإشارات الكهربائية بدون سلك) في إنجلترا عام ١٨٩٦، وختم ماركوني مكانته في تاريخ الراديو إلى الأبد بعد ١٢ ديسمبر عام ١٩٠١ عندما أصبح أول شخص يرسل إشارات عبر المحيط الأطلسي.

قبل عشرينيات القرن الماضي، كان الراديو يُستخدم بشكل أساسي للاتصال بالسفن الموجودة في البحر، ومن اندلاع الحرب العالمية الأولى، أصبحت أهمية الراديو جلية بشكل كبير، فقد استخدمها الجيش الأمريكي في إرسال واستقبال الرسائل الحربية في الزمن الفعلي، دون الحاجة إلى مرسال بشري. بعد انتهاء الحرب، بدأ الأشخاص في عشرينيات القرن الماضي بشراء أجهزة الراديو للاستخدام الخاص، وعُرفت محطة "كي دي كي إيه" كأول إذاعة في العالم في مدينة بيتسبرغ بولاية بنسلفانيا الأمريكية، والتي بثت أول إرسالها في ٢ نوفمبر ١٩٢٠، وقد تم اختيار ذلك التاريخ لأنه كان يوم الانتخابات الرئاسية الأمريكية، حيث أثبتت الإذاعة قوتها عندما سمع الشعب نتائج الانتخابات قبل أن يقرؤوا عنها في الصحف.

بعد ذلك بعامين، بدأ البث الإذاعي البريطاني مع هيئة الإذاعة البريطانية "بي بي سي" في لندن، والتي سرعان ما انتشر صداها في جميع أنحاء المملكة، لكنه رغم ذلك فشل في سحب البساط من الصحف حتى عام ١٩٢٦ عندما أضربت الصحف عن الظهور. في هذه المرحلة أصبح الراديو و"بي بي سي" تحديدًا المصدر الرئيسي لمعلومات الجمهور.

يعود الراديو إلى الصفوف الأمامية ليؤدي دورًا بطوليًا جليًا مرة أخرى مع اندلاع الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩، وذلك حينما كان وسيلة مهمة للجيش لتوصيل ما كان يحدث على خط المواجهة، كما استخدمته هيئة الإذاعة البريطانية أيضًا في بث رسائل مشفرة إلى مجموعات مقاومة أوروبية. وحسبما نشرت مجلة "بي بي سي هيستوري" عن وثائق تضمنت خططًا لإذاعة نسخة مسجلة من دقات ساعة "بيغ بن" حال وقوع هجوم ما، كما أذاع معدو برامجها مقطوعات موسيقية للتواصل مع المقاتلين البولنديين، وكانت توجه رسائل للمقاتلين عبر اختيار مقطوعات موسيقية بعينها في نهاية نشرات الأخبار.

كانت الإذاعة حاضرة أيضًا عشية إنزال نورماندي، أكبر اجتياح بحري في التاريخ لتحرير فرنسا من احتلال ألمانيا النازية، وذلك في ليلة

الخامس من يونيو عام ١٩٤٤، حينما أذيعت عبارة "دللني على مهل"، وكانت إشارة على أن الاجتياح قد بدأ.

الإذاعة أيضًا كانت وسيلة للسياسيين للتحدث مباشرة إلى الشعوب، وربما كان أحد أشهر الإعلانات الإذاعية على الإطلاق، هو إعلان رئيس وزراء بريطانيا الأسبق نيفيل تشامبرلين في ٣ سبتمبر عام ١٩٣٩، أن بلاده في حالة حرب مع ألمانيا.

استحوذ الراديو أيضًا على بعض أكبر اللحظات الحماسية في العالم، حينما ساعد بث الإذاعي لخطاب المناضل في مجال الحقوق المدنية مارتن لوثر كينج "لدى حلم" في إبلاغ بقية العالم بنضال السود من أجل المساواة.

كان أيضًا وسيلة تضامن للشعوب ورسول سلام، فمن منا لا يتذكر قصف الإذاعة المصرية على يد العدوان الثلاثي ظهر يوم ٢ نوفمبر عام ١٩٥٦، حينما توقف البث الإذاعي وتقطعت السبل بشأن وصول الأخبار إلى الجمهور. ففي مدة لا تتجاوز السبع دقائق تقريبًا، قرر المذيع السوري عبدالهادي بكار أن يبدأ نشرته الإخبارية عبر إحدى الإذاعات السورية بمقولة: "من دمشق.. هنا القاهرة"، ليلقى حفاوة كبيرة آنذاك، ويظل اسمه محفورًا في ذاكرة الجمهور العربي.

(الراديو.. سحر الصوت عبر موجات الأثير)

"نعم للراديو.. نعم للثقة" هو شعار الاحتفال باليوم العالمي للإذاعة لهذا العام في نسخته الحادية عشرة، والذي يقام يوم ١٣ فبراير من كل عام، بهدف تسليط الضوء على أهمية الدور الذي يلعبه الراديو حول العالم وزيادة الوعي بين عامة الناس. كما يهدف الاحتفال إلى تكريم العاملين في وسائل الإعلام وتشجيع صناع القرار على توفير المعلومات عبر الراديو، وتعزيز التواصل والتعاون الدولي بين المذيعين، من خلال دعوة اليونسكو جميع المحطات الإذاعية للمشاركة في الاحتفالات.

ويحمل الاحتفال بهذا اليوم كل عام فكرة مختلفة وهدفًا محددًا، وفكرة هذا العام هي الثقة، والهدف تعزيزها. ويقصد بها الثقة في الصحافة الإذاعية وما تحمله من أخبار ومعلومات. ففي الوقت الحالي، وسط كثرة الشائعات والأخبار المغلوطة، بات التعرف على مصادر الأخبار أهم من أي وقت مضى، وهو ما توفره الصحافة الإذاعية، فقد أثبتت إحدى الدراسات التي أجريت على مستوى الدول الأوروبية في عام ٢٠٢٠ أنها الوسيلة الأكثر مصداقية لقدرتها على الوصول إلى مجموعة متنوعة من الجماهير وتقديم أخبار موثوقة.

وقد بدأت اليونسكو عملية تشاور واسعة النطاق في عام ٢٠١١، ثم أعلنت الدول الأعضاء بها تحديد يوم ١٣ فبراير يومًا عالميًا للإذاعة، واعتمدت ذلك الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ٢٠١٢. وقد تم اختيار يوم ١٣ تحديدًا ليتزامن مع الذكرى السنوية لليوم الذي شهد بث أول إذاعة للأمم المتحدة في عام ١٩٤٦. وإن جاء ذكر الإذاعة، فلا يمكن إغفال دور الإذاعة المصرية، التي بدأ بثها خلال عام ١٩٣٤، وتعد من أقدم الإذاعات في العالم، وتحمل أرشيفًا وتجسيدًا هائلًا للتاريخ المصري والعربي. واستطاعت من خلال برامجها الإذاعية العامة والمتخصصة، بقيادة أسماء إعلامية لامعة، تشكيل الوجدان المصري عبر الأجيال.

وبالرغم من ثورة المعلومات وانتشار الفضائيات في كل أرجاء العالم، فإن الإذاعة تظل الوسيلة الإعلامية الأوسع انتشارًا عالميًا، وهو ما يعود لقدرتها الفريدة على الوصول إلى جمهور واسع بكل طبقاته الاجتماعية ومستوياته التعليمية وفئاته العمرية، خاصة مع نجاح البرامج الصوتية في تخطي العديد من الحواجز، وعلى رأسها تلك المرتبطة بالأمية، حيث تساعد غير المتعلمين على فهم واستيعاب الأخبار والمعلومات بصورة مباشرة ومبسطة.

ومن ناحية أخرى، تظل الإذاعة الوسيلة الأقل تكلفة من حيث إنتاج محتواها مقارنة بإنتاج الصور المرئية، بالإضافة إلى اقتصاد الوسيلة الذي يعد مناسبًا لأصحاب الدخول الزهيدة، حيث يمكن الحصول عليها بشراء جهاز راديو ليصبح وسيلة تواصلهم مع العالم في وقت قد لا يتحملون فيه أعباء شراء هاتف محمول أو تليفزيون. وقد أدت سهولة الوصول إلى الراديو وقلة تكاليف إنشاء محطات إذاعية مقارنة بالمرئية، إلى انتشار المحطات الإذاعية المحلية التي تلبي احتياجات السكان في المناطق القروية والمجتمعات النائية، فعلى سبيل المثال يصل البث الإذاعي إلى ٩٩% من سكان الهند، حيث تعتمد المناطق الريفية على الإذاعة بشكل كبير للحصول على المعلومات.

وللراديو دور رئيسي لا يمكن إنكاره في حالات الكوارث الطبيعية والحروب، فقد تنهار البنية التحتية لشبكات التليفونات المحمولة، لكن تظل الإذاعة هي وسيلة الاتصال الوحيدة بين الحكومات والمواطنين، نظرًا لتوافرها في حال انقطاع الكهرباء. ولا ننسى دور الإذاعة خلال تسونامي عام ٢٠٠٤ وفيضانات الهند عام ٢٠١٣ وغيرهما، حيث لعبت دورًا رئيسيًا في نقل المعلومات الخاصة بأعمال الإغاثة وجهود المساعدة عندما استحال الوصول إلى الوسائط الأخرى.

ومع ظهور التليفزيون، تنبأ مراقبو وسائل الإعلام في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي بأن اندثار الراديو أمر لا مفر منه، وأن لا شيء يضاهي إثارة رؤية الصور المتحركة بألوانها، لكن اليوم ثبت

خطأ تنبؤات هؤلاء المتشائمين. إذ إن أعداد المتابعين للإذاعات المختلفة في تزايد، وأثبت الراديو قدرته على إعادة إنتاج نفسه والتكيف مع أذواق الأجيال الجديدة من المستمعين، وقدرته على استيعاب التقنيات الحديثة. فكما ذكرت الكاتبة الأمريكية بيجي نونان: "يعطي التليفزيون صورة للجميع، لكن الراديو يولد مليون صورة في مليون عقل".

وبحلول أواخر التسعينيات وأوائل القرن الـ٢١، كانت المحطات الإذاعية تعيد هيكلة نفسها لتتماشى مع تطور العصر وتلبي احتياجات الجماهير. لذا كانت هناك محطات مخصصة لأنواع معينة من المحتوى، مثل محطات موسيقى الروك. كما بسط الراديو سلطانه، ليس فقط عبر الأثير، بل في الفضاء الافتراضي أيضًا، فأصبح بإمكان الجماهير والمستمعين الوصول إلى المحطات الإذاعية دون الحاجة إلى اقتناء راديو، وذلك من خلال الإنترنت بتنزيل تطبيقات على أجهزتهم الإلكترونية المحمولة.

هدير الزهار

(كسوة الكعبة ...وفقًا للأهرام)

٦٨٦٤ جنيهًا ميزانية إعداد كسوة الكعبة عام ١٩٢٠..

٢١ طلقة مدفع في استقبال "المحمل" العائد من الحجاز

"المحمل" و"الكسوة" الشريفة.. وعلاقة مصر الوثيقة بموسم الحج المقدس.. سيرة كثيرًا ما تكرر سرد فصولها، لكن القلوب دومًا تعود لاستعادة تلك الذكرى الغالية. فكيف كانت الاستعدادات لوداع "المحمل"، وكيف كان استقبال المصريين لعودته بعد انتهاء موسم الحج، وكيف كانت أجواء الشوارع المصرية قبل قرن من الزمان في مصاحبة "المحمل" في خط سيره الشهير من مقار إعداد "الكسوة" في "الخرنفش" حتى السويس، تمهيدًا لرحلتها إلى الأراضي الحجازية؟ الإجابة تأتي كاملة بشرح وافٍ لمشاهد حية من محبة المصريين، وذلك وفقًا للأهرام.

وفي العدد الصادر بتاريخ ٢٧ مايو ١٩٢٠، ورد الخبر التالي وعنوانه: "إدارة الكسوة الشريفة"، ويوضح الخبر، الذي شغل مساحة بالصفحة الثانية، ما كان من زيادة الميزانية المخصصة لإعداد "الكسوة الشريفة"، وفقًا للتالي: "خُصص لإدارة الكسوة الشريفة في ميزانية هذا العام مبلغ ٦٨٦٤ ج.م (في إشارة إلى الجنيه المصري)، بدلًا من ٤٢٢٥ ج.م في سنة ١٩١٩".

وأفرد الخبر شارحًا أوجه إنفاق هذا المبلغ الحائز زيادة كبيرة، فذكر: "وجُعل راتب مدير الكسوة عبد الله بك فايق ٧٨٠ ج.م في السنة، على أن يكون ذلك الراتب شخصيًا. وخُصص للأجور والمرتبات في الميزانية ١٥٩٤ ج.م، منها ٥٠٠ ج.م لراتب أمير الحج، و٢٠٠ ج.م مرتب لمندوب الحكومة العربية المرافق للمحمل".

هذا كله كان فيما يتعلق بنفقات إدارة "الكسوة"، أما نفقات نقلها والمخصصات المتعلقة بكل مرحلة من مراحل النقل فجاءت، وفقًا للأهرام، كما يلي: "وخُصص في الميزانية مبلغ ٨٩٠٠ ج.م لمصاريف النقل، منها ١٩٥٠ ج.م أجر النقل بحرًا، و١٩٠٠ ج.م بالسكك الحديدية، و٤٨٠٠ ج.م أجرة النقل على الجمال، و١٥٠ ج.م لنقل الحصر والزيوت والشمع والصناديق المرسلة إلى الحرمين الشريفين".

والمسألة لا تنتهي هنا، فالمهمة الجليلة وتكاليفها متشعبة، والمصريون أهل كرم وجود، خاصة فيما يتعلق بالكسوة الشريفة. فوفقًا للأهرام، أنه تم أيضًا تخصيص مبلغ ٦٦٢٩٠ جنيهًا مصريًا لتوريدات الكسوة، منها ٦٥ ألف جنيه لتوريد القمح لفقراء مكة والمدينة، وتخصيص ٤٧٥ جنيهًا مصريًا ثمن نحو ثلاثة آلاف أقة زيت مخصصة للمدينة، وأكثر من ٤٥٠٠ أقة لمكة. أما عن ثمن "الحصر"، فرُصدت لها الميزانية المصرية مبلغ ١٩٢ جنيهًا مصريًا لتزويد المدينة المنورة بها، ومبلغ ٣٨ جنيهًا لتوفير نحو ٢٥٠ قنديلًا للمدينة.

واللافت في سياق الميزانية ذاتها ما أوردته "الأهرام" حول تخصيص إعانات لفئات مختلفة في الأراضي المقدسة، وذلك كالتالي: "تُخصص للإعانات مبلغ ٧٧١٥ ج.م، منها ١٥١٩ ج.م مرتبات للعرب، و٨٩٨ ج.م لأشراف ومجاوري مكة، و١٨٤٧ ج.م مرتبات لأهالي مكة والمدينة، و٣٥٥٠ ج.م صدقات برسم التكايا بمكة والمدينة".

كانت هذه هي الميزانية، أما إجراءات نقل الكسوة الشريفة وخروج المحمل، فوفقًا للأهرام، أنه في يوم السبت ٣١ يوليو تم تعطيل المصالح الحكومية في القاهرة، للاحتفال بنقل "الكسوة" من "الجمالية" إلى "ميدان صلاح الدين" بالقلعة، متخذة مسارها إلى "المشهد الحسيني" لاحقًا.

وفي هذا العام حضر مراسم نقل "الكسوة" صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا، رئيس مجلس الوزراء حينذاك، بالإنابة عن سلطان

مصر أحمد فؤاد، الذي كان يحمل لقب "سلطان مصر" منذ عام ١٩١٧ حتى بات ملكًا على البلاد بعد تغيير نظام الحكم.

وحول آخر محطات "الكسوة" داخل الأراضي المصرية، ذكرت "الأهرام": "وقد وُضعت الكسوة الشريفة في الصناديق الخاصة بها لشحنها في السكك الحديدية في القطار الخاص الذي يقوم من العباسية صباح السبت القادم إلى السويس مع المحمل وركبه". وتكمل "الأهرام" في تغطيتها بالإشارة إلى ما كان من استقبال وزير المالية محمود فخري باشا عددًا من كبار الشخصيات المعنية، يتقدمهم محمود فؤاد باشا أمير الحج، والشيخ مصطفى سلطان نائب المحكمة العليا الشرعية، وفي هذا الجمع "كُتبت الحجة الخاصة بكسوة الكعبة والخليل إبراهيم بالصيغة الشرعية المعتادة.. وبعد كتابة الحجة أصبحت الكسوة في عهدة أمير الحج ومن معه ليسلمها في مكة المكرمة".

وعن التفاصيل الرائعة لموكب المحمل المهيب وكيف يودع المصريون "الكسوة" الشريفة، حرصت "الأهرام" على إيراد وقائع يوم خروج المحمل، وكذلك وقائع عودته بعد انتهاء موسم الحج كل عام.

ففي العام التالي، ووفقًا للأهرام في العدد الصادر بتاريخ ١٦ يوليو عام ١٩٢١، جاءت تلك الرواية الحية لأحداث نقل الكسوة، وذلك كالتالي: "احتُفل بعد ظهر أمس بنقل الكسوة الشريفة من محل تشغيلها بالخرنفش والجمالية إلى المصطبة بميدان صلاح الدين بالقلعة في موكب رسمي، سارت فيه فصيلة من الجيش المصري والموسيقى العسكرية ورجال بلوك الخفر وبعض أرباب الطرف، فاجتاز الموكب شوارع النحاسين والجواهرجية والغوري والعسكرية والدرب الأحمر فالقلعة".

وتكمل "الأهرام" في استعراض المشهد المهيب فتذكر: "وعند وصولها تسلمها صناع إدارة الكسوة فجلوها للناظرين في الغرف المعدة لذلك، وخصص للمحمل غرفة أخرى، وجلس أشهر القراء في القاهرة فقرأوا آي الذكر الحكيم. وأضيئت الثريات في الشوارع، ووقف الجنود بأسلحتهم لحراسة الكسوة، ووقف حضرات معاوني المحافظة لاستقبال

جمهور المدعوين.. وأُولمت الولائم للعلماء ولبعض المدعوين ممن لهم عادة، واستمر الناس يمتعون أنظارهم بمحاسن الصناعة في الكسوة حتى منتصف الليل". وفي اليوم التالي، تستمر الاحتفالات الحاشدة، فوفقًا للأهرام: «وفي الصباح، توضع على الخشب المعدّ لذلك وتُعرض في الميدان، ويصطف الجنود المشاة والركبان، ويرأس الحفلة في الساعة العاشرة حضرة صاحب المعالي عبد الخالق ثروت باشا نائب رئيس الوزراء ووكلاء الوزارات.. ويصل الموكب بالنظام المعروف إلى المشهد الحسني، ثم توضع في الصناديق وتُرسل مع المحمل المصري إلى مكة المكرمة».

هذا عن رحلة «المحمل» والكسوة الشريفة، أما عن عودة المحمل، فوفقًا للأهرام، وحسب تقرير ورد بتاريخ ٢٦ أغسطس ١٩٢٢، جاء ما يلي: «يُحتفل اليوم بعودة المحمل الشريف، ففي منتصف الساعة السابعة، يقوم المحمل المصري وحرسه والأورطة الأولى السواري والحامية المصرية وفرسان البوليس وبلوك الخفر ورجال الطرق من العباسية إلى ميدان الناصر صلاح الدين بالقلعة، فيجتاز الموكب شوارع العباسية والحسينية وباب النصر والجمالية والنحاسين والأشرفية والغوري.. وقد صدرت الأوامر بإطلاق ٢١ طلقة مدفع من العباسية عند قيام المحمل.. وسيحضر حضرة صاحب المعالي الفريق السير ستاك باشا، سردار الجيش المصري، حاكم السودان العام، حفلة الاستقبال».

كانت هذه بعض مشاهد وداع المصريين واستقبالهم المحمل المشرف وكسوته في عشرينيات القرن الماضي، قبل قرن من هذه الأيام، وكان ذلك كله وفقًا للأهرام.

يسرا الشرقاوي

المحتوى

مقدمةٌ ضروريةٌ	١
مقـالات إنـسانـيـة	
خطواتٌ حائرةٌ	٤
فيلسوف محلل	٥
أشياء لا تُعوض	١٢
قوة لحبِّ	١٤
ورحلت أُمي	١٦
لاتندم	١٨
ست الحبايب	٢٠
هكذا علمتني الحياة	٢٢
لماذا تغيرنا	٢٤
خواطر رمضانية	٢٦
عندما تبلغ الستين	٢٨
الملائكة لا تسكن الأرض	٢٩
عبادة جبر الخواطر	٣٠
البداية الصحيحة	٣٢
قوانين الحياة	٣٤

كسر الخواطر! ٣٥
مرض التشهير ٣٦
فن المسافة ٣٨
صديق واحد لا يكفي ٤٠
القواعد الست لراحة البال ٤٢
جرائم إبليس الثلاث ٤٥
لكل زائر زمانه ٤٨
كل يوم ٥٠
حائط الصد ٥٢
في بيتنا أب بخيل ٥٣
على حافة الحافة ٥٥
ببساطة ٥٧
أشياء ضائعة ٥٩

مقالات وحوارات عن د.جمال حمدان

وائل حمدان:
عمي كان يلعب اليوجا ويغني لعبد الوهاب ٦١
جمال حمدان جغرافي قومي ووطني ومفكر موسوعي ٧٠
حمدان في عيون مفكري عصره:
البطل الوحيد في القرن العشرين ٨٢

مقـا لات سيـا سيـة

كيف انهار الأداء المصري؟ ١٠٧

الأقصر.. هرم رابع بناه مبارك ١١١

من أعراض المرحلة ١١٢

ورحل الحريري ١١٥

هل أُصيب المصريون بمرض استكهولم؟ ١١٧

أمين هويدي ١٢١

دفاعًا عن علم مصر ١٢٤

بروفايل ...عمر مكرم ١٢٩

السياسة الخارجية والحياة اليومية.. المعضلة والحل ١٣٠

مؤرخون يحاكمون شخصية "ديليسبس"

لص سرق فكرة قناة السويس ونسبها لنفسه ١٣٣

انجلترا أم بريطانيا؟ ١٣٥

هذه الحروب الأخرى والأخطر ١٣٧

صندوق الأفكار.. التجربة الكورية ١٤٠

نعم.. العقل السلفي خطر ١٤٢

اجتهادات.. معركة القناع ١٤٦

مقـا لات عن الـجمعيـة الـجغرافيـة الـمصريـة

"١٤٧" عامًا على تأسيس "الجمعية الجغرافية المصرية" ١٤٩

بلادي قطعة من أوروبا ١٥٠

مقالات في العقيدة الإسلامية

قيم إسلامية.. العفو والإصلاح بين الناس ١٥٧
شخصيات إسلامية : عبدالله بن الزبير ١٥٨
أَمّرْنا مُترفيها ١٦٠
أنس بن مالك ١٦٢
خواطر الشعراوي "الجبار" ١٦٤
السلاح الفعّال ١٦٦
همسة دعوية.. البركة الخفية ١٦٧
مجرد رأي.. مع الشعراوي والغزالي ١٦٩
وصايا زوجية.. المودة.. خلق نبوي ١٧١
حديث الجمعة.. من مفاتيح الإجابة ١٧٣
مجرد رأي : لا نوم في الجنة ١٧٥
ويرزقه من حيث لا يحتسب ١٧٦
من معجزات القرآن ١٧٧
الملافظ سعد ١٧٩
الإمام مالك بن أنس ١٨٠
كلمات ومعان ١٨٢
مع الدنيا ١٨٤

دنيا وآخرة.. دعاء الاسترحام	**١٨٦**
الاكتئاب المستتر	**١٨٨**
مقام الرجاء	**١٩٠**
الشاذلي.. الاعتدال والصلاح	**١٩٢**
بن بيه.. والجهاد الأكبر	**١٩٥**
الوصية البليغة	**١٩٨**
كتابات رمضانية.. بنت الشاطئ تستقبل "الهلال"...	
وداوود بركات يكشف سر "الصوم" هل هلاله!	
الصوم ولماذا نصوم؟	**١٩٩**
إن في ذلك لعبرة لأولى الألباب	**٢٠١**
هذا هو الإسلام تكريم الله تعالى ...	
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم	**٢٠٥**
أسماء الله الحسنى	**٢٠٨**
من أسرار القرآن	**٢١١**
حوارات معاصرة.. .	
التوجيه التشريعي لتعدد الزوجات	**٢١٨**
البيوت الآمنة	**٢٢٢**
صناعة المعروف	**٢٢٣**
أفكار عابرة.. حياة أفضل!	**٢٢٥**
الغزالي.. المنقذ من الضلال	**٢٢٦**

الإمام عبدالحليم محمود حقق المعادلة بنجاح
شيخ الأزهر..عالميا وسياسيا ومتصوفا ٢٢٨
الإمام الطبري

مقـا لات أدبـيـة

بعد ستين عامًا ما زالت "أرض النفاق"
أجمل ما كتب يوسف السباعي ٢٤١
صلاح جاهين والشعر الشعبي ٢٤٤
لم يُفلِح النثر.. في إقناع الوزراء.. فهل ينجح الشعر؟ ٢٥٢
مـي زيـا د ة .. وفـقـا لـلأهر ام
"٨٠ "عامًا على رحيل صاحبة "صالون الثلاثاء" ٢٥٦
"٧٠" عامًا على أطول يوم في تاريخ مصر
"حريق القاهرة" يلتهم أبرز معالمها ....
ويحولها إلى "أنقاض من الطوب والحجارة"...
قصصه وأساطيره تتطور مع الزمن ٢٦٣
ديسمبر شهر ديزني الساحر ٢٦٦
شعراء ينعون صاحب "وحي القلم"
في ذكرى ميلاده الـ"١٥٠" خليل مطران ٢٧١
يعترف بفضل مي زيادة عليه.. طه حسين يمدحه:
"حافظ وشوقي وغيرهما يعيشون حوله" ٢٧٢

مقالات ثقافية وفكرية وفلسفية

١ـ أسهم في "تمصير" فنونه"عباس الشيخ"...

فارس تصميم العملات المجهول ٢٧٧

٢ـ العملات.. وسيلة نقل التاريخ وشغف المقتنيين ٢٨٣

وسيلة متطورة لدعم "التعليم عن بُعد" ٢٨٦

محبو الاقتناء.. الهواية أولًا وأخيرًا ٢٨٩

اجتهادات.. الوقت.. والمعرفة ٢٩٢

الديمقراطية هي الحل.. كلما علا صعبت رؤيته! ٢٩٤

حكايات من أروقة "دار الحكمة"١٠٠ عام

على تأسيس "الجمعية الطبية المصرية" ٢٩٧

خدعوك فقالوا ٣٠١

معروفون بأسماء الشهرة ٣٠٣

كيف تكتب سيرتك الذاتية؟ ٣٠٥

منوعات مايو .. انطلاق "الإذاعات الأهلية"

وهدية يوسف كمال ووداع الرافعي ٣٠٧

مدرسة الفنون الجميلة.. كل مصري يقابل هذا العمل بالمسرة ٣١٠

محمد إقبال وحديث الروح ٣١٣

معي حدوتة للحب والحياة.. مصطفى صادق الرافعي ٣١٦

مفاهيم الدهرية ٣١٨

بين الأدب والسياسة ٣٢١
النيل والمواسم في الثقافة الشعبية المصرية..
السنة كانت ثلاثة فصول "آخت وبريت وشمو"
د. أماني الجندي ٣٢٥
الأعراض الجانبية ٣٣٠
ظاهرة "ساركوبينيا".! ٣٣٣
شجرة "الكريسماس" و"بابا نويل" ٣٣٤
جريمة يُعاقب عليها القانون ٣٣٦
ساعات الليل والنهار ٣٣٩
حقائق طريفة ٣٤٠
البكيني أم البوركيني؟ حروب عالمية من نوع آخر ٣٤٢
اجتهاداتٌ في مهبِّ الرِّيحِ ٣٤٥
علي باشا إبراهيم يحتفل بميلاده...
ويقارن حال الأطباء في "٤٠" عاماً ٣٤٨
مواقيت للزراعة والحصاد...
شهور السنة القبطية في الأمثال الشعبية ٣٥٤
جرة قلم.. فرعون موسى ٣٥٨
شخصيات ٣٦٠
الشروط الواجبة عند شرائك شقة جديدة...
لتجنب الوقوع ضحية نصب ٣٦١

"١٠٠"عام على إعدام أشهر السفاحين..
تذاكر لحضور محاكمة ريا وسكينة..
ملابس المجني عليهن في معرض ..
وريا قبل الإعدام: "لك الله يا بديعة" ٣٦٣
جندي الحرب ورسول السلام.. دينا عمارة ٣٧٠
الراديو.. سحر الصوت عبر موجات الأثير ٣٧٣
كسوة الكعبة ...وفقًا للأهرام ٣٧٦
المحتوى ٣٨٠